موقع المثقف
في حياة أمته

تأليف : أ. منصوري عبد الحق
جامعة وهران 2 الجزائر

الطبعة الأولى 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد و على آله و صحبه أجمعين

إلى كل الذين قضوا نحبهم من أجل أن تحيى الجزائر

إلى كل الذين يحملون هم هذه الأمة بتفان وإخلاص

إلى كل العلماء العاملين الذين أبوا إلا أن يتصدروا مشهد الحياة
و يواجهوا عقباته و تحدياته خدمة للإنسان
و من أجل تعبيد له الطريق نحو العيش الكريم

أهدي هذه المحاولة

عبدالحق .م

محتويات الكتاب

الفصل الأول : مفاهيم يحملها المثقف

محور التاريخ

محور الدين

الفصل الثاني : حياة المثقف الاجتماعية

مقدمة

إن وجود المثقف في موقعه الطبيعي ضمن التفاعل الديناميي للمواقع والأدوار داخل المجتمع هو مؤشر يبعث على الاطمئنان والارتياح ويبشر بمستقبل استقرار وقوة وخير عميم سينعم به هذا المجتمع، إذ يعني أن هذا المجتمع يقوم عمليا بتجديد قوته وتطوير مقدراته وتحسين أحواله ومراجعة برامجه ومشاريعه بصورة تلقائية ومستمرة معتمدا في ذلك على طاقاته الذاتية، وهو ما سوف يسمح له بتصحيح الأخطاء وتصويب الاتجاه وبالتالي المحافظة على توازن تكاملي بين القوى الداخلية وتسجيل حضور قوي على المستوى الخارجي. وعلى العكس من ذلك فإن افتقاد المثقف من موقعه ينعكس بنتائج سلبية على حياة المجتمع في مختلف أبعادها. فغيابه من موقعه يترك فراغا لا يستطيع أن يسده أحد غير المثقف ويصبح المجتمع يعيش، بسبب وجود تلك الثغرات، وضعا غير طبيعي من المرجح أن يترتب عنه:

1. ضعف يغديه توقف العملية التطورية الإيجابية. فالبيئة الاجتماعية الجامدة التي لا يحركها مشروع مجتمع واضح المعالم بأهداف وغايات شفافة ومحددة مآلها التخبط داخل الحلقات المفرغة دون حصول أي تطور حقيقي يُذكر، وهو وضع قد ينعكس سلبا على الأفراد حين لا يثير عندهم أي رغبة في تقديم مبادراتهم وحين لا يوفر لهم الارضية المساعدة على الانطلاق في اختبار قدراتهم وتطويرها وبالتالي دفع المجتمع خطوات نحو أهدافه المرسومة، وفي غياب مثل هذه الاثارة البيئية أو هذا التحدي الايجابي تتوقّف عملية النمو لدى أفراد المجتمع و لا يتحسن رصيدهم، و يتقلص بالضرورة حجم مساهمتهم.

2. تآكل داخلي نتيجة ولوج المجتمع تلك الحلقات المفرغة فيصبح فيها كل فرد من أفراده معتمدا على غيره ينتظر ما يقدمه الآخر، ولا أحد يتحرك في فلكه الطبيعي الذي يستطيع من خلاله تقديم مساهمته، فيترفع طلب الخدمات وتزداد الحاجة إليها في مقابل تقلص إمكانية تقديمها وسد الحاجة إليها. وهذا الاختلال في التوازن بين استهلاك الخدمات وانتاجها تنشأ عنه صراعات قد تؤثر بقوة في استقرار المجتمع.

3. تهديد داخلي بالانهيار لأن المجتمع الذي لا ينمو بالضرورة يتقهقر وإذا استمرت حركة المجتمع التراجعية فقد ينهار كل بناء فيه. وهذا الانعكاس يخضع لسنة الحياة التي لا يمكن مساومتها في البدائل التي توفرها، وأي محاولة للقفز عليها حتما تأخذنا نحو المجهول الذي يفلت من قبضة التحكم والترويض، و يصعب في ظله ضبط المسار و توجيه الجهود نحو الأهداف ذات الأولوية والقيمة و المصداقية.

4. تهديد خارجي دائم تحرّكه أطماع أعداء الأمة التي تزداد مع زيادة ضعف هذه الأخيرة. إذ أن مثل هذه الأوضاع مُغرية للخصوم والمتربصين والطامعين حيث يعتبرونها

فرصة سانحة يمكن تحقيق فيها الكثير مما عجزوا عن الوصول إليه في الظروف الطبيعية. فالأمة مكبلة بالحاجات الملحة التي لم يعد في مقدورها سدها، وهي نافذة يسهل التسرب منها لتوجيه ضربات تزيد الجرح عمقا و تطيل من عمر الضعف والتخلف والتبعية.

وإن استرجاع الوضع الطبيعي للمجتمع الذي يضمن تماسكه الداخلي ويرعى حرمته ويعزز هيبته من قبل الأمم الأخرى، لا يتحقق إلا بامتلاكه عناصر القوة كاملة غير منقوصة، حيث يظل كل مظهر من مظاهر عجزه أو قصوره يشكل ثغرة تتحول إلى مصدر قلق و خوف دائم إلى غاية أن يتمكن من سدها و استيعاب أوجه الضعف التي يعاني منها. و وسيلته في ذلك بناء العناصر البشرية بالمؤهلات والمواصفات التي تتناسب مع مستوى التحديات، والحرص على أن تحتل بعد ذلك مواقعها الصحيحة في المجتمع وتزويدها بكل ما تحتاج إليه من ظروف مساعدة و وسائل مادية وغيرها. والمثقف الذي نتحدث عنه يكون بالضرورة متعلقا بمجتمعه ومحبا له ومعتزا بانتمائه إليه. لهذا السبب تجده، بكل صدق وإخلاص وتفان، يسخّر ما يملك من طاقة في خدمته والدود عن مصالحه، والعمل بكل إيمان ورغبة على رفعه إلى المعالي والانتقال به إلى مصاف المجتمعات القوية والراقية. أما المثقف الذي لا يعرف هذه العلاقة مع مجتمعه و لا يحمل همومه و لا يشعر بهذا الواجب تجاهه فلا يمكن أن يعوّل عليه، بل قد يتحوّل، حتى حين يحتل مكانا طبيعيا يتناسب مع إمكاناته يسمح له أن يؤدي دورا يملك كل مؤهلاته، إلى عنصر سلبي بل وإلى معول هدم في المجتمع خاصة إذا كان، بسبب تأثره بمجتمعات أخرى وثقافات أخرى، لديه تصور مغاير لفلسفة المجتمع وقناعة تتعارض مع مبادئه وتوجهاته واختياراته. ومن المتوقع أن هذا الفرد، بهذه المواصفات وهذه الخصائص، لن يسخر كفاءته في اتجاه تحقيق أهداف المجتمع ولن يكون عن قناعة راسخة حاميا لحماه أو مدافعا عن سيادته. مما يؤكد الحاجة إلى تكوين المثقف الغيور على أمته وإعداده بواسطة البرامج الناضجة والمناسبة إعدادا جيدا حتى يصبح سندا لها وخادما مخلصا لها يقدم من أجلها وبكل عفوية الغالي والنفيس ولا يتردد بالتضحية بكل ما يملك من أجل تألقها بقاءها قوية متماسكة.

ولن يكون المثقف فعالا وعنصرا مؤثرا بالقدر الكافي، حتى مع امتلاكه تلك الأوصاف التي أشرنا إليها من قبل، إذا لم يكن شمل إعداده بصورة متكاملة:

1. النواحي الاعتقادية باعتبار أن العقيدة هي طاقة لا تنفذ وقوة دافعة إلى العمل وموجهة نحو الأهداف والغايات السامية (يالجن،1981، ص.248-288). فمواقف الشخصية المشدودة إلى خالقها بواسطة العقيدة الحية التي تحملها لن تكون سوى مواقف

ثابتة لأنها تقف على أرضية صلبة. إن هذه الرقابة الذاتية التي من المتوقع أن تسهم بصورة مباشرة وفعالة في ضبط سلوك الفرد والدفع به نحو المستويات العليا من الإتقان وحسن الأداء لا شك أن آثارها سوف تنعكس إيجابا على الواقع الاجتماعي، وطريق تعزيز هذا النوع من الرقابة لا يبلغ مداه المرغوب بواسطة العوامل الخارجية كالعقوبات والمكافآت المادية وحدها. هذه الأخيرة كانت في أحسن الظروف تساعد على وضع الفرد تحت آلية إشراطية تحتاج بدورها إلى تغذية مستمرة، وعليه فقد أظهرت نتائج الدراسات أن التأثيرات التي تحققها مثل هذه الآليات تكون مؤقتة وظرفية ولا يمكن أن نصل معها إلى رسم معالم الشخصية الثابتة. في المقابل أكدت نتائج دراسات عديدة أخرى تعاملت مع عينات بشرية من بيئات مختلفة وثقافات متباينة أن هذا النوع من الثبات والاستقرار في استجابات ومواقف البشر يظهر أكثر حين يقترن بالدوافع الداخلية والتي تقف وراءها عوامل كالإيمان بالقدرات الذاتية والثقة بالنفس والتفاؤل الذي لا يقهره يأس والرغبة في إدراك الأهداف والغايات التي لا تزعزعها التجارب الفاشلة والاخفاقات المحبط (Deci,& Ryan.,1985;Adelman.,&Taylor.,1990; Frey,1997; Schultz.,&Switzky,1990; Ryan.,&Deci.,2000;Grant,2008; Oh,S.,& Lewis,G.,2009; Schmidhuber, 2010;Cho., & Perry, 2012) .

ولو أن المكافأة الخارجية كثيرا ما اثرت سلبا على الاهتمامات الجوهرية خاصة مع الأطفال وبعض المراهقين الصغار (Lepper,M.,& al.,1973;Warneken F,& TomaselloM.,2008; Baranek,.1996;Henderlong,J,&Lepper,M.R.2002;Deci,etal,1999;Calder.,&Staw,1975) إن الحضور القوي لمثل هذه العناصر في حياة الفرد سيساعده على تجاوز العقبات وعلى تخطي الصعاب ورفع التحديات لتنعكس آثار ذلك كله قوة دافعة تنبعث من أعماقه نحو تحقيق المزيد من المساهمات دون كلل أو ملل. وحين نسأل عن المصادر التي تتغذى منها هذه الثقة بالنفس والاطمئنان إلى الذات وإمكاناتها، نجد كثيرا من المقترحات النظرية (Nayler,2010; Bandura,1977; Ryan,& Deci,2000) تقدم أجوبة تبرز فيها عناصر فاعلة ومؤثرة ولكنها غير مستقلة مثل "القناعة الراسخة بالنجاح"، "الايمان بالقدرة على التأثير في الأحداث والتغلّب عليها"، "التفاؤل بالمستقبل". وهذه الأحوال لا يمكن أن نفسرها فقط على أساس مادي، أي اعتماد الفرد على ما يملك من قدرات ومهارات وما اكتسبه من تجارب الحياة، فما أكثر الذين تجتمع لهم عوامل النجاح ومع ذلك تجدهم فاقدين لهذه الثقة في الذات وتتجه قناعتهم نحو ترجيح احتمال الفشل، مما يدل على أن هذا الشعور بالارتياح وهذا الاطمئنان إلى القدرة الذاتية يستمد قوته من ارتباط الفرد معنويا

بقوة لا تُقهر والتي يعتقد أنها معه تُسنده وتؤيده، وبقدر ما يكون شعور الأفراد بحضورها في حياتهم أكثر عمقا ورسوخا، يكون إقبالهم على التصدي للمشكلات ومقارعة الصعاب ومواجهة التحديات بعزيمة أقوى ونفس أطول ومعنويات مرتفعة فيحققون بذلك نجاحا أسبابه في الظاهر موضوعية. وإذا كان علماء النفس تحاشوا الخوض في هذا البعد الانساني ولم يولوه الاهتمام الذي يستحق رغم قناعتهم بقوة حضوره المؤثر في حياة الانسان (Hood, et al, 2009; Koenig,2012; Vieten, et al, 2013; Behere,et al,2013; Joshi, et al, 2008; Fagan,P.,1996) ، بل ويحرص عدد متزايد منهم على إحلال المعتقد والقناعة الدينية موقعا بارزا في الممارسة الارشادية وضمن البرامج النفسية العلاجية (Miranti.,& Burke,1995; Plumb,2011; Eck,2002;Frazier.,& Hansen,2009;Larimore.,et al,2002; Wolf.,& Stevens,2001; Frame,2003; Cashwell.,& Young,2014) حيث لم يعد مقبولا لديهم أن يتجاهل المستشارون إمكانية تأثر الجانب الروحي والديني في حياة الفرد، وأنّ تناول القضايا الروحية والدينية له مبرراته الانسانية والاجتماعية والأخلاقية فضلا عن أهميته الاستشارية العلاجية، حتى في البيئات العلمانية كما يرى *كوري* (Corey,2006)، إلا أن الكثيرين، مع اعترافهم بهذه الأهمية للبعد الديني في حياة الناس، لا زالوا يتحفّظون إزاء إدراجه كمتغير متميز في دراساتهم إذ أن طبيعته، في نظرهم، تجعله يفلت من قبضة البحث، أو يتعذر إخضاعه للتجريب أو أنه يتجاوز مجال اختصاصهم. ومع ذلك بدأ يستقر الاهتمام بهذه الناحية في أوساط الباحثين من مختلف الثقافات وبات الرأي العام يعتبر معتقدات الانسان وقناعاته الدينية من العوامل الفاعلة التي لا يمكن تجاهلها.

2. النواحي العقلية والفكرية وحاجتها إلى التزود من العلم والمعرفة التي تمكّن شخصية المثقف من التحرك على بصيرة وعلى دراية وبوعي تام وضمان السير بخطوات صحيحة ومناسبة وعدم التعثر فيها.(القاضي يوسف ومقداد يالجن،1981، ص289-306) إن الاهتمام بهذه النواحي ينبغي أن ينمي قدرة الفرد على التمييز ومقارنة الأشياء والقضايا والأحداث ومواجهة المشكلات، وخاصة التغيير الذي يحصل باستمرار في عالم لا يعرف حالة سكون، وفي إدراك الكليات وعلاقتها بالجزئيات(القاضي يوسف ومقداد يالجن،1981، ص157-158). فالاستخلاف في الأرض والقيام بإعمارها لا بد له من معرفة، وكما يوضح محمد *عقلة* فقد " كانت رسالة النبي عليه الصلاة والسلام وسيرته وحياته أنموذجا يُقتدى به لأنه يشكّل أوضح وأنصع صورة لعملية الاستخلاف والتي كان التعلم والتعليم أساسا وقاعدة لها فضلا على كونه وحيا يوحى من الله عز وجل" (محمد عقلة، 2004، ص210.)

من ناحية أخرى، ينبغي أن يتميز المثقف بفكره المتفتح الذي يغذّيه البحث المستمر والسؤال الذي لا ينتهي والفضولية البريئة التي تفلت من القيود والحصار فيكون بذلك على أتم استعداد للتعامل مع الآراء المتنوعة واحترامها جميعها مهما تباعدت في شكلها وجوهرها أو تناقضت في اتجاهاتها ومقاصدها أو مهما تعارضت مع بعض قناعاته أو اختياراته المفضلة، فالمجتمع الذي ينتمي إليه ويعيش فيه يستعرض صورا من التباين والتنوع والاختلاف بين الأفراد والجماعات تكاد تشكل وجهه الثابت، وهي ثروة قابلة للاستثمار بما يعود بالفائدة على الفرد والمجتمع، والمثقف هو أول من يعرف قيمتها فيحسن رعايتها والمحافظة عليها. ولذلك لن يستطيع أن يدرك تناغم المجتمع وانسجامه وتكامل نواحيه وأبعاده وأوجه الاختلاف طافية على سطحه إذا كان صاحب فكر ضيق ومتجر. كذلك بالنسبة لحاجته إلى التكيف مع التغيير الذي يحصل، فلديه القدرة على التجاوب السريع مع المستجد والتمييز بين الوضع المؤقت والحالة المستمرة وبناء على ذلك يراجع أفكاره التي تعيق عملية التكيف ويعدّل من سلوكه بما يسمح له بالانخراط السلس في الحركة التحولية التي استيقن أنه لا جدوى من اعتراض مسارها، وكل ذلك حرصا منه على تحديد موقع ملائم له دون تأخر يستطيع من خلاله التعبير عن وجوده وتسجيل حضوره الواعي وخدمة مجتمعه. أيضا وفي ظل عالم متعدد اللغات والثقافات والديانات والتقاليد والأعراف، يصعب على المثقف أن يُطلّ على الواقع من زاوية بعينها مهما كانت قوة المبررات، بل يحتاج إلى تطوير مهارة النظر إلى هذا الواقع الانساني وإلى الأشخاص والأحداث الجارية من الزوايا المتعددة ليتمكن من التقاط صورة ذهنية تعبر بصدق عما يجري حوله، وأن يتغلب بواسطة القناعة الفكرية الراسخة على كل الاختيارات الجزئية التي قد يخضع فيها للنزوات الجامحة أو الدوافع الغامضة، وبذلك يُجنّب نفسه الدخول مع الآخرين في معارك جانبية يبدد فيها وقتا ثمينا وجهدا معتبرا كان باستطاعته– لو أعمل فكره وبصيرته ونظر بعيدا– أن يصرفهما في المسائل ذات الأولوية المؤكدة أو في البحث عن حلول لمشاكل تنغّص حياة الناس من حوله أو في إيجاد طرق أو آليات لإزاحة العقبات والحواجز التي ظلت تعيق حركة تطور المجتمع وتقف في وجه مشاريعها الواعدة وتمنعها من إحداث أي اختراق ينشر الأمل.

3. النواحي الأخلاقية السلوكية والتي بالضرورة تتأثر بالجوانب الروحية التي تدفع المثقف دوما إلى استحضار عظمة الله وتساعده على تزكية نفسه وتطهيرها من الرذائل والنيات السيئة وعلى تحليّتها بالفضائل الأخلاقية والخصال الحميدة.(يالجن،1981، 307–356) فالمثقف الذي يقدّر العقل ويحترمه ويحمل تفكيرا نقديا مستقلا ومحايدا ويتميز بشجاعته الفكرية وهو الباحث الشغوف عن الحقيقة والمحب لها والمنقّب الفضولي

الذي لا تزيده المعرفة والخبرة والاطلاع إلا رغبة في مواصلة عملية الاستكشاف.. لا يمكن سوى أن يكون صاحب خلق وفضائل تتناغم مع باقي صفاته، فهو بطبعه متواضع يعرف حدوده و نزيه لا يستسيغ قلب الحقائق أو تلبيسها أو إدخال فيها ما ليس منها. وهي ثمرة طبيعية لإعداده الفكري والروحي. فهو من ناحية لا يتعمّد خرق قواعد المنطق ولا يأخذ بإرادته وجهة تتعارض مع قواعد العقل كما أنه لا يميل أو يتحمس لما هو نقيض للعلم والتجربة. ومن ناحية أخرى فهو مستحضر لرقابة ربه سبحانه فلا يجرؤ على معصيته أو ارتكاب ما نهى عنه أو تجاوز حدوده، لأن ذلك يجلب غضب ربه وفيه إهانة واستخفاف بمقدسات مجتمعه. كما أنه يحرص دائما على التعامل مع أفراد المجتمع بالصور السلوكية الراقية معتبرا ذلك حقهم عليه مع شعوره الصادق بالتقصير في أداء واجبه تجاههم فضلا عن أنه يشعر بالخجل من نفسه إذا نزل عن هذا المستوى حيث أنه مضطر معنويا وأخلاقيا أن يستعرض القدوة الحسنة أمامهم والتي تكون مدعاة للاعتزاز وصورة صالحة للتداول الاجتماعي و ألا يكون سببا مباشرا في نشر المستهجن من الأفعال والأقوال أو القبيح أو الرديء.

ومن بين أهم الآثار المباشرة لهذه التربية الفكرية والروحية أنها:

أ– تساهم في تعديل انحراف مزاج الفرد وتهذيب انفعالاته وتقويم طبعه وإصلاح نفسه.

ب– تقوّي فيه روح التفاؤل بالخير والنصر في زمن عمّ فيه الفساد وطغى فيه شعور الدونية المذل والانهزامية القاتلة، كما تقطع من إحساسه دابر اليأس والقنوط. فهو مطمئن من حيث مراعاته التقديرات الصحيحة والسليمة وأخذه بكل الأسباب التي توصل إلى ما يسعى لتحقيقه، وهو مطمئن لأنه متوكّل على خالقه وملتمس منه التوفيق والعون. فاليأس والقلق والأسى والألم والصدمة والملل والعبث والتمرد والتمزق والمأساة والشقاء هي، كما علق *ناصح علوان*، "عناوين للحياة الغربية " (ناصح علوان، 1983) التي يفترض أن نتمايز عنها بهويتنا المستقلة ونقتصر في الأخذ منها على ما هو صالح ومفيد.

في هذا الكتاب حاولنا تسليط الضوء على بعض العناصر في حياة المثقف التي حين يتحرك بها، في تقديرنا، يتيسّر له أن يصنع الحياة من حوله ويخلّف بمواقفه وأفعاله وأقواله الآثار الطيبة في واقعه الاجتماعي. وبقدر ما تكون مستندة إلى قناعات صلبة واتجاهات متأصلة ثابتة لها جذور في بنائه الشخصي وممتدة من أعماق هذا البناء بقدر ما تتوسع دائرة حضوره الفعلي والمؤثر داخل المجتمع ويزداد بالتالي حجم مساهمته. وتفاديا للاسترسال المذموم و رغبة في تركيز المحتوى جمعنا ذلك كله في فصلين بارزين:

في الفصل الأول تناولنا بالتحليل والمناقشة بعض المفاهيم الأساسية في حياة الناس عامة والتي ينبغي للمثقف أن يستوعبها بطريقة خاصة وأن يدمجها في حياته الفكرية

التصورية على النحو الموضوعي الصحيح الذي يحوّلها إلى أداة دافعة ومحركة وبناءة ينعكس ذلك بصورة إيجابية على حياته الشخصية وحياته الاجتماعية.

في الفصل الثاني يتمّ التركيز على مواقف المثقف وكيفية تعاطيه الحياة في ظل علاقته مع باقي أفراد المجتمع على اعتبار أن احتكاكه بالآخرين من المتوقع أن يحمل دائما رسالة أمل للمجتمع، علما بأن علاقة المثقف المباشرة بالمجتمع هي وسيلته المثلى لتسجيل حضوره الذي يتناسب مع شخصيته و بواسطة تعزيزها يدرك ما يحقق آماله طموحه وخاصة استقراره وما تطمئن إليه نفسه، كما أن هذه المخالطة تسمح بتعميم الفائدة على شرائح واسعة من الناس الذين يستطيعون مباشرة أو بطريقة غير مباشرة استغلال رصيده وخبرته ومؤهلاته بما يعود عليهم أفرادا أو جماعة بالخير. فوجود المثقف قريبا من الناس هو موقعه الطبيعي، ومن خلاله يستطيع أن يؤدي دوره الذي ينفرد به بمردود أكبر وعطاء أوفر، وبقدر ما يزيد هذا الاحتكاك بينهما تزداد الحياة الاجتماعية وعيا وتماسكا وترتقي أخلاقا وإبداعا، وبقدر ما يحصل التباعد ينتشر بين الناس الجهل الذي يؤدي حتما إلى تدهور الحياة في شتى نواحيها فينمو في ظلها الجفاء والأحقاد بين الأفراد وتكثر الخلافات التي تتسبب في تشتيت الجهود وإضعاف الأداء على أكثر من صعيد، وإذا بقي الوضع على حاله ولم يُتدارك ولم يتوقف هذا النزيف تبدأ مرحلة التآكل الداخلي فيزداد العجز ليتحوّل المجتمع إلى حالة من التبعية تُرتهن فيها قراراته.

ورغم أن طرق وأساليب إعداد المثقف الصالح هي ذات أهمية خاصة ولها أولويتها باعتبار أن المهام التي تنتظره تندرج ضمن التخطيط الاستراتيجي للمجتمع من حيث أنها تساهم في استمرار بقاء هذا الأخير متميزا بهويته الثابتة ومستقلا بإمكاناته وقادرا على حماية نفسه بنفسه والدفاع عن كرامته، وبالتالي فهي مهام جسيمة وضخمة وينبغي أن يكون الاعداد لها يوازي هذا المستوى خاصة من حيث توفره على كل ما يساهم في بلورة شخصية إنسانية قوية عاقلة مبدعة واجتماعية متوازنة، تستطيع التكيف مع مختلف الظروف والثبات في وجه العقبات والتحديات، وبما أن الالتفات إلى جميع هذه العناصر يتجاوز حجم هذا المؤلف، اخترنا عدم تناولها ضمن فصوله وذلك خشية أن نختزل حقائقها في المساحة الضيقة المخصصة لها ولا نتمكّن من تقديم كل عناصرها المهمة والمرتبطة بعضها ببعض، ولذلك فضّلنا أن نتناولها مستقبلا إن شاء الله في رسالة مستقلة نظرا لأن عملية الإعداد المستهدفة هنا لا نريدها فقط بالمعنى أو الصورة المشابهة للإعداد أو التكوين المهني الذي يكون محددا في الزمن والمكان، وإنما باعتبارها عملية أكثر شمولية وتتناول أبعاد الشخصية الإنسانية جميعها وبأنها تستغرق وقتا أطول وتتعدد الأطر التي تحتضنها، وهي حلقات متواصلة تغطي مراحل العمر الرئيسية تبدأ من الطفولة الأولى

وتستمر حتى مرحلة الرشد والنضج، وتتتابع فيها برامج متكاملة في الاتجاه والهدف، ويتعاقب فيها عدد من المشرفين والمربين يتدخّل كل في مجاله حسب ما تتطلّبه عملية التكوين والاعداد.

الفصل الأول :

مفاهيم
يحملها المثقف

توطئة

إنه لمن الباعث على القلق أن تجد طالب العلم والمثقّف بصورة عامة، حتى وهو على أبواب أن يصبح إطارا مسؤولا، يجهل الكثير من حقائق مجتمعه ويكاد لا يعرف عن تاريخه وتاريخ أبطاله شيئا، علما بأن هذا المجتمع ينتظر منه تقديم المساهمات وإسعافه بالخدمات كما أن فيه يتحدّد مستقبله وطبيعة الدور الذي سوف يؤديه. وإذا انطلقنا من المقولة التي تعتبر الإنسان عدوا لما يجهل، فإن هذا المثقف الذي يدخل في مجتمع يجهله سوف "يضطر" إلى الاصطدام به وإلى صرف طاقاته وتبديدها في عملية المواجهة السلبية بدلا من تسخيرها من أجل الارتقاء بهذا المجتمع. و لا شك أن وجود هذه الثغرة الخطيرة في حياة هذا الطالب لا يمكن أن نردها إلى سنوات تكوينه الأخيرة. فالأمر يتعلق بمراحل حياته وخاصة سنوات العمر الأولى التي تمت فيها صياغة شخصيته في أبعادها الأساسية. وإذا كان لا بد من مراجعة مناهج وبرامج التكوين المعتمدة إلى حد الآن فأولى أن نهتم بمراجعتها في المراحل الأولى، وأن تُدرج التعديلات ضمن التصور العام الذي يحدد بكل وضوح الهدف من التكوين أو الإعداد انطلاقا من فلسفة تربوية شاملة، لا مجرد إضافات بهدف الإثراء أو قصد معالجة بعض النقائص وسدّ بعض الثغرات. لكن ونظرا لأن معطيات الواقع تدعو بإلحاح إلى إشباع بعض الحاجات الآنية وعدم تأجيلها، خاصة إذا اعتبرنا أن أي إصلاح للواقع لا يمكن أن يتم إلا من خلال النزول إليه، فلا بد من اللجوء ولو مرحليا إلى وسائل الإسعاف للتعامل مع الأعداد الكبيرة من الطلبة التي أصبحت تلتحق بالجامعات والمعاهد العليا والتي تجهل الكثير عن مجتمعها. فما هي العناصر التي يمكن أن تتضمنها الوجبة الإضافية في إطار هذه العملية التربوية الإسعافية المكملة والتي تتماشى مع متطلبات هذه المرحلة من عمر الإنسان؟ لا شك أن هذه العناصر عديدة وتشمل أبعادا تاريخية حضارية وأبعادا أخلاقية دينية وأخرى اجتماعية اقتصادية. ويكون من الصعب تناولها في موضوع واحد دون اعتماد طريقة الاختزال المشوّهة والتي تضيع منها في سياق عمومية العرض حقائق هامة. لهذا السبب فضل الباحث أن يقتصر في هذا الفصل على تناول البعد التاريخي لهذه الأمة وما ينبغي لكل مثقف معرفته المعرفة الواعية وفهمه الفهم الموضوعي والواقعي، بغض النظر عن طبيعة التكوين الذي تلقاه أو التخصص العلمي الذي يسير فيه، فالإنسان الكامل، كما يقول الشيخ محمد الغزالي، "يقوم بقلبه وعقله جميعا، فالذكاء مع خبث الطوية شر، وسلامة الصدر مع الجهالة والغفلة شر والثقافات الصحيحة المتكاملة هي التي تصقل اللب والقلب معا".(الغزالي،1990، ص.137) وإن دراسة التاريخ لا يمكن أن تكون بالنسبة للمثقف

مجرد نافلة يتطوع بأبنائها في مجتمعه. إنها تدخل كلبنة أساسية في بناء عقله المدبّر وصقل ضميره الاجتماعي الحي واليقظ.

محور التاريخ

ماذا ينبغي للمثقف معرفته من تاريخ أمته ؟

تمهيد

إن تاريخ أية أمة يمكن أن نقرأه في واقع أفرادها وجماعاتها، بل إن هذا الواقع ليس سوى حلقة من حلقاته. وإن محاولة التنكر له أو التنصل منه تعني في الحقيقة التوجه نحو المجهول ونحو الانسداد من خلال مسالك وطرق لا تؤدي. إن انتماء الإنسان إلى تاريخ أمته ليس مجرد بديل من بين البدائل المعروضة يرجّح منها ما تطمئن إليه نفسه ويترك منها ما يشاء، وإنما هو اختيار حتمي ومصيري تتحدد به معالم مشروع حياة متكامل الأبعاد يتضمن أساسيات التعايش مع الآخرين وقواعد التقاطع معهم كما تبرز فيه الآداب والأخلاق العامة والمبادئ التي ينبغي أن تحظى باحترام الجميع فضلا عن معرفة كافة الحقوق الفردية والجماعية والواجبات وتمييز مختلف التنظيمات الرئيسة ضمن هياكل كيان الأمة. وإذا كانت هذه الجوانب تحظى بتعبير شكلي عن وجودها من خلال صور مجسمة كالعلم الوطني بألوانه ومختلف البنايات المخصصة لخدمات التربية والتقاضي والدفاع والأمن والإدارة وغيرها والتي تجسد على نحو ما مفهوم الدولة خاصة من حيث تنظيم حياة المواطنين وتسيير شؤونهم، كما هي عناوين ملموسة لمفهوم الوطن الأشمل. وإذا اعتبرنا احترام المواطن لمؤسسات الدولة وتقديره لمصالحها والتعامل الايجابي معها نوعا من إعلان الولاء لوطنه والانتماء إليه، فإن هذا التعبير لن يتجاوز وجهه البروتوكولي الذي غالبا ما يخضع للنظام السائد الذي يرعاه، حتى تصاحبه المواقف الثابتة والردود المتكررة التي تنمّ عن إيمان راسخ وتعلق صادق، ذلك أن الشعور بالانتماء يكون أعمق من حيث آثاره، وهو– في صورة مكبرة – يشبه العلاقة التي تربط الطفل الصغير بأمه الذي تضطرب أحواله كلما افتقدها أو ابتعدت عنه و لا يستعيد طمأنينته وحالته المستقرة إلا حين يراها من جديد قريبة منه أو تضمّه إليها. وإذا كان الطفل يحتاج إلى أمه وليس فقط إلى بديل عنها، ولو أنه في بعض الأحيان يكون للأم البديلة دور رئيسي خاصة إذا حالت الظروف بين الطفل وأمه الطبيعية كمرضها أو وفاتها. كذلك الإنسان فهو متعلق بكُنه مجتمعه العميق يأخذ منه القيم ويكتسب بالاحتكاك مع باقي أفراده لغة التواصل داخله ويستمد منه هويته بأبعادها الاجتماعية والدينية والثقافية. كل ذلك يقوم به عن قناعة ورغبة وحب

وتعلق ولا يجد في ذلك أدنى حرج، بل يجلب له راحة البال وتغمره بسببه طمأنينة النفس لأنه يقدّم بأقواله وأفعاله وبكل ما يضمره من أفكار وأحاسيس ومشاعر وتطلعات تجاه مجتمعه إشارات قوية تدل على أن هذا الأخير موجود فعلا، وإن مثل هذا الشعور القوي تجاه أمته كفيل بأن يدفعه إلى التضحية والصبر بلا حدود وإلى استرخاص كل شيء مهما غلا ثمنه من أجل أن تبقى قوية وشامخة.

لكن هل ينتظر من المثقف أن يلم إلماما كاملا بهذا التاريخ وأن يعرف كل شيء عن ماضي أمته؟ والجواب: "طبعا لا" لأن الإلمام بتاريخ الأمة يُترك للباحثين والدارسين المختصين في قضايا التاريخ الذين يكون من بين الوظائف المنوطة بهم تعريف أفراد الأمة بتاريخها بعد تنقيته من كل الشوائب التي علقت به وتحريره من الخرافات التي ظلت تغطي العديد من فصوله وتشوّه الكثير من حقائقه. ومع ذلك يُنتظر من الطليعة المثقفة أن تعرف عن هذا التاريخ أكثر من عامة أفراد المجتمع نظرا للموقع الذي تحتله داخل النسيج الاجتماعي والمهام التي تنتظرها والتي من أبرزها أنهم سوف يمثلون الحلقة أو الجسر الذي تمر من خلاله حقائق التاريخ في الصورة التي ينتجها المؤرخون والمختصون فيقومون بنشرها وعرضها على عامة الناس في الصورة المبسطة والمفهومة والتي من شأنها أن تستجر الاستجابات والمواقف المجسدة لاستقرار الأمة التاريخي واستمرارية وجودها في الشكل والجوهر.

مفاهيم أساسية عن تاريخ الأمة

ماذا ينبغي لطالب العلم والمثقف بصورة عامة معرفته واستفادته من تاريخ أمته الطويل والعريض؟ والإجابة على هذا السؤال نفصلها في العناصر التالية:

1. إن تاريخ أمته لا يبدأ من الثورة الصناعية أو من الاستعمار الفرنسي والانجليزي والايطالي لأراضيها أو من الحربين العالميتين الأولى والثانية. إنه يمتد عبر ملايين السنين وتعود بداية آخر حلقته إلى أكثر من أربعة عشر قرنا مضت، إلى وقت بعثة آخر أنبياء الله ورسله عليه الصلاة والسلام. فلا ينبغي أن يُختزل هذا الامتداد بكل مظاهر ثرائه وغناه في بعض الأحداث التي ميزت بعض فترات من تاريخ هذه الأمة.

2. إن حلقات تاريخ الأمة الإسلامية متصلة ولم يحصل فيها انقطاع رغم كل ما واجهته من حملات تبشيرية واستعمارية عمّرت طويلا في بعض أجزاءها وربوعها والتي ما فتئت تحاول مرات بعد الأخرى وبشتى الوسائل تغيير عاداتها وتقاليدها وأعرافها واستبدالها بأخرى دخيلة عليها. بعبارة أدق فإن حاضر هذه الأمة فيه بصمات ماضيها. نعم عرفت الأمة فترات من الانقطاع السياسي بحيث سادت بها أنظمة وأساليب حكم لا تجسد فلسفة الأمة في واقعها وخاصة أيام الاستعمار الغربي الذي حكمها بالحديد والنار وعمل كل ما

في وسعه لمسخ شخصية أفرادها وجماعاتها، ولكن الأمة مع ذلك حافظت على كيانها المتميز عبر هذه القرون وتستطيع أن تلمس في هذا الحاضر القريب مظاهر وسلوكيات وردود أفعال سجلها التاريخ مع أسلاف هذه الأمة في القرون الأولى والبعيدة. هناك مسألة "الأندلس" التي في ظاهرها تتعارض مع ما ذكرناه. فالأندلس عمّر فيها الإسلام مدة ثمانية قرون وسادت فيها أخلاق وعادات وتقاليد المسلمين خلال كل هذه الفترة الزمنية، غير أن " أندلس" اليوم يستعرض وجها مغايرا تماما لوجه هذا الماضي المتميز بحيث تكاد لا تلمس شيئا في سلوك الأفراد ومواقفهم يذكرك به. وهذه المأساة التي عرفها المسلمون تطرح فعلا إشكالية يصعب تحليلها وفهمها(عبد الكريم توراتي،1967). ففي الوقت الذي نجد فيه بعض الثقافات تعتبر شرعيا وجودها على أراضي معينة وتقدم كسند لادعائها أن تاريخ إعمارها تلك الأراضي يعود إلى قرنين أو أقل، فإن المسلمين الذين عاشوا في الأندلس قرونا طويلة " انقطع " وجودهم عن هذه المنطقة بصورة كلية و لم تبقى لهم سوى بعض المعالم الأثرية التي يقول سكان هذه المنطقة اليوم أنها من إنجاز المسلمين. ومع ذلك أقول إن واقع الأندلس اليوم هي الصورة المشوهة للأندلس. هذه الصورة سخرت الصليبية الغربية وما زالت تسخر أموالا طائلة لا تقدر وطاقات كبيرة للمحافظة عليها وإيهام العالم بأنها المظاهر التي تعبر بصدق عن الأندلس و بالتالي تُنسي الرأي العام الصورة الأصلية للأندلس. وهذه الجهود المتضافرة للقوى الغربية استطاعت جزئيا أن تحقق هذا الهدف. فلولا وجود كما قلت سابقا بعض المعالم الأثرية لما صدّقت بأن المسلمين سكنوا هذه المنطقة في يوم من الأيام. ولكن وجه الأندلس الاصطناعي الذي فرضه القمع والاستبداد إذا كان يوحي في الظاهر بانقطاع في حلقات تاريخ الأمة الإسلامية فيجب أن ننتظر الفترة التي تُمنح فيها شعوب الأندلس الحريات الحقيقية و تُفكُّ من جميع قيودها لنحكم على هذه المظاهر. فعندما نجد بعض الجمعيات في قلب اسبانيا تطالب برد الاعتبار للمسلمين وتاريخ المسلمين، وتعتبر أن دخول المسلمين إلى الأندلس كان بالنسبة لسكان الأندلس الأصليين نصرا كبيرا وأن ما استفادوا من احتكاكهم بهؤلاء المسلمين لا مجال لإحصائه وتقدير قيمته وأبعاده على كافة الأصعدة والمستويات، وأن ما ظلّت النصرانية الغربية تنسبه إلى المسلمين لا أساس له من الصحة. قلت عندما نسمع عن مواقف كهذه لا نستبعد أن يظهر في يوم من الأيام التيار الجارف الذي يخرق جدار الصمت ويُفصح بحقائق الأندلس الكاملة. ولعلنا نجد أن شعوب هذه المنطقة لم تقطع بصفة نهائية علاقتها بماضيها المشرق ولو أن حياتها اليومية في ظاهرها توحي بذلك. وإنما وجدت نفسها مضطرة إلى إخفاء الشكل ولكنها ظلت تحافظ على الجوهر. والمستقبل حافل بالمفاجئات، فالاتحاد السوفياتي كان في يوم من الأيام حقيقة و ها هو اليوم تفكك إلى عدد من الشعوب

والأعراق. فمن كان يصدق إلى تاريخ قريب أن هذا العملاق سوف يؤول إلى ما هو عليه اليوم؟ و من كان يظن أن جمهوريات من داخل الاتحاد السوفياتي ستصبح أعضاء في المؤتمر الإسلامي ؟

3. إن تاريخ هذه الأمة صنعته مواقف الرجال والنساء. والبشر من طبيعته يصيبون ويخطئون. فلا بد أن نجد في أحداث تاريخها آثارا للإصابة والتوفيق وآثارا أخرى ناجمة عن الخطأ ومجانبة الصواب. وإن تعامل المثقف الأمين مع تاريخ أمته يفرض عليه أن يتأمل في الأحداث المؤلمة بنفس درجة الانشغال والاهتمام التي يتناول بها الصفحات البيضاء والمشرقة من هذا التاريخ، و لا يحاول أن يُبعد عن ذاكرته الممارسات السلبية التي سجلت على أسلافه، فهي جزء لا يتجزأ من ماضي هذه الأمة. هذه الأخيرة عرفت فترات سادت فيها العدالة والإنصاف، وفترات أخرى هيمن فيها الظلم والاستبداد. كما أن في بعض الأوقات احتل العلم مكانة خاصة في حياة المجتمعات الإسلامية التي استفادت منه إلى حدود قصوى واستطاعت أن تسخر نتائجه في تطوير وتحسين حياة أفرادها، لكنها في أوقات أخرى سقطت في أحضان الجهل وظلام الأمية. كذلك فإنها في بعض المراحل عرفت الاستقرار الاجتماعي والتعايش المدني، لكن في مراحل أخرى من عمرها كانت مسرحا لصراعات دموية وحروب طاحنة أتت على الأخضر واليابس. أيضا عايشت فترات التنافس على الخير ونشر الفضيلة والخلق النبيل والتعاون على البر والتقوى، إلا أنها اكتنفتها كذلك فترات أخرى تعاون فيها الناس على الإثم والعدوان واجتمعت كلمتهم على المكر والخداع وعلى ضرب كل مبادئ المروءة والإيمان وخلق عباد الرحمن. والأمة باختصار عرفت أوقات القوة والمساهمة والعطاء وأوقات الضعف والهوان وذل التبعية. وهذا واقع تاريخي لا ينبغي للمثقف أن يجهله أو يتجاهله حتى يتمكن من بناء الصورة الموضوعية عن أسلافه. وهو في ذلك لا يحتاج إلى تقديس هذا التاريخ أو اعتقاد في عصمة الذين صنعوه. كما أشرت سابقا، فإنهم من البشر ويعتريهم ما يعتري الإنسان في كل زمان وفي كل مكان.

4. إن في تاريخ الأمة الإسلامية نتحدث عن عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وعن المكانة الخاصة للمجتمعات التي بنوها. وبالنسبة للمسلمين فإنهم يعتقدون أن خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام عصمه الله من الخطأ وأوجب عليهم محبته وإتباع سنته والاهتداء بهديه ولزوم الأدب معه (البيانوني، 1974، 54–72). يقول الله تبارك وتعالى في محكم تنزيله "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما"(سورة النساء، الآية64). ويقول في آية أخرى "وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا"(سورة الحشر، الآية7). ويقول جل شأنه " قل

إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم"(سورة آل عمران، الآية31) ذلك أن الرسول ﷺ، في اعتقاد المسلمين، يكون حجة على أفراد البشرية وتجب عليهم طاعته في حياته وبعد موته (السباعي،49،1976-57). كما أن المجتمع الذي بناه في حياته هو قدوة لجميع المجتمعات التي ستأتي بعده إلى قيام الساعة. وما عدا هذا المجتمع الذي انفرد بخصائصه وصفاته (الندوي،1945) التي اكتسبها من احتكاك أفراده المباشر بالنبي المعصوم والمؤيد من السماء ﷺ والتي منحته هذه المكانة المتميزة، فإن باقي المجتمعات لا يمكن أن تكون حجة على بعضها.

5. إن المجتمعات الإسلامية عبر هذا التاريخ الطويل رغم أنها كانت تلتقي مع بعضها في كثير من المظاهر التي تستند إلى الثوابت، فإنها لم تكن نماذج متكررة. وهذا يعني أن اعتماد الإسلام في حياة الناس والاحتكام إلى شريعته لا يملي بالضرورة أسلوبا معينا إلا ما جاء مؤكدا على الالتزام به في مصادر المسلمين الموثوقة. ولذلك عندما نتأمل في تاريخ الأمة الإسلامية نجد أن الأنظمة السياسية التي تبناها المسلمون في الحقب الزمنية المختلفة لم تكن متشابهة والطريقة التي وُظّفت فيها مفاهيم كالعدالة والشورى والإمامة أو اختيار الحاكم وتُرجمت بها على أرض الواقع اختلفت من نظام إلى نظام آخر.(حتي،1972، 153-205). لكن الجميع ظل في الظاهر والمعلن من المواقف متطابقا مع مطالب الاسلام ومحتكما إلى شريعته. بعبارة أخرى، إن المجتمعات الإسلامية عبر تاريخها الممتد كانت تلتقي في الثوابت وعلى رأسها الاحتكام في كل أحوالها إلى شرع الله وإقامة شعائر الدين والتعامل بأخلاق وآداب الدين ويستوي في ذلك الحاكم والمحكوم والغني والفقير والذكر والأنثى. وحتى لا يحصل التباس يشوّه الصورة الحقيقية لهذه المجتمعات لا بد أن نضيف أن على مستوى السلوك والمواقف المتعلقة بالأفراد والجماعات وحتى الهيئات، ليس غريبا أو حتى استثنائيا معاينة مظاهر إنسانية تتناقض بدرجات متفاوتة أحيانا حتى مع تعاليم الاسلام التي لا يوجد حولها أي اختلاف مثل تعاطي الربا وتناول المسكرات وممارسة القمار. لكن ما يجب التنبيه إليه أيضا أن جل الذين يقومون بهذه الأفعال أو يسجلون مثل هذه الاستجابات التي لا يقرها الدين الاسلامي هم مع ذلك يعترفون بل ويعتقدون أنهم مخطئون في حق دينهم وأن انزلاقهم إلى ارتكاب السيئات يحصل في وقت ضعف وباللغة المتداولة حين "أوقعتهم غواية الشيطان". ولذلك لا يفاجئك أن تجد سكيرا ربما في حالة سكر عميقة يدافع بكل شراسة عن سمعة النبي محمد ﷺ حين أرادت جهات مختلفة في العالم تشويهها والنيل منها والتشكيك في نصاعتها وكمالها. إن شعور هذه العينة من الأفراد بالانتماء إلى تاريخ حضارتهم وبالاعتزاز بمقدساتهم والارتباط بأعرافهم وتقاليدهم لا يمكن التشكيك فيه وهو أقوى وأعمق مما تعبّر عنه تلك المظاهر

السلوكية المنحرفة التي يستعرضونها في يومياتهم. لا ننفي بطبيعة الحال أن يوجد في طول وعرض العالم الاسلامي من المسلمين من يحمل قناعات أخرى مناهضة لهذه التعاليم أو لا تتوافق معها جزئيا أو كليا، لكن عدد هؤلاء في الواقع قليل وظل كذلك عبر تاريخ هذه الشعوب الطويل، إلى جانب ذلك، الوجود التاريخي لبعض الطوائف الدينية كالمسيحية (مثل أقباط مصر) التي حافظت على كيانها المتميز بمعتقداتها وشعائرها ودور عبادتها وطقوسها الخاصة في تعايش نموذجي مع باقي شرائح المجتمع الاسلامي، مع ملاحظة أن هؤلاء ليسوا أقل حبا واعتزازا وتعلقا وارتباطا بأمتهم من باقي أفراد المجتمع، رغم أن هذه الطوائف بحكم عدد أفرادها تمثل أقلية داخل المجتمع الاسلامي.

لكن عندما نتأمل في واقع المجتمعات الاسلامية، ففضلا عما يستوقفنا من تلك المظاهر التي تميز حياتها عامة والتي تتشابه إلى حد كبير، فإننا نسجل لكل مجتمع إسلامي مظاهر حياتية أخرى يتميز بها عن باقي المجتمعات الاسلامية وتكون بمثابة الألوان الخاصة التي تشهر خصوصياته وتُعرّف بها. وما نراه من هذه الصور المتباينة داخل جسم الأمة الاسلامية الواحد ليس وليد اليوم، إنما هو وضع ثابت لازم تاريخ هذه الشعوب، وهي حالة صحية تستوعبها مقاصد الشريعة الاسلامية التي لا تضيق صدرا بهذا التنوع، بل على العكس من ذلك ترعاه وتستثمر فيه بهدف تحقيق التماسك الداخلي لكل جزء من أجزاء هذه الأمة حتى يقوى على مواجهة تحديات الحياة ويحقق قدرا من الاكتفاء الذاتي يؤهله ليصبح حلقة قوة ضمن المجتمع الأم و ليس فقط تجمعا بشريا تابعا. و بهذه الكيفية كان تفعيل السياسة التكاملية بين أطراف الأمة يتّجه نحو رفاهية المجتمع أو بلغة علماء الأصول دخول مرحلة التحسينات بعد أن تمت تغطية "الضروريات" وتشمل كل ما لا بد منه لتحقيق مصالح الدين والدنيا، والحاجيات فكل ما يفتقر إليه بغرض التوسيع و رفع الضيق والحرج والمشقة، وبعدها "الحاجيات" وتتعلّق بكل ما يُفتقر إليه بغرض التوسيع ورفع الضيق والحرج والمشقة، أما التحسينات فتغطي كل ما يكمل حياة الانسان دون إسراف.(الشاطبي،ج.2،8-11). هذه السياسة اللامركزية التي تمنح كل إقليم أو بلد استقلالية في إدارة شؤونه كانت خلال الفترة المشرقة التي عرفتها الأمة الاسلامية من العوامل الرئيسية التي ساعدت على الدفع بالتنمية المحلية و تطوير الكفاءات عبر كامل جغرافيتها و هو ما مكّنها من تحقيق الاكتفاء الذاتي وسد حاجاتها بالأخص فيما له علاقة بالمواد ذات الاستهلاك الواسع بل وحققت فائضا استفادت منه شعوب أخرى ودول من خارج سيادتها (الندوي،1950). هذا الاختلاف النوعي في المظاهر الفردية والجماعية داخل الولاية الواحدة وبين الأقاليم والولايات اقترن مع مختلف نواحي الحياة بما في ذلك طريقة هيكلة نظام الحكم و بناء أماكن العبادة وكيفية تنظيم الأفراح وأساليب الترفيه عن

النفس فضلا عن التقاليد التي كانت أحيانا تبدو غريبة، أمر طبيعي يدخل ضمن ما يسمى بـ "المتغيرات" التي لا تحافظ على صورة واحدة بل تتحوّل وتتبدل حسب الظروف وعلى ضوء ما تمليه متطلبات الحياة في كل زمان ومكان، كما يُحسب ضمن رصيد الأمة وتجربتها ولا يتحول إلى أمر متنازع حوله إلاّ حين يتعارض بصراحة مع مقصد من مقاصد الدين أو يتناقض مع مبادئه أو قواعده الثابتة. فليس هناك في أصول هذا الدين ما يدعو من قريب أو بعيد إلى التضييق من مساحة الاختلاف والتنوّع داخل المجتمعات الاسلامية خاصة إذا كان يحقق مصالح الناس ويجلب لهم منافع ويمثّل مصدر قوة لهم. وإن استمرار وجود هذا التنوّع بين المسلمين عبر تاريخهم الطويل هو أقوى دليل على أنه ليس أمرا طارئا أو عابرا بل يحتل موقعا طبيعيا في التصور الاسلامي للحياة، لأنه استجابة بشرية فطرية ينبغي مسايرتها وتوجيهها بما يعود على المجتمع بالخير وليس من الحكمة في شيء الوقوف في وجه التعبير عنها لأنها في حقيقتها الوقود الذي يقف خلف كل تطور يعرفه المجتمع. إن الأسس التي يستند إليها الاسلام والغايات الكبرى التي يسير وراءها تتسع لكل ذلك. فماذا يضيره إذا اختلف الناس في طريقة تحقيق الشورى أو طريقة تكريس العدالة أو في أساليب التسيير لمختلف مجالات الحياة بصورة عامة. المهم أن تُمارس الشورى وتُتاح الفرص للتداول حول المسائل والقضايا بالآراء المتعددة والمتعارضة واختيار منها أنفعها، وأن تُجسد العدالة على أرض الواقع حماية لحقوق الناس ورعاية لكرامتهم وضمانا للطمأنينة والاستقرار، وأن تُدار شؤون الحياة في كافة ميادينها على النحو الذي يضاعف المردود العام ويُكسب المجتمع قوة ومناعة ويزيد الأفراد إيمانا بأنفسهم وثقة بمستقبلهم. فإذا كانت الأسباب المستعان بها نبيلة ومشروعة والأهداف صالحة تستسيغها العقول السليمة، فليس وراء الاختلاف في الطرق والأساليب ما يبعث على الخوف والقلق. والمعروف عن المسلمين أنهم– لتسيير واقع مجتمعاتهم– ابتكروا العديد من النظم السياسية، من المجموعات القبلية البسيطة بقيادة الشيوخ، إلى الإمبراطوريات التي يحكمها الخلفاء أو الأمراء أو السلاطين والملوك، إلى الديمقراطيات الدستورية والدكتاتوريات العسكرية. و رغم أنها في الظاهر أنظمة غير متجانسة تختلف عن بعضها في فلسفتها وغاياتها وطبيعة الحكم وأساليب فرض السلطة وضبط الأمن حيث من المتوقع أن تفرز صورا مختلفة من الواقع الاجتماعي، إلاّ أننا حين نراجع صفحات التاريخ الاسلامي نلاحظ أن كل هذا التباعد الظاهري بينها لم يكن يؤثر كما كان يؤثر مستوى تمسك وارتباط هؤلاء الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء والرؤساء بتعاليم الدين الاسلامي. والعناوين التي احتفظ بها السجلّ الحضاري مثل" الخلافة الراشدة " التي يقابلها " المُلك العضوض" و"السلطان الجائر" الذي يقابله " الملك العادل" " فساد الحكم" و"صلاح الحكم"...، هي

خير دليل على ذلك حيث لم تكن العبرة بالعنوان البارز الذي وُصفت به السلطة العليا في المجتمع بقدر ما كانت في سلوك هذا الحاكم أو ذاك إزاء رعيته ومدى استعداده للتعامل معها بأخلاق الاسلام الراقية وقواعد أحكامه المنصفة والعادلة.

6. إن تاريخ الأمة الإسلامية تاريخ طويل وحافل بالأحداث في جميع ميادين الحياة، كما أن تجارب شعوبها عبر كل هذه القرون الممتدة تعددت وتنوّعت لكن مع ذلك ظلت كل هذه الصفحات من الواقع التاريخي غير مستغلة من قبل الإنسان المسلم المعاصر. فمن غير المستبعد أن يجد المثقف في تاريخ أمته أضعاف ما هو متداول إذا هو بدل بعض الجهد وتحمّل بعض المتاعب في محاولة التعرف أكثر على تاريخ الأمة الذي يمثل تجربة بشرية حية يمكن استغلالها واستخلاص منها الدروس والعبر وقد يعفي هذا الجهد المبذول الأمة من تكرار الوقوع في أخطاء الماضي. ولو أن جهود المصلحين لم تتوقف واستمرت عبر كل الحقب الزمنية إلى اليوم سعيا وراء استرجاع الوضع المتوازن الذي يسمح للأمة الاسلامية أن تستأنف مسيرتها (Tamara Sonn,2010 ;Firas Alkhateeb,2014)، والملاحظ أن كل المحاولات منذ سقوط غرناطة إلى حد الساعة واجهتها جهود المناوئين ومخططاتهم من داخل هذه المجتمعات ومن خارجها وعدم السماح لها أن تُحدث أي تغيير يساعد على فك المجتمع الاسلامي من القيود التي تمنعه من الانطلاق والخروج من حالة التردي الثقافي والاقتصادي والسياسي.

7. إن الدراسة النقدية للتاريخ وأحداثه ووقائعه لا يتوفر عليها للأسف الشديد إلاّ علماء الغرب الذين انطلقوا من سلبيات المسلمين ومظاهر عجزهم وقصورهم ومن فترات ضعفهم ليشوّهوا التاريخ وحقائقه. بل، ونظرا لغياب الكتابات المنصفة والواقعية للتاريخ الإسلامي والذي تقف وراءه حملة منظمة تهدف إلى إبقاء تراث المسلمين وصورة تاريخهم الناصعة بعيدا ومهمشا، فإن علماء الغرب استغلوا هذه الثغرة المحدثة ليحتلوا موقع الريادة والتوجيه ويصبحوا كما عرضتهم الدعاية الكاذبة والإعلام الموجه أساتذة مختصين في قضايا الشعوب والأمم يعرفون عنها تفاصيل التفاصيل. وبذلك أصبحوا أساتذة مختصين في هذه الجوانب يتتلمذ عليهم أبناء الأمة الإسلامية الذين يرغبون في التعرف على تاريخ أمتهم بصورة علمية وموضوعية، فعظم شأن الأستاذة المشرفين في هذه الجامعات الناشئة بحيث صار حتى أبناء الأمة الاسلامية يأخذون عنهم ثقافة بلادهم وكيفية قراءة أحداث تاريخهم بل وأساليب تحليل لغتهم العربية وضبط معانيها ودلالاتها وطريقة فهم ديانتهم وآلية استخراج مقاصدها واستخلاص الأحكام منها، فبات الطريق معبدا أمامهم لتطعيم عقول طلبتهم الوافدين عليهم بتاريخ مشوه وحقائق مقلوبة وملبسة بالأفكار المغلوطة والأخطاء القاتلة وزعزعة أصالة العلوم البيانية واللغوية بإخضاع دراستها لقواعد غريبة مستوحاة من

التطورات التي عرفتها دراسة اللغات اللاتينية والأوربية عامة، والاستخفاف ببعض مقدسات الأمة مثل القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف واعتبارهما لا قيمة لهما من حيث أحقية ثبوتهما، والطعن في مصداقية علماء المسلمين القدامى منهم والمعاصرين الذين دافعوا عن لغة أمتهم ودينها والذود عن حرمة أوطانهم ووقفوا عقبة وسدا منيعا في وجه كل محاولات استباحتها التي لم تتقوف من أعدائها التقليديين وغيرهم عبر تاريخها الطويل، وليس هذا فحسب بل وإبعاد كتبهم ومنشوراتهم وكل ما خلفوه من كنوز المعرفة عن التداول داخل المكتبات الجامعية حتى لا يتواصل معها طلابهم، وفي المقابل تلميع صورة علماء منبوذين داخل مجتمعاتهم عُرفوا بأفكارهم التي لا تتوافق مع ما معتقدات الشعوب وتقاليدها وبمواقفهم المناهضة لمصالح أمتهم وبولائهم لأعدائها. والهدف الأول من كل هذه الجهود المضنية والمرهقة زعزعة ثقة هؤلاء الوافدين بتراث أمتهم وتاريخها وأبطالها و رواد حضارتها وإعدادهم كجيل من العلماء والمفكرين يعودون إلى بلدانهم لتلقين طلابهم بضرورة التخلص من التقاليد والأعراف التي انتقلت إليهم جيلا عن جيل والتحرر من الأفكار والممارسات والعادات والطقوس الموروثة لأن مواصلة التعلق بماضيهم على هذا النحو سيمنع مجتمعاتهم من تحقيق أي تقدم ولن تتحقق جودة الحياة التي ينشدها الجميع ما لم يديروا ظهرهم بصورة نهائية لهذا التراث الذي بات عبئا ثقيلا عليهم. من أقوى مؤشرات نجاح خطتهم أن المسلمين الذين ينتمون في الأصل إلى حضارة العلم والمعرفة باتوا بالآلاف يتوافدون على الجامعات الغربية طلبا للعلم والتماسا للخبرة المتخصصة.

وتوجد أسباب موضوعية دفعت المفكرين العرب والمسلمين إلى الاهتمام البالغ بالعالم الغربي وشجعت بعضهم على التقرب أكثر منه والتنقل إلى بلدانه والاحتكاك المباشر بثقافته ونمط عيش مواطنيه من أبرزها أن نجمه مع بداية القرن التاسع عشر بدأ في الصعود إثر التحول التدريجي والكبير الذي ظهرت مؤشراته الأولى خلال القرنين الرابع والخامس عشر مثل الارتفاع النسبي في معدلات معرفة القراءة والكتابة المنخفضة وظهور بعض الجامعات في أوروبا، في مقابل حالة الركود القاتل والتقهقر السريع الوتيرة التي دخل فيها العالم الاسلامي، فكانت تحدو هؤلاء الشباب الطموحين الرغبة الصادقة والبريئة في التعرف على تجربته والوقوف على العوامل التي ساهمت في توفير الظروف المساعدة على الخروج من أوضاعه البدائية المزرية التي عمرّت قرونا متتالية طغى فيها الجهل والمرض والفقر والتخلف، أملا في أن يتمكنوا من استيعاب التجربة الغربية والاستفادة منها لإخراج بلدانهم من العجز ودفع عجلة التطور فيها. لكن عددا من الطلبة الذين التحقوا في تلك الحقبة الزمنية بالجامعات الغربية لمتابعة الدراسة بها تأثروا بحضارة الأوروبيين وإنجازاتهم ومخترعاتهم في مختلف الميادين وتفوقهم الظاهر وتطورهم وبمعاملاتهم وآدابهم

وطريقة تعايشهم مع بعض إلى درجة الانبهار بهم والتعلق بنمط حياتهم فارتمى بعضهم في أحضان ثقافتهم، فتحوّل عدد من هؤلاء الأبرياء إلى أداة مسخرة تشارك عن قناعة وبصورة مباشرة في تشويه تاريخ أسلافهم. وشيئا فشيئا بدأت تعلو أصوات في العالم العربي والاسلامي تبشر بالرقي والتطور وبالحياة الأفضل وتقرنه بالحاجة إلى التحول الجذري وطيّ صفحة الماضي.

ومن المفكرين الذين تأثروا بالفكر الغربي وانبهروا بإنجازاتهم الحضارية وأصبحوا يدعون النخبة من أبناء العالم العربي والاسلامي إلى اعتماده للخروج من الأزمة الفكرية *شبلي شميل* (ت1917) الذي لا يرى بأسا في تقليد التجربة الغربية وهو أحد المتحمسين الكبار لنظرية النشوء والارتقاء وأول من قدم أفكار داروين للقراء العرب، وكان يدعو إلى تبني العلم والرفع من شأنه لأنه أساس كل شيء واعتبره أولى بالتقديس من الدين، لأن قوة الأمم، في تقديره، تكمن في ضعف سلطان الدين فيها، وتُقاس بمدى تسخيرها للعلم والمعرفة في حياتها. ومن مؤلفاته "الحقيقة" و"آراء الدكتور شبلي شميل" و"فلسفة النشوء والارتقاء" و"حوادث وخواطر" و"كتابات سياسية وإصلاحية".

وممن انبهروا أيضا بالغرب وتأثروا بالمدرسة الغربية ومفكريها وسلكوا طريق شبلي شميل متأثرين بآرائه المفكر سلامة موسى.(ت1958) ومما عُرف به هذا الأخير:

- اتخاذه موقفا سلبيا من الأدب والتراث العربي، ورفضه تقليد الأدب المصري للأدب العربي، حيث نصح أدباء مصر خاصة أن يتوجهوا نحو الأدب الأوروبي التقدمي، كما أنه طالب بإحياء القوميات القديمة وبناء انتماء مصر على الفرعونية. هذا الرأي دافع عنه قبله أحمد لطفي السيد(ت1963)، الذي لم يكن يشجع على مواصلة إحلال اللغة العربية موقعها المتميز ودعا بدلا من ذلك إلى استعمال اللغة العامية.

- الدعوة إلى تبني العلمانية وضرورة تحييد دور الدين في الحياة.

- اعتماد اللسان الدارج بدلا من اللغة العربية الفصحى بهدف توحيد لغة الكلام ولغة الكتابة. ولاشك أنها وسيلة ذكية لتهميش اللغة العربية باعتبارها وعاء الحضارة الاسلامية، وكل ذلك يستهدف بالأساس الهوية الاسلامية وأهم عامل تماسك شعوب ومجتمعات بلاد الشرق.

-اعتبار العلم دين البشرية الجديد وأن الدين المشحون بالغيبيات وسيلة تخدير للشعوب واستغلالها متبنيا أنه هو سبب تخلف الشرق ولن تحدث أي نهضة إلا برفضه، إذ حسب رأيه، " ليس للإنسان في هذا الكون ما يعتمد عليه سوى عقله".

-اعتباره السير في ركاب الغرب والتنصل عن الشرق، وغرس قيم وعادات الانسان الغربي، هو الاختيار الوحيد الذي يمكن أن يُخرج العالم الشرقي من تخلفه حتى أنه طالب مصر في كتابة "مقدمة السوبرمان" بقطع صلتها بالشرق والتوجه إلى الغرب.

ويمكن الاطلاع على مزيد من أفكار وأطروحات سلامة موسى بالعودة إلى مؤلفاته العديدة التي أحدثت ضجة وأثارت جدلا كبيرا مثل "تربية سلامة موسى"، و"مقدمة السوبرمان"، "أحاديث إلى الشباب"، "الانسان قمة التطور"، " نظرية التطور وأصل الانسان"، "البلاغة العصرية واللغة العربية"،" في الحياة والأدب"، "في الحياة"، "عقلي وعقلك"، "هؤلاء علموني"، "المرأة ليست لعبة الرجل".

ومن المشاهير الذين تتلمذوا على سلامى موسى الروائي والكاتب المصري نجيب محفوظ (ت2016) الذي حصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1988 والذي يعترف له بالفضل قائلا: أنا ممتن للأستاذ *سلامة موسى* فقد كنت أعرض ما أكتبه عليه فيشيد بموهبتي.

إن النموذج النهضوي والتقدمي الذي تؤمن به هذه الفئة من المثقفين المنبهرة بالغرب والذي يطالب مواطن الشرق بالتخلي عن كل شيء ظل يتميز به عن غيره بما في ذلك لغته ودينه وأن ينخرط بدون هويته التاريخية في نمط الحياة الغربية بصورة كلية ودون مصاحبة أية مرجعية تعود إلى ماضيه هو مشروع انهزامي استسلامي، يستبدل قيود التقاليد التي تعوق النهضة في الشرق، على حد تعبير مصطفى عاشور، بقيود الغرب في التبعية والاستعمار. ولا غرابة فإن كل أسماء المفكرين والأدباء التي ذكرها سلامة موسى في كتابه "هؤلائي علموني" هم غربيون، قال عنهم في مقدمة مؤلفه :"وقد تأثرت بهؤلاء الكتاب الذين ذكرتهم في هذا الكتاب وأحببتهم وعظمتهم و وجدت فيهم النور والتوجيه". نعم أضاف "ولكني حاولت الاستقلال"، ويبدو أن محاولته تلك لم يكن فيها موفقا، لأن ما يميز الأطروحات التي تُنسب إليه والتي ظل يدعو إليها ويدافع عنها أنها ليست أصيلة وإنما هي في غالبها أفكار متداولة في الأوساط الغربية تم نقلها إلى اللغة العربية وهو لم يبدع منها شيئا إلا جهد الترجمة إذا لم يكن استعان فيه ببعض المستشرقين الذين كانوا يتقنون اللغة العربية ويلمّون بقواعدها وآدابها ويشرفون على تدريس علومها في المعاهد الأوروبية المختصة في حضارة وثقافة الشرق. ولعل أبرز وجه تباين مع من تأثر بهم أنه امتنع أن يذكر ولو اسما واحدا من العلماء الذين ينتمون إلى الحضارة العربية والاسلامية التي امتدت قرونا من الزمن وشمل نفوذها بقاع الأرض، في الوقت الذي لم يجرؤ علماء الغرب على إنكار تأثرهم الكبير خلال فترة زمنية طويلة بعلماء المسلمين ويدينون إليهم تقريبا في كل مجالات العلم والمعرفة وشهادتهم على ذلك كثيرة لا يمكن حصرها وسوف نكتفي

بالإشارة فقط إلى عينة صغيرة منها على سبيل التأكيد والاثبات.Meyers,E.A.,
(Hayes,J.,1983;Watson,A.M.,1983;
1964; Thompson,J.W.,1929; M.H. Morgan ,2008; De Lacy O’Leary,2003)

والحقيقة التي لم يستطع أحد تجاوزها هو اتفاق رأي علماء الغرب والشرق على أن عصر الاسلام هو عصر ذهبي ساهم في إخراج الانسانية من الجهل والتخلف والمرض وجلب لها الخير العميم الذي شمل مجالات الحياة كافة. (Simonton,D.K.,2018; Lombard,M.,1975; West,J.B, 2008; wikipedia.org/wiki/Islamic_Golden_Age)

في الوقت الذي كان الغرب يتخبط في ظلمات القرون الوسطى التي تميزت بالحروب الدينية الطاحنة وسيطرة الكنيسة ومطاردة العلماء وانتشار الأمراض والأوبئة وتفشي الأمية والجهل وغياب أبسط مظاهر التمدن والتي امتدت من القرن الخامس ميلادي حتى القرن الخامس عشر ميلادي. هذا الإجماع لم يشذ عليه إلا قلة من المكابرين الذين ضل سعيهم حين حاولوا يائسين حجب نور الشمس عن الانسانية.

ويستطيع القارئ أن يستقي معلومات مفصلة أكثر عن مساهمة المسلمين التي غيرت وجه العالم وفتحت صفحة مشرقة تبعث من جديد أمل الشعوب والأمم بالعودة إلى بعض الكتب التي أرّخت لهذه الفترة وبعض ما أنجزه المسلمون خلالها في مجالات اللغة والفلسفة والأدب، والفنون والعمران، والفلك وعلوم الأرض والجغرافية ورسم الخرائط، وفي الرياضيات والفيزياء و الكيمياء وفي الطب، وذلك بالعودة إلى ما كتبه علماء الغرب أنفسهم عن هذه الحقبة من تاريخ البشرية أمثال *جوستاف لوبون* (ت1931) في كتابه حضارة العرب الذي ألفه في1884، (Gustave Le Bon.,1984) ونقله إلى اللغة العربية عادل زعيتر(1945) و*جاك ريسلر* في كتابه "الحضارة العربية " *civilisation arabe* "(Risler, 1955) الذي تناول فيه أهم الأسس التي بُنيت عليها تلك الحضارة وعرض صورا عما بلغته في ذروتها وكذلك كيفية تأثيرها على الحضارة الغربية. ومن بين الذين قاموا بترجمة الكتاب إلى اللغة العربية خليل أحمد خليل(1993)Risler .

ومن الأسماء التي برزت ضمن عشرات الآلاف من نوابغ وعلماء ومفكري وفلاسفة الحضارة الاسلامية:

البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد Al-Biruni (ت1048) فيلسوف كبير وعالم بارز في الرياضيات والفيزياء والطب والعلوم الطبيعية والجغرافيا وعلوم الأرض، وفي علم الفلك والطب والتاريخ، واعتبره البعض أب الصيدلة، فضلا عن أنه كان شاعرا ورحّالة. ومن مؤلفاته: "الصيدنة في الطب" و"القانون المسعودي" في علم الفلك والجغرافيا والهندسة، و"الجماهر في معرفة الجواهر"، في علوم المعادن، وطبع في حيدر آباد بالهند سنة

1936. وقد وصفه هارتز Laurent Hertz بعبقري زمانه (Herz, L.,2008). ونظرا للشهرة التي عرفها هذا العالم فقد كتب عنه عدد كبير من الباحثين في الشرق والغرب وكلهم أشادوا به واعترفوا بفضله على العلم والعلماء كل على حسب اهتمامه وبطريقته الخاصة. (Yano, M.,2007; Massignon,L.,1951;Douglas,A.V.,1973;Hill,D.R,1985;Pines,S.,1964; Scheppler, 2006; Sanagustin, F.,2003; Kennedy,E.S.,1963)

وتقديرا لجهود البيروني أصدرت أكاديمية العلوم السوفيتية في سنة 1950 مجلدا تذكاريًا عنه بمناسبة مرور ألف سنة على مولده. وأنشأت جمهورية أوزبكستان جامعة باسم البيروني في طشقند؛ تقديرا لمآثره العلمية، وأقيم له في المتحف الجيولوجي بجامعة موسكو تمثال يخلد ذكراه، باعتباره أحد عمالقة علماء الجيولوجيا في العالم على مر العصور. (https://www.marefa.Org/أبو_الريحان_البيروني)

الزهراوي، أبو القاسم الذي لُقّب بأب الجراحة (Wijesinha,1983) إذ يعتبر أول من أجرى عملية استئصال للغدة الدرقية في سنة 925م (Ignjatović,2003) والذي قال عنه المستشرق الفرنسي *جاك ريسلر* (Risler,1955) "شرع الجرّاح الكبير أبو القاسم الزهراوي علمَ الجراحة، وابتكر طرقا جديدة في الجراحة، امتدَّ نجاحُها فيما وراء حدود إسبانيا الإسلامية بكثير، وكان الناسُ من جَميع أنحاء العالم المسيحي يذهبون لإجراء العمليات الجراحية في قرطبة" (ريسلر في كتاب " La civilisation arabe الحضارة العربية") .

الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن موسى (ت847م)[1] من خوارزمة (أوزبكستان) عالم في الفلك والرياضيات، وُصف ما قدمه من أعمال بأنه منطلقا حاسما في تقدم علم الرياضيات في زمنه. كما كتب عن الأرقام الهندية والعربية. وكلمة "لوغاريتم" المتداولة هي في الأصل مشتقة من اسمه. وكان ينتمي إلى بيت الحكمة وعضو بارز من أعضاءه في عهد الخلافة العباسية. ومن أشهر كتبه "حساب الجبر والمقابلة" الذي ترجم إلى اللغة اللاتينية (Calculation for Integration and Equation) **في القرن الثاني عشر من قبل جرار** كريمونة (Hughes,B.,1986) Gerard of Cremona *وروبرت تشيستر* Robert of Chester، وترجمه إلى اللغة الانجليزية كاربينسكي لوبس شارلز (Karpinski, L.C.(Ed.).,1915).

ابن سينا، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي Ibn Sina (Avicenne) (ت1037). ويعتبر أول من كتب في الطب، بل إن كتاب القانون في الطب ظل خلال سبعة قرون متوالية المرجع الرئيسي في تعليم هذا الفن في الجامعات الأوروبية واستمر

---

[1] – تذكر بعض المراجع أنه توفي بعد 232هـ أي بعد 847م.

الاعتماد عليه حتى أواسط القرن السابع عشر (شوقي أبو خليل، 2002، ص.511). وبسبب النتائج المذهلة التي حققها في الواقع سواء من حيث الوصف الدقيق للأمراض والطرق الناجعة في علاجها فضلا عن الحكمة التي عرف بها فقد كان يسمى الشيخ الرئيس وسمي كذلك بأمير الأطباء كيف لا وهو الذي سجل منذ سنة 1025م في مؤلفه "القانون في الطب" أن فترة 40 يوما من الحجر الصحي ضرورية لإضعاف انتشار العدوى وهو احتياط صحي وقائي لا زال يعمل به إلى اليوم. وكان لابن سينا حضور متميز في مجالات أخرى كالفلسفة والعلوم الطبيعية، وكتابه "الشفاء" هو عبارة عن موسوعة علمية جامعة لمجالات عديدة مثل الحساب والهندسة وعلم الفلك والمنطق و الحكمة وعلم النفس. ("القانون في الطب".، "كتاب الشفاء: المنطق".، "كتاب الشفاء: الرياضيات، جوامع علم الموسيقى".، "عيون الحكمة".، "السياسة" ...).

ومن المعاصرين الذين اهتموا بهذا العلامة الفريد وبتراثه العلمي والفلسفي والأدبي الضخم *وينوفسكي*(2018; 2012; Wisnovsky.R,2003) *وفاجدة* (Vajda,G.,1952) و *ريزمان* (Reisman,D.C,2002) *وماكجينيس*(McGinnis,J.,2010) *وليزيني* (Lizzini,O.,2015 ;2009) *ولانجرمان*(Langermann,T.,2009) *وجانسنس* (Janssens,J.,1991,1999) و *جوتاس*(Gutas,D. 2004) و *جوهلمان* (Gohlman,W.E.,1974) و *جواشون* (Goichon,A.M.,1938) *تشانز* (Tschanz,D.2003) *وآدامسو* (Adamson,P.,(ed.)2013) *دافيدسون* (Davidson, H.A.,1972). وإن قائمة أسماء الذين لا زالوا متأثرين بآراء وقناعات وأطروحات ابن سينا تطول مما يؤكد أن ما خلفه لا زال يحتفظ بقيمته العلمية والحضارية. أما الذين تأثروا به وأخذوا عنه وكتبوا حوله من القدامى عبر القرون الماضية فلا يمكن حصرهم لأن إنجازات ابن سينا كانت حاضرة بينهم بلا منافس عبر كل الأجيال التي تعاقبت خلال أكثر من ستة قرون. فلا يتسع المقام لذكرهم ويكفي أن نشير هنا إلى أن علماء العصور الوسطى- تقديرا له واعترافا بقيمة أعماله- لقّبوه بأسماء مثل جالينوس الإسلام، والأمير ورئيس الأطباء، والمعلم الثاني بعد أرسطو، وأرسطو العرب...إلخ

ابن النفيس، أبو الحسن علاء الدّين عليّ بن أبي حزم(1213م-1288م)، هو أبو الحسن علاء الدين علي بن أبي الحزم الخالدي المخزومي القَرشي الدمشقي الملقب بابن النفيس. رغم أنه كان بارعا في عدة مجالات العلم والمعرفة، وأحد رواد علم وظائف الأعضاء في الإنسان، واعتبره كثيرون أعظم فيزيولوجيّي العصور الوسطى، (Ghalioungui, P.,Jundi,A.R.,& Hasan, H.M.,1982) ، إلا أنه اشتهر بصفة خاصة في الطب، فكان الطّبيب الخاص للملك الظاهر بيبرس(ت1277 م). وهو أول من اكتشف الدورة الدموية

الصغرى وذلك بثلاثة قرون أو أكثر قبل الاسباني سيرفيتوس والانجليزي ويليام هارفي Harvey William (ت1657). هذا الأخير يُنسب إليه اكتشاف الدورة الدموية الكبرى، ولكن الاشكال الذي يظل مطروحا أن ابن النفيس الذي قدم تفاصيل دقيقة حول الدورة الدموية الصغرى وذلك في 1288م لا بد أن يكون قد أثر ولو بشكل غير مباشر في أعمال من جاء بعده وخاصة مع الظهور اللاحق لنفس الوصف للدورة الرئوية في أعمال *مايكل سيرفيتوس*(ت1553)Michael Servetus و*ريلدوس كولومبو*(ت1559) Realdus. Colombus

من ناحية أخرى فإن ويليام هارفي الذي يُنسب إليه اكتشاف الدورة الدموية والذي تخرج من جامعة "بادوفا" في جنوب إيطاليا، كما يوضح مؤرخ العلوم الشهير جورج صليبا من جامعة كولومبيا بنيويورك، جامعة كان من بين أعضاء كلية الطب بها الطبيب المميز أندرياس ألباجوس *Andreas Alpagos* (ت1520). وهو ما يؤكد، كما يرى صليبا، احتمال أن يكون عمل ابن النفيس أثر بشكل غير مباشر على اكتشاف ويليام هارفي من خلال *فيزاليوس* Andreas Vesalius(ت1564) *وكولومبو وسيرفيتوس* على اعتبار أن هؤلاء جميعا تأكد اتصالهم بأندرياس ألباجوس. هذا الأخير بقي في دمشق أكثر من خمسة وعشرين سنة كطبيب فتعلم اللغة العربية وحسّن مستواه فيها بحيث باشر بصورة خاصة ترجمة أعمال بن سينا وبن النفيس الطبية. وترجم لهذا الأخير كتابه الذي يصف فيه الدورة الدموية الرئوية وطُبعت هذه الترجمة بالبندقية في1547 وكان أستاذا بجامعة بادوا بإيطاليا Padu University التي حصل فيها *هارفي* على شهادة الدكتوراه في سنة 1602. وفي تعليق لصليبا، يستبعد فيه أن تتضمن نسخة ترجمة *أندرياس* لأعمال بن النفيس والموجودة في جامعة بولونيا ما يتعلق بالدورة الرئوية للدم. (Saliba,G.,2007; Arabic Science in Sixteenth-Century Europe; Saliba,G.,2007;Science and the making of the European Renaissance)

و من مؤلفات ابن النفيس في الطب والفزيولوجيا:

– "*الشامل في الصناعة الطّبية*" و "هو أكبر موسوعة علمية في التاريخ الإنساني يكتبها شخص واحد. وجاءت مسوداتها في ثلاث مئة مجلد، بيَّض ابن النفيس منها ثمانين فقط ثم وافته المنية". /الشامل_في_الصناعة_الطبية. ar.wikipedia.org/wiki

– "*المهذّب في الكحل المجرّب*": كتاب في طب العيون.. علما بأن ابن النفيس أبدع في تناول عملية الابصار وكانت فيها قراءات متوازنة ونظريات ذات مصداقية نظريات ولعله أول من اعتبر العين آلةً للبصر.

– "*المختار من الأغذية*": كتاب قدم فيه آراء حول أهمية تنظيم الغذاء وانعكاس ذلك المباشر على صحة الأبدان، حيث يعتبر أول من نبه على ضرورة الاعتدال في تناول الملح وعن أخطار هذا الأخير وما يمكن أن يسببه من ارتفاع في ضغط الدّم، وقد عرف عنه في معالجة المرضى اعتماده على مراقبة الغذاء وتنظيمه أكثر من اعتماده على الأدوية، وكان يضع شروطا لاستخدامها كتعيين الوقت الأنسب وتحديد المقدار المطلوب.

- "*كتاب الموجز في الطب*" والذي رُتّب على أربعة فنون، تناول في الأول قواعد الطب العلمية والعملية، وفي الثاني الأدوية والأغذية المفردة والمركبة، أما الثالث فقدم فيه الأمراض المختصة بكل عضو، في حين تناول في الرابع الأمراض التي لا تتعلق بعضو بعينه، مع توضيح أسبابها وأماراتها وكيفية معالجتها. والكتاب عبارة عن اختصار لما جاء في "القانون" لابن سينا.

ومن مؤلفاته كذلك كتابه "شرح تشريح القانون لابن سينا " وقد أورد فيه شرحا دقيقا للدورة الدموية الصغرى.

ومن مفكري الغرب والباحثين الذين اعترفوا بفضل هذا العالم الموسوعي ونوّهوا بمساهماته العلمية *جون واست*(West,2008) ، و *فورستار* (Forrester J.,(1978 ***وماسيك و الآخرون*** (2008) Masic,I., et al، و *أومالي* 1957, O'Malley ، و *ميارهوف*، 1935 , Meyerhof، *ولوفلوش بيرجنت ودولفان* Le Floch-Prigent & Delaval,2014، *وكبولة* Coppola,(1957) *وسافاج سميث* Savage-Smith, (1980).

الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (ت303هـ). وصفته زجريد *هونكه* في مؤلفها الشهير" شمس الله تسطع على الغرب"(زيغريد هونكه، 1993، ص,243) بأنه أعظم أطباء الانسانية على الاطلاق، ولا غرابة في ذلك إذ يكفي أن نتصفح ما بقي من كتابه الفريد "الحاوي في الطب" لنرى أنها موسوعة مفتوحة على كل فروع الطب ضمت كل المعارف الطبية منذ الإغريق حتى عام 925 سنة وفاة صاحب الكتاب. وأقوى الأدلة على صحة هذا التقدير أنه ظل مرجع الطب في أوروبا لمدة أربع قرون، ولعل الاشارة التي تضمنها كتاب *زيغريد هونكه* المشار إليه آنفا حول مكتبة كلية الطب الباريسية قبل600عام التي لم تكن تحتوى سوى على كتاب واحد هو كتاب الرازي الذي أقام الباريسيون نصبا له في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم" تؤكد ذلك. وإن عدد كتب الرازي يتجاوز المائتين شملت ميادين الفلسفة والكيمياء والطب وفروع المعرفة الأخرى بعضها في حجم موسوعات ضخمة وبعضها مقالات قصيرة، ترجم منها إلى عدد من اللغات خاصة ما تعلق منها بالطب والفيزياء و الكيمياء أو فصول منها أساسا من أجل الاستفادة منها وتدريسها في

الجامعات الغربية لا سيما في هولندا التي كانت كتب الرازي في جامعاتها من المراجع الرئيسية حتى القرن السابع عشر.

و من مؤلفات أبي بكر الرازي:

- كتاب "أخلاق الطبيب".
- كتاب "الطب الروحاني".
- كتاب "الحاوي في الطب"، تناول في *المجلد الأول* أمراض الرأس، أمراض العين، أمراض الأذن، والأنف، والأسنان. وفي *المجلد الثاني* تناول أمراض الرئة، أمراض المريء والمعدة وما يتعلق بذلك، فضلا عن الاستفراغات والتسمين والهزال. أما *المجلد الثالث* فتعرض فيه لأمراض الثدي والقلب والكبد والطحال، وأمراض الأمعاء، وأمراض الرحم والحمل. وتعرض في *المجلد الرابع* لأمراض الكلى ومجاري البول وغيرهما، والديدان في البطن والبواسير.

ومن كتبه المشهورة كذلك "المنصوري في الطب" وهو الكتاب الذي أهداه أبو بكر الرازي إلى المنصور بن اسحق حاكم الري (إيران حاليا). تضمن الكتاب عشر فصول غطت الستة الأولى منها الجوانب النظرية من خلال المحاور التالية:1- الحمية الغذائية، 2- النظافة، 3- التشريح، 4-علم وظائف الأعضاء، 5- علم الأمراض العامة، 6- الجراحة، بينما عرض في الفصول الأربعة الباقية جوانب تطبيقية وعملية للطب من بين ما تناول فيها "التشخيص"، "العلاج "، "الجراحة "...

وإن علماء الغرب الذين تأثروا به وكتبوا عنه أو ترجموا له بعض أعماله خلال عشر قرون كثيرون و ربما لكثرتهم وتنوع أصولهم بقي الحديث عن إنجازاته حيا طريا إلى اليوم، ويحصل ذلك في بيئات ثقافية مختلفة وبلغات عديدة بحيث في عز القرنين العشرين والواحد والعشرين تُقدّم حوله أطروحات لنيل الشهادات الجامعية العليا وتُنظم باستمرار منتديات وملتقيات إقليمية و دولية تتناول جوانب بارزة من مساهماته و يشارك فيها علماء كبار من مختلف بلدان العالم ، كما نشرت كتب تناولت جوانب من مساهماته .

(Daghestani, A.N.,1997; Ligon, B.L.,2001; Goodrich, J.T.,2014; Meyerhof, M, 1935; Tsoucalas, G., et al.,2018; Richter-Bernburg,L.,1994; Shoja, M.M., et al., 2009; Andelman, Y.,1993; Brion, F.,1989; Pormann, P.E.,& Selove, E.,2017; Marion, P.,2010; Band, I.C., & Reichel, M.,2017; Changizi, A.S.,& Sirous, A., 2010; Aciduman, A.,2016; Aciduman, A.,& Belen, D.,2009; Rockey, D.,& Johnstone,P.,1979; Temkin,O.,1942; Hashempur,M.H.,etal.,2017; Музаффарова,С.К.,2016; Greenham, P.,2016 ;Yilanli,M.,2018 ; Straface,A., 2011;Whitehead, E.D.,&Bush, R.B.,1967; Heym, G.,1938; Ruska,J,1937)

بن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد(595هـ) Averroes : فيلسوف من أهم فلاسفة الإسلام وطبيب(كان طبيبا لخليفة الموحدين وكان طبيبا لأبي يعقوب يوسف) وفقيها وقاضيا (تولى القضاء في قرطبة وفي إشبيلية) وفلكيا وفيزيائيا عربيا مسلما أندلسيا. اشتهر بقراءته المتميزة لآثار أرسطو. واجهته صعوبات في حياته بسبب آراءه حيث اتّهم بالكفر وهو ما أفقده مكانته عند الخليفة يعقوب الذي قرر إبعاده عنه.

كان لمدرسة ابن رشد أثر كبير في صياغة المنهج الفلسفي الذي تبناه الغرب ذلك أن أرسطو الذي تعلق به فلاسفة الغرب هو في الحقيقة أرسطو كما عرضه ابن رشد في شروحه وتعليقاته ليس إلا. (Rosenthal,E.I.J.,1934,1958 ; Lerner, R ,1974, 2005)

بل إن هذا التأثير شمل حتى فلاسفة مسيحيين بارزين كـ *توما الأكويني*(ت1274م) (Elders, L.J.,1994; Cerami,C.,2009 ; Steiris, G.,& Lyckoura, d'Aquin Thomas N. ,2013 ;).

علما بأن توما الأكويني هو أحد معلمي الكنيسة الثلاثة والثلاثين، والذي يعرف بالعالم الملائكي Angelicus Doctor والعالم المحيط Universalis Doctor (تصنيف: توما الأكويني، wikipedia). وشمل التأثير كذلك فلاسفة من اليهود كـ *موسى بن ميمون* (**ت**1204**م**) وهو أشهر فلاسفتهم في القرون الوسطى الذي يعتبرونه ثاني أعظم رجلٍ في تاريخهم بعد موسى عليه السلام. ومن شدة هذا التأثر بالثقافة الاسلامية وبأفكار علماء المسلمين فقد كتب عنه إسرائيل ولفنسون" لسنا نعلم رجلًا آخر من أبناء جلدتنا غير ابن ميمون، قد تأثر بالحضارة الإسلامية تأثرا بالغ الحد حتى بدت آثاره، وظهرت صبغته في مدوناته من مصنفات كبيرة ورسائل صغيرة." (إسرائيل ولفنسون، 1936، ص."ك") ولأن هذا الأمر كان جليا فقد وصف بعضهم بن ميمون ثقافيا بالفيلسوف الاسلامي، وجاءت أوجه التأثر بالثقافة الاسلامية الحاضنة لحياة الأندلس التي نشأ متنوعة وظهر بعضها واضحا في بعض كتاباته مثل التي تتعلق بصياغته للمبادئ الثلاثة عشر للديانة اليهودية والتي لا يخفى فيها تأثره بما يقوله علماء التوحيد المسلمون(أشرف حسن منصور،2014)، ولعل ذلك هو السبب المباشر الذي أثار الجدل في أوساط اليهود في بداية الأمر مما أدى بكثير من أبناء الطائفة اليهودية لتجاهلها خلال قرون، لتصبح معتمدة فيما بعد وبصفة إجبارية مع اليهود الأرتودوكس. وإن غالبية الذين توقفوا عند هذه العلاقة الخاصة التي تربط فحوى كتابات الفيلسوف ابن ميمون بروح الثقافة الاسلامية لم يستطيعوا استبعاد أن يكون فعلا قد تأثر بهذه الأخيرة(عبد الرحمن خلفة، 2014.، الحمومي بدر و مليكة أزعوم، 2019.، حسن كامل إبراهيم، 2003.، زينب محمود الخضيري،2007)

و من مؤلفات ابن رشد:

– " بداية المجتهد ونهاية المقتصد" في الفقه.

– "مناهج الأدلة في عقائد الملة ". من المصنفات الفقهية والكلامية في الأصول.

– " فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصال " ، من المصنفات الفقهية والكلامية. والذي أكد فيه على التفكير التحليلي واعتبره شرطا أساسيا لتفسير القرآن الكريم.

– " تهافت التهافت" الذي كان رده على بعض ما جاء في كتاب أبي حامد الغزالي في " تهافت الفلاسفة".

من الذين اهتموا بهذه الشخصية الفذة خلال العقود الأخيرة وكتبوا عنه وعن بعض ما تركه من آثار:
(Arnaldez,Roger,1957; Chandelier, Joël, 2020; Belen, D.,& Bolay, H., 2009; Forcada, Miquel ,2007; Glasner, Ruth, 2009; Iskandar, A. Z., 2008; Sonneborn, Liz ,2006; Taylor, R.C.,2005; Geoffroy,M.,1999;2020; Urvoy, D., 2011; Allard, M,1952; Jolivet, J.,1999; Attali, J.,2004 ; Forte, F.,2015; Rétat, L.,2001 ; Ǧumʿaï, A.,1990 ; Lory,P.,1995; Ramón Guerrero,R.,2005; Flasch, K., & Schmutz, J., 2008 ; Adamson,P.,2002; Gauthier,L, 1909 ; 1948). وهو ما يؤكد كذلك أن ابن رشد لا زال حيا في ضمائر العقلاء المنصفين بمختلف انتماءاتهم الفكرية والعقدية والجغرافية وأن ما قدمه يتأكد مع مرور كل هذه المدة الزمنية أنه كان في جوهره علما خالصا لا لون له وموجها أصلا لخدمة الانسان من حيث هو بدون أي اعتبار آخر.

هذه النماذج البشرية في هذا المستوى من الالمام العلمي وبهذا الحجم من العطاء والمساهمة ليست سوى بعض ثمرات عملية التطور والرقي الذي أدركته الحضارة الاسلامية، وهو ما دفع بعضهم– أمام هذا العطاء الحضاري الممتد الذي لا يمكن إنكاره– إلى الوقوف على أوجه التشويه وسوء الفهم الذي تعرض لها الاسلام قديما وحديثا والتي عرضت صورة مغايرة تطعن في مصداقيته (Wiegand,K.E.,2000; Beckingham,C.F, 1976;Hanley,D.C.,2007;Chapman,C.,1996;Vaswani,T.L.,1938; Wu, R.A.,1993; Michener,J.A.,1955; Blanks,D.R.,1999; Pratt,D.,2016) ، في الوقت الذي يصر فيه بعض أنصاف العلم من داخل الأمة العربية والاسلامية ومن خارجها إنكار ذلك كله واعتبار الثورة الصناعية بداية الحضارة الانسانية. ولأن هذا الاختيار الذي حلم به هؤلاء لا يؤسس لنهضة مستدامة تعزز استقلالية الشعوب الشرقية ولا يهتم كثيرا بسيادة بلدانها بل إنه يُبنى أصلا على إلغاء الذات وكل ما يميزها ويرتبط بها مقابل الايمان بالآخر حتى لو كلفنا ذلك البقاء في ظله بدون عنوان، فقد استثارت الدعوة إليه والترويج له شعورا عاما بالإهانة وانتقاص من كرامة المسلم خاصة حين تعلق الأمر بمقدسات الأمة التي اعتبر

العلمانيون التمسك بها والمحافظة عليها حواجز وعقبات تقف في وجه تطور المجتمع، فنشأت عن هذا الشعور ردود أفعال قوية رافضة للمقترح شكلا ومضمونا. ولعل من الآثار الطيبة التي خلفتها مثل هذه الكتابات المضللة أنها دفعت فئة أخرى من المثقفين تؤمن بأوطانها وتعتز بالانتماء إليها لتستغل فرصة الرد على الأكاذيب والادعاءات والأضاليل وكل صور التشويه التي روج لها المثقفون المنهزمون عن تاريخ العرب والمسلمين ولغتهم ودينهم وثقافتهم من أجل إعادة عرض الصورة الناصعة عن الأمة والتذكير بتاريخها المشرق وبالعصور الذهبية التي استمتعت بها الانسانية في ظل الاسلام وما جلبه لها من وطمأنينة واستقرار وجودة حياة ورفاه. ونذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر المفكر عباس محمود العقاد(ت1964) الذي قدم تصورا مغايرا لمفهوم النهضة ودون القفز فيه على تاريخ الأمة وتراثها وكل مقوماتها، عرضه في عدد من مؤلفاته مثل" التفكير فريضة إسلامية"، "العبقريات الاسلامية"، و"الاسلام والحضارة الانسانية" و"أثر العرب في الحضارة الاوربية"، و"عبقري الاصلاح والتعليم: الامام محمد عبده" و"دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية"و"حقائق الاسلام وأباطيل خصومه"، و"الانسان في القرآن" و"المرأة في القرآن".

ومن المفكرين الذين كانت لهم مساهمات كذلك مصطفى صادق الرافعي(ت1937) الذي تعلق بوطنه وأحبه وفي مطلع قصيدة من قصائده يقول:

بلادي هواها في لساني وفي دمي ... يمجدها قلبي و يدعو لها فمي

ولا خير فيمن لا يحب بلاده ... ولا في حليف الحب إن لم يتيم

زمن تؤوه دار فيجحد فضلها ... يكن حيوانا فوقه كل أعجم

ودافع عن عقيدته ودينه الذي رأى فيه يقظة النفس وتحقيق فضائلها، و وقف في وجه محاولات التغريب، وقيّم السير في ركابه على نحو بديع قائلا:

لقد أشرق العلم لما شرقنا ... وما زال يضؤل حتى غرب

وكنا صعدنا مراقي المعالي ... فأصبح صاعدنا في صبب

وتحمل عبء إحلال اللغة العربية الموقع الذي يليق بها باعتباره بوابة الدفاع عن تراث الأمة و هو من استيقن أن بالأدب يسمو ضمير الأمة و أن " الأديب من كان لأمته وللغتها في مواهب قلمه لقب من ألقاب التاريخ".

ومن تعليقاته عن مكانة وأهمية اللغة في حياة الشعوب: "وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها." وفي كتابه "وحي القلم"، كتب قائلا:

"ما ذُلّت لغة شعب إلا ذل، و لا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإدبار. ومن هنا يفرض الأجنبي المستعمر لغته فرضا على الأمة المستعمرة، يركبهم بها ويشعرهم عظمته فيها، و يستلحقُهُم من ناحيتها، فيحكم عليهم أحكاما ثلاثة في عمل واحد: أما الأول فحبس لغتهم في لغته سجنا مؤبدا. وأما الثاني: فالحكم على ماضيهم بالقتل محوا ونسيانا. وأما الثالث: فتقييد مستقبلهم في الأغلال التي يصنعها، فأمرهم من بعدها لأمره تبع". بل وذهب أبعد من ذلك حين اعتبر أن وجه الأمة المُشرق لن يعود إلا على أساس قوة الدين واللغة، حيث كتب في "وحي القلم" صراحة: "الذي أراه أن نهضة هذا الشرق العربي لا تُعتبر قائمة على أساس وطيد إلا إذا نهض بها الرُكنان الخالدان: الدين الإسلامي، واللغة العربية."

وعلى ضوء ذلك تحددت وجهة أديبنا ومعها أولوياته التي قرر أن يمنحها اهتمامه وكل وقته، وقد كتب تحت عنوان "فلسفة القصة ولماذا لا أكتب فيها؟": "أنا لا أعبأ بالمظاهر والأغراض التي يأتي بها يوم وينسخها يوم آخر. والقبلة التي أتوجه إليها في الأدب إنما هي النفس الشرقية في دينها وفضائلها. فلا أكتب إلا ما يبعثها حية، ويزيد في حياتها وسمو غايتها، ويمكّن لفضائلها وخصائصها في الحياة، ولذا لا أمس من الآداب كلها إلا نواحيها العليا، ثم إنه يُخيل إليّ دائما أني رسول لغوي بعثت للدفاع عن القرآن ولغته وبيانه."

ومن أقواله كذلك:

- "كفى بالمرء جهلا إذا اعجب برأيه، فكيف به معجبا و رأيه الجهل بعينه."
- "أشد سجون الحياة قسوة، فكرة بائسة يسجن المرء منا نفسه بداخلها."
- "كثيرا ما جنت المروءة على أهلها، ولكن احتمال هذه الجناية هو أبضا من المروءة."
- "أيتها الحقيقة لا يظفر بك إلا سعداء الفطرة، وما الطبيعة كلها إلا إيمان بك ودليل عليك."
- "رؤية الكبار شجعان هي وحدها التي تخرج الصغار شجعان، ولا طريق غيرها في تربية شجاعة الأمة."
- "ولا تزال الجنة مع الطفل، حتى إذا كبر قيل له كما قيل لآدم: اهبط منها..
- "كل النوابغ لا يرضيهم إلا أن يرتفعوا."
- "إنما هي ثلاثة: المبدأ الشريف للنفس، الفكر السامي للعقل، والحب الطاهر للقلب. هذه هي معاني الكمال الانساني."

وكلها تُظهر بعد نظره وعمق تفكيره وبأنه متجاوز لحظوظ نفسه مُسخّر حياته للعلم والمعرفة وخدمة لأمته.

ولا شك أن هذا العرض الوجيز عن أفكار و مواقف مصطفى صادق الرافعي لن يفي بحق عملاق الأدب العربي ولن يغني الراغبين في التعرف عليه من الرجوع مباشرة إلى ما كتبه بنفسه شعرا ونثرا، ومن مؤلفاته: " من وحي القلم "، و" رسائل الأحزان في فلسفة الجمال والحب " و" السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية" و" تاريخ أدب العرب" و" أوراق الورد: رسائلها ورسائله" و" تحت راية القرآن"، و" حديث القمر "، و" السحاب الأحمر " و" كلمة و كليمة"، و" ديوان الرافعي"، و" المساكين" و" ديوان النظرات".

قبل أن ننهي الحديث عن المفكرين والأدباء الذين واجهوا حملة التغريب ودافعوا عن أصالة المجتمع وتصدوا لكل محاولات التشويه التي استهدفت لغتهم وديانتهم، لا بأس أن ننوه أيضا بجهود المخلصين من الشعراء خاصة الذين عاصروا فترة الاستعمار البغيض والانتداب لبلاد الاسلام كما عاينوا الحملات الشرسة على اللغة العربية والقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ من أمثال رفاعة رافع الطهطاوي (ت 1873) ومحمود سامي البارودي (ت1904) وأحمد شوقي (ت1932) وحافظ إبراهيم (ت1932) وخليل مطران(ت1949) وعبد الحليم المصري(ت1922)ومحمد العيد آل خليفة (ت1979) والشيخ محمد البشير الابراهيمي (ت1965) ومحمد بن عبد الرحمن المسعدي(ت1968) وغيرهم من شعراء الوطنية والذين قال عبد الرحمن الرافعي عنهم: " إن حياة هؤلاء الشعراء وقصائدهم الوطنية، إلى جانب أنها عماد للأدب وتاريخه، هي قطعة من تاريخ الحركة الوطنية وعنصر من عناصر بعثها وتطوُّرها".(عبد الرحمن الرافعي،1954، ص. 8)

إن هؤلاء المفكرين المصلحين ساهمت أقلامهم في الحد من آثار حملات التغريب التي تعرضت لها الأمة الاسلامية وفي إيقاظ ضمائر أبنائها وتحصين عقولهم وتعزيز تمسكهم بهويتهم و رعايتهم لخصوصية أوطانهم، كما أنها رافقت حملات التصدي والمقاومة مشاريع لكل المشاريع التي استهدفت مسخ الشخصية المسلمة أو تمييعها. ومع ذلك فإن مراجعة التراث وتصفيته من الشوائب التي علقت به وإزالة منه الأفكار المغلوطة التي تضمنها والعناصر المسمومة التي دُست فيه، ليست أمرا سهلا وميسورا خاصة إذا علمنا أن الحركة الاستشراقية كانت دائما حاضرة إلى جانب الجيوش التي زحفت على البلاد الاسلامية وأخضعتها لسيادتها منذ اللحظة الأولى. بعض المصادر تشير إلى أن هذه الحركة ظهرت متزامنة مع دخول الاستعمار بلاد المسلمين وكان عملها موجها نحو أهدافه. وقامت بمسح كل صغيرة وكبيرة مما له علاقة بعلوم هذه البلاد ولغاتها وثقافتها

وتقاليدها وأعرافها ومختلف منظوماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية. وفضلا عن جهدها الضخم في ترجمة جل تراث الشعوب المستعمرة ونقلها خاصة إلى اللغات الانجليزية والفرنسية والألمانية وأحيانا كثيرة مع التصرف بالحذف والاضافة حسب غرض المترجم،(أبو فراخ، أحمد محمد، 1984.، عبد العزيز، زينب "د.ت".، البقاعي، محمد خير، 2003.، عزوز، علي، 2004.، عريبي، محمد ياسين،1991.، طرابيشي، جورج، 1989.، هاشم صالح،1989) فإنها اهتمت كذلك بتأليف كتب تابعت فيها أحوال هذه الشعوب وقضاياها الحساسة كالتاريخ والدين واللغة وعرضت فيها الأفكار والقناعات التي تجاري تصور الدول المهيمنة وتتجاوب مع سياسة المستعمر على حساب الحقائق. وهكذا تراكمت للدول المهيمنة ثروة من المعرفة ورصيد هائل من الخبرة والتجارب العلمية والعملية وأخذتها عنوة من مستعمراتها، ونظرا لضخامة ما استطاعت أن تنقله من علم ومعرفة إلى أوروبا، فقد ساعدها ذلك على إنشاء مدارس متخصصة فيما يسمونه بالدراسات الشرقية ومعاهد عليا وكليات يشرف عليها أساتذة يتقنون في مجموعهم لغات الشرق المختلفة (عربية، تركية، فارسية، عبرية،...) كما تتوفر على مكتبات علمية متطورة تقدم خدمات متنوعة ويستطيع الطالب الباحث فيها الحصول على كل ما يحتاج إليه من وثائق وصور ومصادر ومراجع لإتمام دراسته وإنجاز بحوثه دون تعب أو عناء. وحتى تجلب الاهتمام بها والاقبال عليها فقد فتحت بعضها في جامعات راقية ذات الشهرة العالمية مثل " السوربون" و" أوكسفورد" و" كامبريدج". وما هي إلا سنوات قليلة بعد ذلك حتى تحولت إلى قبلة تستقطب الطلاب والباحثين من كل بلدان العالم والمئات منهم يتوافدون عليها سنويا من المجتمعات الاسلامية نفسها من أجل تحضير شهادات عليا في الدراسات التاريخية واللغوية والثقافية و الاجتماعية والأنتروبولوجية.

إن هذا الحدث المتميز (استقطاب الطلاب من بلاد الاسلام) يمثل في السياق الزمني الذي ظهر فيه منعطفا تاريخيا له دلالته، إذ أنه لأول مرة بعد عشرات القرون يصبح العالم الغربي يتحكم في مصادر العلم والمعرفة كما تحولت بلدانه إلى وجهة مقصودة لاستيراد العلم والمعرفة من كافة بقاع الأرض. (Sarton,George,1931; David C.Lindberg,2007)

وكان لهذا التحول عدة انعكاسات من أبرزها:

- انطلاق عجلة تطور الدول الأوروبية خاصة في مجال الصناعة التي كانت قبل هذا الحدث تقريبا منعدمة. ونستطيع القول بأنه بحلول عام1500 تمكنت أوروبا من تطوير تقنيات جديدة وآليات أقوى مما كان في حوزتها مكنتها من اقتحام مياه غير معروفة واكتشاف عوالم جديدة، وتوسيع نفوذها وخاصة تطوير اقتصادها Cohen,1976; (Cipolla,(Ed.).1976;

Kranzberg,1967; Pursell ,C.W.,& Kranzberg, M.,1967; Ashton,1948)

– بداية أُفول مراكز الاشعاع العلمي المنتشرة في العالم الاسلامي وفقدانها لقوتها التأثيرية التي عمّرت مئات السنين خاصة بسبب التخريب والنهب الذي أصاب مكتباتها وكما سجله هاريس، رغم تحيزه الكبير إلى الحضارتين اليونانية والرومانية وإلى الغرب المسيحي على حساب الحضارة الاسلامية، فقد نتج أكبر تدمير للمكتبات الإسلامية عن غارات المغول في القرن الثالث عشر، حيث جاءت جحافل جنكيز *خان* من جبال وسهوب آسيا الوسطى، قهرت ودمرت كل شيء أمامها. في أول اكتساح كبير لبحر قزوين وشمال فارس، تم تدمير مدن بخارى وسمرقند ومرف ومكتباتها جنبًا إلى جنب مع العديد من البلدات الأصغر، ; Harris.1999,pp.84-85) مثل ما حصل حين استباح المغول بغداد فأحرقوا آلاف الكتب ورموا بآلاف أخرى في نهر دجلة بعد أن قتلوا أزيد من مليون إنسان. (Somogyi,J..,1933 هذه الهجمة المغولية البشعة التي تعرض لها العالم الاسلامي لم تقل في بشاعتها وأوجهها المأسوية عن الهجمة الصليبية الحاقدة التي بدورها أبادت البشر بدون تمييز وهدمت المعالم التاريخية وغيرت من هويتها، وخربت دور العبادة والعلم وأحرقت محتوياتها القيمة والنفيسة. هذه المذابح المروعة والمجازر الدموية كانت تهدف أساسا إلى إفراغ مدن العالم الاسلامي وقراه من سكانها الأصليين وإقامة المستوطنات لإسكان الأوروبيين الصليبيين الذين جلبتهم لحملة من كافة بلاد أوروبا، كما أن تخريب المكتبات وتعطيل وظيفتها ونهب الكتب النفيسة وحرق المصادر ذات القيمة العلمية والثقافية كل ذلك يهدف إلى العودة بالمسلمين إلى الأمية والجهل. ونظرا لرمزية المكان ومكانته في قلوب المسلمين ويشاركهم في ذلك منافسة اليهود والنصارى، فلا بأس أن نفصل أكثر حول الصور غير الانسانية التي ميزت الحروب الصليبية وخاصة تلك التي أدت إلى سقوط ببيت المقدس:

أ- من حيث عدد المجندين لاقتحام بيت المقدس، فقد ناهز المليون قاتل (الأتابكي "النجوم الزاهرة"، الجزء الخامس، ص.148). وهي حملة ضخمة وظاهر تجهيز هذا العدد الهائل من النصارى الحاقدين لم يكن الهدف منه زيارة الأماكن المقدسة والتبرك بها.

ب- رد فعل سكان بيت المقدس من غير المحاربين عند رؤية هذا السيل من البشر كان طبيعيا حيث حاولوا الاختفاء و خير ما اختاروا من لتأمين حياتهم أماكن العبادة التي كانوا يعتقدون أن الوافدين عليهم لن يسمحوا لأنفسهم بدوس قدسيتها، لكن حقد هؤلاء الوافدين و وحشيتهم أبت عليهم، كما سجّل تاريخهم الدموي، إلا أن يقتحموها ويوغلوا في ذبح الأبرياء وقتل النساء والأطفال والشيوخ بالمئات. وها هو مؤرخ حاقد خلّف شهادة، دون ذكر هويته، يشهر فيها فعلتهم الشنيعة مفاخرا بها حيث كتب يقول "وهرب بعض

هؤلاء العرب إلى برج داود، وأغلق آخرون على أنفسهم معبد الرَّبّ ومعبد سليمان،... ولو أنك كنت موجودًا هناك لغاصَتْ قدماك حتى العقبينِ في دماء المذبوحِينَ، ... لم نتركْ منهم أحدًا على قيد الحياة، ولم ينجُ حتى النساء والأطفال،... كم سيكون مُدْهشًا لو أنَّك رأيتَ فرساننا ومشاتنا بعد أن اكتشفوا خداعَ المسلمينَ فشقّوا بطونَ الذين ذبحوهم؛ لكي يَستخرجوا من المعدة والأمعاء العُمْلاتِ الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء!! ولنفس السبب قام رجالُنا بعد أيام قلائل بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رمادًا، حتى يمكنهم أن يجدوا بسهولة الذهب الذي ذكرنا خبره.... وبعد هذه المذبحة الكبيرة دخلوا بيوت السكان، واستولَوْا على كلّ ما وجدوه فيها،... كل من كان يدخل أولاً سواء كان فقيرًا أم غنيًّا لا يجد من يُنازعه من الفرنج الآخرين، وكان له أن يحتل المنزل أو القصر، ويمتلِكُه بكل ما فيه؛ كما لو كان ملكية خالصة له..."(كاتب مجهول، أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس. ترجمة حسين حبشي، ص.115-128). إن الوثيقة التي تركها هذا الكاتب المجهول ظلت متداولة تحت عنوان «Gesta Francorum et aliorum Hierosolimitanorum ». وتؤكد الأدلة المادية مثل الاشارة إليها في مؤلف المؤرخ إيكيهارد (ت1125) Ekkéhard بعنوان « Hierosolymita» على أنه اطلع عليها سنة1101 وعلى أنها كانت معروفة بصورتها الحالية في الفترة ما بين سنة 1099م و1101م، كما أن طريقة العرض ونوع الصيغ المستخدمة تشير بوضوح إلى أن كاتب الوثيقة كان شاهد عيان رافق الحملة منذ بدايتها. ولهذا السبب صُنفت من بين المصادر الرئيسية التي تناولت الحملة الصليبية الأولى بين 1096 و1098. وقد خصص *ماك كارتي* كتابا عن المؤرخ *إيكيهارد* تناول فيه مؤلفه.« Hierosolymita» (Mc Carthy, 2015)

شهادة مماثلة من المؤرخ الصليبي ريموند اجيل Raymond d'Aguiliers الذي بدوره يفتخر بما أنجزه الصليبيون إخوانه أمام عينيه من مجازر في حق سكان مدينة القدس، غذ كتب منوّها: "بدأ رجالنا يدخلون إلى القدس بجسارة وإقدام، وقد أراقوا من الدماء في ذلك اليوم كمية لا يمكن تخيلها". ويواصل في الكشف عن الحقيقة المرة بكل اعتزاز وفخر أن رجالهم حين استولوا على السور والأبراج أطاحوا بالرؤوس ورموا الأجسام الحية في النار بعد تعذيبها وتراكمت في شوارع المدينة أكوام من الرؤوس والأيدي والأرجل إلى درجة أصبح يجد المرء صعوبة في شق طريقه بين جثث البشر والخيول. وأن كل ذلك- دائما بشهادة هذا الحاقد- لا يقارن بما فعلوه في معبد سليمان، حيث بلغ الدم المسفوك ركب الرجال وحزام ركابهم، وفي تقديره كان امتلاء هذا المكان بدماء الكفار "حكمًا عادلاً يرضي الرَّبّ.(ريموند اجيل، تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس. ص.246-247; قاسم عبده قاسم،2001. ص.267-269 Raymond d'Aguiliers:; Historia francorum qui

ceperint Jerusalem p.21; Hill, J.H., & Hill, L.L.,1968) . ومشهد فيضان معبد سليمان بدماء أبرياء مدينة القدس وكثرة جثث قتلاهم أكده المؤرخ الصليبي المجهول المشار إليه سابقا بنفس الروح الحاقدة، حيث ختم شهادته بقوله " لم ير أحد من قبل أو يسمع عن قتلٍ بمثل هذا العدد من الوثنيينَ؛ لأنهم أحرقوا في أكوام مثل الأهرامات، و لا يعرف أحد غير الرب كم كان عددهم" (أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، 84-92; قاسم عبده قاسم،2001،الحملة الصليبية الأولى نصوص ووثائق تاريخية،277-278). و لأن الحملات الصليبية ظل التنكيل و القتل الهمجي وحرق بني آدم أحياء ودوس الأماكن المقدسة هو عنوانها البارز، فقد نُشر لرضوى مقال أبرز فيه هذه الخاصية تحت عنوان: "مظاهر التطرف والإرهاب الصليبي تجاه المسلمين في الشرق اللاتيني: التمثيل بالموتى- انتهاك حرمة أماكن العبادة."(رضوى، محمد عزب حسن،2019. ص.318-340) وما يؤكد أن هذه المذابح لم تكن فقط آثار ضغط انفعال وغضب الصليبيين الحاقدين في لحظات الاقتحام وإنما كانت تندرج ضمن حملة صليبية بخطة معدة مسبقا خرجت من القيادة العليا بالفاتيكان، لا بد أن يكون وافق عليها البابا أوربان الثاني أو من ينوب عليه، والذي-حسب بعض الشهادات-قد أرسلت له ردود تطمئنه بنجاح المهمة الموكلة إلى المحاربين الغزاة في رسالة كان هذا نصها:" إذا ما أردت أن تعلمَ ما جرى لأعدائنا الذين وجدناهم بالمدينة، فثِقْ أنَّه في إيوان سليمان أو معبده كانت خيولنا تخوض في بحر من دماء الشرقيين المتدفّقة إلى ركبتيها".(نوار، صلاح الدين محمد،1993، ص.124)

تفاصيل أخرى عن هذه المأساة عرضتها الكتب التي تناولت الحروب الصليبية عامة والتي شملت في أساليب مختلفة وأهداف متباينة كل بلدان العالم الاسلامي(مقداد مصطفى، 2020; بداور يوشع،2001; نوار، صلاح الدين محمد،1993، ص.122; ويل وايريل ديورانت(1950)Durant قصة الحضارة: عصر الايمان، جزء4، مجلد4، ص 25; Michaud (d1839) Histoire des Croisades. 1/224 ;William Archbishop of Tyre (d1186). History of Deeds Done Beyond The Sea. 3/185

بما أن التكوين العلمي أصبح يتحكم فيه الغرب المسيحي بات في مقدور هذا الأخير توجيه الرأي العام داخل البلدان التابعة له من خلال نخبة الباحثين والعلماء الذين تابعوا دراستهم وتكوينهم في معاهده وجامعاته، وتحولوا بعد ذلك كتحصيل حاصل إلى الواسطة الفعالة التي تساعد في تهيئة الشعوب إلى الانخراط عمليا في توجّهات البلدان المهيمنة بما يسمح لهذه الأخيرة ببسط نفوذها عليها.(منصوري عبد الحق،2001، ص.222-224) ونظرا لأن هذه العملية استهدفت عقل الانسان المدبّر إذ حددت له مسار توظيف ملكاته وكيفية استعمالها وأشبعته بمفاهيم غريبة ليس لها أي اشتقاق حضاري أو ثقافي أو حتى

لغوي، وتركز في وصف الظاهرة الانسانية على القشور وتهمل عمقها وجوهرها، فقد كان من مخلّفاتها الواضحة تحوّل العقم الفكري إلى ظاهرة عامة، فتوقفت الحركة الابداعية التي كانت في تاريخ المسلمين الطويل عنوانا بارزا، وحلّ محلها العجز والضعف فاستوطنت التبعية حتى بات المواطن يعتقد أن تأخره طبيعي ويصدّق بذلك المقولة العنصرية التي تعتبر الرجل الأبيض(أي الأوروبي) اقدر وأذكى من الرجل الملون.
(Cheek,D.K.,1987,pp.59-69; Powell,L.,1997.pp.3-11; Sleeter,C.,1993.pp.157-171; Jensen, A, 1969; Thomas,A.,& Sillen,S.,1972;Gillborn.D,2006;pp.318-340,2008,2016,pp.365-388; Stanfield,J.H., 1985, pp.387-415; Scheurich, J.J. & M.D. Young.,1997,pp.4-16; Perea, Juan. 1997,pp.1213-1258)

وهو ما يجعل الخروج من قبضة التأثير الموجه من قبل البلدان المهيمنة أمرا في غاية الصعوبة والتعقيد لأن عقول المبدعين التي كان من الممكن أن تصنع الفرق وتحقق النقلة النوعية المطلوبة هي مكبّلة ومعطّلة، وعجلة تنمية الأوطان وتطويرها توقّفت بدورها، وقد تُفتح أمامها بعض الاختيارات- بواسطة مؤسسات كالبنك الدولي وصندوق النقد الدولي- لكنها اختيارات لا تُنتج كفاءات ذاتية ولا تحقق اكتفاء ولا تطور اقتصادا قويا ولا تسير نحو استقلالية اقتصادية بل هي اختيارات مندمجة ضمن مصالح الآخرين الحيوية تكرّس التبعية لهم. وواقع العديد من الدول التي ارتبطت بهذه المؤسسات المالية أكبر دليل على ذلك إذ أصبحت أكثر فقرا وأحوال شعوبها تسير نحو الأسوأ في وقت تتراكم ديونها ومستحقاتها نحو تلك المؤسسات الدائنة.

8- إن أسلافنا لما شرعوا في بناء المجتمع القوي نزلوا إلى واقع الشعوب وحددوا لأنفسهم أهدافا وغايات بسيطة. وأرادوا أن يكون التطور والتقدم وسيلة للارتقاء بالعنصر البشري في عالم المكارم والفضائل وأداة لتكريس كل ما من شأنه أن يزيد من كرامة وشرف هذا الكائن. ولذلك لم يضايقهم الجهد الجبار الذي بذلوه في إعداد الإنسان الصالح ولم يترددوا في استثمار النفس والنفيس من أجل إدراك تلك الغاية، لأن القناعة راسخة بأن ازدهار المجتمع يظل مقرونا ومرهونا بتوفير العنصر البشري القوي. ولم يكونوا يعتبرون جهودهم تلك ضائعة أو أن العملية التكوينية الإعدادية للعنصر البشري عملية غير منتجة كما يرددها أصحاب النظرة القاصرة، علما بأن عجز وقصور وفشل نسبة كبيرة من المدارس والمؤسسات التربوية هي ظاهرة تعرفها بلدان العالم وبات الجميع منشغلا بالبحث في الأسباب الموضوعية وراء هذه الظاهرة ولماذا لا يتوافق المردود التربوي مع الجهود المبذولة وهل نستمر في تخصيص الأموال الطائلة من أجل تعليم هزيل، وماذا

تحقق لنا التربية؟... (Hirsch, E.D., 1997; Gundlach, E., Wossmann, L.,& Gmelin, J.,2001; Clements, B.,2002, pp.3-26; Picciotto, R.,1996; Dee, T.S., 2004, pp.1697-1720 ; Milligan, K., Moretti, E.,& Oreopoulos, P., 2004; Hanushek, E. A.,1997,pp141-164)

وبالعودة إلى عملية إعداد العنصر البشري الذي حرك دواليب الحياة في المجتمع الإسلامي، فقد كانت شاملة مست نواحي الفرد الجسمية والعقلية والروحية والاجتماعية فنشأت عنها شخصية متكاملة البناء: نظرة ثاقبة، وفكر ناقد ومستنير، وعقل مدبر ومبدع، وقلب طاهر لا يعرف الأحقاد والضغائن، يفيض حبا للناس وحب الخير لجميع الكائنات، وضمير حي ويقظ، وقدرة على التحمل والصبر في مواجهة إغراءات الحرب النفسية والثبات في وجه المحن والشدائد، وتفاؤل لا يعرف معنى لليأس. وهذا في ترتيب الأولويات كان الوسيلة الناجعة لإيجاد الحياة الاجتماعية وضمان الإشراف بصورة فعالة على كافة مؤسساتها. ولعل مجتمع الأسلاف يعتبر من بين المجتمعات القليلة التي عرفتها البشرية والتي ظلت فيها الطاقات وكل الإمكانات موظفة بطريقة عقلانية من غير تمييز أو تهميش أو تعطيل، ولعل من أقوى العوامل التي ساعدت في تكريس ذلك التوجّه فتح باب المشاركة والمساهمة أمام كل أفراد المجتمع بغض النظر عن معتقداتهم و ولاءهم الديني (Hodgson, M.G.1974. Vol.1, p.90)

9- إن الذين بنوا المجتمع انطلقوا من تصور شامل يستوعب معطيات الماضي وصور الحاضر ويشق الطريق نحو المستقبل المجهول. فلم يلغوا مساهمة الإنسان في الماضي ولم يديروا ظهورهم لحقائق الواقع الملموس كما أنهم لم يهملوا من حساباتهم ما يمكن أن يؤول إليه هذا المجتمع في مستقبل الأيام. وهذا ما جعلهم يحرصون على:

أ-*ألا يقدسوا الماضي لمجرد أنه ماضي انتهى وانقضى*. ولكن في المقابل ينبغي أن نحافظ على وقفات مع هذا الماضي بغرض استخلاص منه الدروس والعبر. والقرآن الكريم كثيرا ما دعا المسلمين إلى التأمل فيما بحدث أمامهم وحولهم وألا تطمس الغفلة عيونهم وأفئدتهم وكذلك إلى الاعتبار بما حصل للأقوام السابقة التي اختارت طريق الغي والضلالة ولم ترعى في حياتها حرمات الله حتى لا يكون لها مصير مشابه. وهذه بعض الآيات القرآنية التي تؤكد على ذلك:

- " وَسَكَنتُمْ فِى مَساكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ". (سورة إبراهيم، الآية47).

- " فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ "(سورة يونس، الآية92).

- إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ "(سورة آل عمران، الآية190)

- "ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ" (سورة الجاثية، الآيتان 11 و12)

- " كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدّبروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب"(سورة ص، الآية 28).

- " أولَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ" (سورة السجدة، الآية27).

- " وفي أنفسكُم أفلا تُبصرون" (سورة الذاريات، الآية21)

- " إن في ذلك لعبرة لمن يخشى"(سورة النازعات، الآية26).

- " إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار" (سورة آل عمران، الآية13).

- " لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ"(سورة يوسف، الآية111).

- " فاعتبروا يا أولي الأبصار "(سورة الحشر ، الآية2).

- " وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ "(سورة البقرة، الآيتان64 و65).

- " وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ" (سورة الأعراف، الآية179).

- " وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ" (سورة النحل، الآية112).

- "سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا"(سورة الأعراف، الآية 146).

إن دراسة التاريخ تقويمية في طبيعتها وينبغي استغلال نتائجها من ناحية في صياغة مقاربات للتعامل مع تحديات الحاضر مبنية على أحسن ما يمكن أن تقدمه التجارب السابقة ومن ناحية أخرى في بلورة النظرة المستقبلية واستشراف ما ستؤول إليه حياة المجتمع.

ب- *ألا يكرسوا النقائص والعيوب أو يحاولوا إخفاءها* وألا يعتمدوا أي مظهر من مظاهر الضعف كأرضية لبناء المجتمع، بل يبدئون بإزالة كل مظاهر الضعف والعجز أولا حتى يقوم البناء على قاعدة صلبة. إن الاتجاه الصحيح الذي ينبثق من روح ما يدعو إليه الدين الاسلامي هو العمل الجاد لتدارك النقائص والعيوب لما تشكّله من مواقع ضعف يستطيع المناوئون والأعداء توجيه من خلالها ضربات تستهدف الفرد والمجتمع. فالمسلم دائم الترقية لجسمه وعقله وروحه وباستمرار يراجع أحواله ويعالج أوجه ضعفه وعجزه في آن واحد إرضاء لربه ورعاية لصحته وعافيته. ولعل الحديث النبوي الشرف" المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير"(رواه مسلم، رقم2664، ص.1069) هو شعاره الذي يستظلّ به ولا يفارقه. والملاحظ أن المصدر الرئيسي الذي تعذى منه قوة المسلم هو إيمانه الراسخ بربه ورغبته في إرضاءه سبحانه إلى جانب أخلاقه العالية، ولا تكون أسباب القوة الأخرى- والتي لا بد له من امتلاكها-سوى تابعة لهذا الايمان على اعتبار أنه صاحب رسالة جليلة أهدافها نبيلة وكل الوسائل التي تُسخر لأدائها يجب أن تكون كذلك طاهرة.

وبهذه النظرة الإيجابية للذات وبهذا المنطق في التعامل مع الواقع استطاع الأسلاف أن يغيروا واقع شعوبهم نحو الأفضل ويحققوا أمنه ورفاهيته و وجوده المشرف الذي كان عنوانا بارزا بلغ صداه كل بقاع الأرض وظلت الانسانية قاطبة تذكره جيل عن جيل عبر قرون من الزمن. لكن المُلفت في قصتهم الخالدة أنهم لم يفرطوا في استقلالية بلادهم ولم يتنازلوا عن سيادتهم على أراضيهم حتى في أحلك الظروف التي مروا بها والتي واجهوا خلالها أنواع الحرمان وصعوبات العيش، بل اختاروا- حين اشتدت بهم الأحوال وباغتهم العدوان وتركزت عليهم مخططات محاولة الاخضاع القسري- أن يحرّكوا بكل عزم وإرادة عدوانا مضادا وتحمّل تبعات ذلك الاختيار وكل التضحيات المنبثقة عنه، وكانوا دوما يرفضون المساومة خاصة حين يتعلق الأمر بالقرارات السيادية بمختلف أنواعها، ويعتبرون الخضوع لها خيانة للأمة ولعقيدتها ودينها. وهذا لا يعني أن تاريخ المسلمين كان خاليا من الخيانات وغابت فيه التنازلات، ولكن حدوثها غالبا ما كان إثر تهيئة ظروف تمّ فيها تسريب عناصر إلى دواليب السلطة والارتقاء بها إلى مستوى هيئات اتخاذ القرار مما فتح الباب أمام اتخاذ القرارات التي لا تخدم مصالح المسلمين أو أحيانا نتيجة غفلة أو سوء تقدير لعواقب التنازل، ولكن الغفلة ما كانت لتخلف وحدها كل تلك الآثار التي كادت أن تؤدي إلى زوال وجود المسلمين لو لم تكن عوامل أخرى حاضرة بقوة في المشهد من أهمها الاستبداد السلطوي والفرقة بين المسلمين وغياب الشورى الحقيقية ....

10. تحرير المجتمع من كل أنواع التبعية لمجتمعات أو أمم أو حضارات أخرى. وإذا كان المجتمع الإسلامي لا يمانع من الاستفادة مما هو موجود لدى الآخرين بل يدعو إلى أخذ منهم كل ما يحقق مصالح الانسان والمجتمع ويعود عليهما بالخير والمنفعة حسب سلّم أولويات يقدر الضروريات والحاجيات التي تتوقف على إشباعها حياة الفرد الكريمة (الشاطبي، ت790هـ. والوكيلي محمد،1997.، النجار،2008.، القرضاوي،2004)، فإنه من ناحية أخرى لا يقبل أن يظل تحقيق مصالح المجتمع الحيوية خاضعا للغير وقائما في الأساس على ما يسمح به الآخرون. فكل ما لا يمكن الاستغناء عنه في تحريك دواليب هذا المجتمع لا ينبغي الاكتفاء بإحضاره من خارج المجتمع دون تفعيل الوسائل المتاحة لتحقيق ولو على مراحل الاكتفاء الذاتي الذي لا يعرّض قرار السيادة للابتزاز والمساومة. وبهذه النظرة الإيجابية للذات وبهذا المنطق في التعامل مع الواقع استطاع الأسلاف أن يغيروا حال شعوبهم نحو الأفضل ويحققوا الأمن والرفاهية والوجود المشرف الذي كان عنوانا بارزا بلغ صداه كل بقاع الأرض وظلت الانسانية قاطبة تذكره جيل عن جيل عبر قرون من الزمن. لكن الملفت في قصتهم الخالدة أنهم لم يفرطوا في استقلالية بلادهم ولم يتنازلوا عن سيادتهم على أراضيهم حتى في أحلك الظروف التي مروا بها، وتحمّلوا تبعات الموقف وقدّموا من أجله تضحيات جسام مع رفض كل أنواع التنازل عن السيادة واستقلالية قراراتهم لأن ذلك بالنسبة إليهم يعتبر خيانة للدين وللوطن. وهكذا تتحوّل الظروف الصعبة والأزمات والمواجهات والحروب التي يفتعلها الأعداء من أجل خنق الأمة وكسر شوكتها إلى مصادر فريدة لتعزيز القوة الذاتية وإلى تجارب حية لصقل المواهب وتطوير القدرات واختبار الامكانات، وظلت آلام التحدي تجبر المسلمين على التعلم وتوليد الأفكار من أجل ابتكار الحلول وإنتاج الخطط والاستراتيجيات الأصيلة لتجاوز العقبات القائمة والتخفيف من الصعوبات المعرقلة، وكان طبيعيا مع الوقت أن تتراكم معارفهم وتتوسع خبرتهم لتجعل منهم رواد أمة رائدة ذات صيت ونفوذ وقوة. وأهم ما ربحه المسلمون من مواجهة التحديات التي فرضت عليهم أنها ساعدتهم على اكتشاف أنفسهم وبأنهم أقوى مما كانوا يعتقدون، وهكذا تحولت مواجهة التحديات، كما ظلت تؤكد نتائج الدراسات (Rosenthal, 2013; Lieblich,J.,& Boskailo, E.,2012;Tatelbaum,J.,2012; Scioli ,A.,&Biller, N.E., H.,2009, 2010; Edwards, E.,2010). إلى وسيلة ناجعة لبعث الطاقات الكامنة واستغلالها وأداة فاعلة لتطوير الكفاءات وإيجاد مصادر قوة جديدة وبذلك صاروا لا يخافون من الخوض في هذه التجارب وهو عامل لا شك ساعد في هزيمة أعدائهم. وفي الحديث النبوي الشريف"... نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ..."(أخرجه البخاري، كتاب التيمم، الحديث رقم

328، و في باب23 " نُصرت بالرعب..." رقم 427.، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، رقم521)

11. عدم اعتماد خداع النفس أو التضليل كوسيلة في تسيير الحياة الاجتماعية. ومن أبرز السياسات السلوكية التي تجنّبها الذين أسسوا المجتمع عدم رفع الشعارات إذا تعذر تجسيدها على أرض الواقع. وهذا الموقف طبيعي جدا من حيث تجسيده للصورة الأخلاقية التي يحرص عليها الاسلام وعلى رأسها تبني الصدق في كل الأحوال، فلا ينبغي بناء سياسة المجتمع على الكذب فضلا عن تأسيسها على ما يجانب الصواب والحكمة، علما بأن اعتماد الشفافية وقول الحقيقة في وقتها ودون مماطلة أو مواربة يساعد على تهيئة الرأي العام وتجنيده للمشاركة الفعالة في الجهود الوطنية لمواجهة المشاكل والصعوبات. وحين تُبنى العلاقة بين الحاكم والمحكوم على أساس الصدق والشورى والنصح المتبادل والالتزام الدائم والمؤسس في اعتماد السياسة المناسبة والتسيير العقلاني والواعي لحياة المجتمع، فإن الأزمات مهما عظمت تكون قوة التصدي لها أكبر وتستطيع امتصاص آثارها بسرعة لأن المجتمع برمته يقف مجندا خلف قيادته يشارك بكل ما أوتي وبكل ما في مقدوره أن يقدمه، علما بأن تضحياته في مثل هذه الظروف يمكن أن تفوق كل التقديرات والتوقعات. إنها تشبه الهبّة لإنقاذ الوطن من عدو استهدفه أو اعتدى عليه، فمصير المواطنين مشترك والسلطة المتنفذة وهؤلاء المواطنين في خندق واحد وهدفهم جميعا واحد رفع التحدي بتجاوز العقبات وإيجاد الحلول للمشاكل التي تواجه المجتمع وفي أقرب وقت ممكن. وبالتأكيد ستحضر في هذا المشهد المراقبة الذاتية ومحاسبة النفس بقوة لدى الفرد رغبة منه في إتقان كل مهمة تُسند إليه وعدم التهاون في القيام بها، كما تظهر صور الايثار والتنازل للآخر وتقبّل الأعذار والتماسها كذلك الصبر على الأخطاء وعلى الأذى الذي يتسبب فيه البعض، وفوق هذا كله حضور الابتسامة على شفاه الناس التي تبشر بالانفراج القريب، والناس سعداء مطمئنين يطلبون النهايات السعيدة. (Myers,D.G.,1992; Mauss,I.B., et al,2011; Lawton,R.N. et al., 2021 ; Borooah,V.K.,2006)

إن اعتماد عملية تقويمية مستمرة مع ذكر الحقائق كما هي دون محاولة المضي في استثمار الأوهام من شأنه أن ينوّر الرأي العام بحيث يعرف الأفراد واقعهم وما هو متوقع منهم. فليس منطقيا أن يظل المجتمع في حركة دؤوبة يواصل السير دون إجراء وقفات لدراسة أحواله ومراجعة أوضاعه وتحديد مكتسباته وما فشل في تحقيقه والوقوف على المستفاد من جهوده المبذولة وتقدير قيمة هذا المستفاد ومعرفة العوامل المسؤولة عنه. إن هذه العملية التقويمية التي كانت تصاحب حركة المجتمع ومختلف أنشطته لم تساعد في

بناء المجتمع على قواعد متينة فحسب، بل كذلك حافظت على قوته وتماسكه من خلال الكشف المبكر عن كل وجه خلل أو صعوبة أو اضطراب يبدو عليه والتعرف على أسبابه ومعالجتها.

12. إن الأسماء التي برزت في تاريخ الإسلام والمسلمين وعرضت صورا رائعة في مجالات العلم والسلوك والأخلاق لم تكن تمثل حالات استثنائية وإنما كانت بعضا من الثمرات التي أصبحت تعطيها شجرة الإسلام التي نمت وترعرعت وامتدت جذورها في الأرض الصلبة واشتد عودها. فكثيرا ما تعودنا أن نسمع بعض الأسماء التي اشتهر أصحابها وهي قليلة مقارنة مع حجم الأحداث في تاريخ الأمة الطويل والعريض. وقد يعود السبب في هذه الشهرة إلى الموقع الذي كانوا يحتلونه داخل النسيج الاجتماعي. فحياة أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي ابن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين لا يمكن أن تمثل تفاصيل حياة كل المجتمع الذي بناه الرسول ﷺ. وإن عظمة هذا المجتمع لا يمكن أن نراها فقط من خلال التأمل في مواقف رؤوس المجتمع بل إن هذه العظمة تتجلى بصورة أكبر في مظاهر السمو والنبل والخلق الرفيع الذي يستعرضه عامة الناس في حياتهم اليومية. ويجب أن نذكر أن بيعة الرضوان في الحديبية حضرها 1200 صحابيا قال فيهم المولى تبارك وتعالى" لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم و أثابهم فتحا قريبا"(سورة الفتح، الآية18). وبلغ عدد المسلمين الذين حضروا حجة الوداع مع الرسول ﷺ مائة ألف. هذه الحشود الكبيرة من الناس رجالا ونساء لم تكن في مستوى واحد من الورع وعزة النفس والتعلق بالدين والتفاني في خدمته ولكنهم في مجموعهم لم يبتعدوا عن كنهه و روحه حتى قال فيهم الرسول ﷺ"خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ- قالَ عِمْرَانُ: لا أدْرِي: ذَكَرَ ثِنْتَيْنِ أوْ ثَلاثًا بَعْدَ قَرْنِهِ- ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ، يَنْذِرُونَ ولا يَفُونَ، ويَخُونُونَ ولا يُؤْتَمَنُونَ، يَشْهَدُونَ ولا يُسْتَشْهَدُونَ، ويَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ."(حديث رواه مسلم في كتاب "فضائل الصحابة" رقم 2533، والبخاري، رقم 2508 و2509)،

وإن أكبر الموسوعات التي أحصت أسماء من بين الذين صنعوا هذا التاريخ العظيم لا تتضمن أكثر من ألفين أو ثلاث آلاف، (مثل" الإصابة في تمييز الصحابة" لابن حجر العسقلاني، (ت852هـ)، و"الاستيعاب في معرفة الأصحاب" لابن عبد البر، (ت463هـ)، و"أسد الغابة في معرفة الصحابة" لابن الأثير(ت 630هـ) وهو عدد لا يمكن أن يحمل تراث هذه الأمة الواسع.

احتياطات من أجل وقاية المجتمع الإسلامي

ومن الاحتياطات الوقائية التي تصب في عملية الحفاظ على صحة المجتمع للإبقاء عليه شامخا وقويا نذكر على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

1- لم يُبنى المجتمع على أساس التمييز والتفرقة بين أفراد المجتمع أو العشيرة أو القبيلة أو العائلة، وعلى العكس من ذلك فإن مختلف الأنظمة التي أدارت دواليب الحياة في هذا المجتمع عملت على دعم ومساندة هذه الخلايا الصغيرة والكبيرة حتى تظل قوية بكيانها المستقل، ولم تسعى هذه الأنظمة لإذابتها وصهرها في الكيان العام. فما دام الجميع يدين بدين واحد و يتبنى شريعة واحدة ويحرص على إرضاء خالق العباد فليس هناك ما يدعو إلى تفكيك العلاقات القوية بالفطرة خاصة وأن الإسلام هو دين الفطرة. وهكذا أصبح المجتمع الأم يستمد حياته وقوته من حياة وقوة هذه الكيانات المتميزة. وإذا كان المسلمون قد حاربوا العنصرية في كل مظاهرها وتركوا القاعدة الربانية"إن أكرمكم عند الله أتقاكم"(سورة الحجرات، الآية13) وحدها الأصل للتمييز والتفرقة بين الناس، فإنهم من ناحية أخرى انطلقوا بقوة في اتجاه توثيق العلاقات الرحيمية بين الأصول والفروع وما تشعب عنهما في سياق الحياة الأسرية التي استغرق تنظيمها ثلث الأحكام الواردة في القرآن الكريم.(الجصاص، ت370هـ،" أحكام القرآن" .، أبو بكر بن العربي، ت 543هـ، "أحكام القرآن" .، الشافعي، ت 204هـ.، "أحكام القرآن'.، الكيالهراسي، ت504هـ،" أحكام القرآن") كما خصص لها الفقهاء أبوابا مستفيضة حددت بدقة متناهية الحقوق والواجبات وأنواع المسؤوليات الفردية والجماعية ونظام الأولويات في التعامل داخل هذه الكيانات.

2- لم يعتمد المسلمون في تنظيم حياة مجتمعهم في أي بُعد من أبعادها سياسة "فرق تسد" وكان العمل دائما على جمع الشمل ومعالجة الصور الاختلافية التي تؤدي إلى الفرقة. فالقرآن الكريم الذي يتمسكون به يدعوهم بصراحة إلى ذلك. قال تعالى "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ " (سورة الحجرات،الآية10)، كما يحذرهم من أي عمل يزرع الشقاق بينهم أو ينشر الشكوك في أوساطهم أو يهز الثقة في نفوسهم. قال تعالى مخاطبا المؤمنين "يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكنّ خيرا منهُنّ ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بيس الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمان ومن لم يتب فأولائك هم الظالمون، يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظنّ إن بعض الظنّ إثم ولا تجسّسوا ولا يغتب بعضُكم بعضا أيحبُّ أحدُكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتُموه واتقوا الله إن الله توّاب رحيم"(سورة الحجرات، الآيتان11و12). ولغرض مشابه في خطاب عام موجه للناس كافة يقول الله تعالى "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شُعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير"(سورة الحجرات، الآية13). لأن في جمع الشمل تكمن قوة المجتمع الإسلامي وفي محاصرة

مظاهر النزاع حماية له من التصدع. قال الله تعالى" و لا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم"(سورة الأنفال، الآية 47).

3- إن ما اعتُمد كتشريع عام انطلق من توجه عام نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى "لا يُكلّف الله نفسا إلا وُسعها "(سورة البقرة، الآية285). ولم ينطلق من المستوى الذي تدركه فئة الأقوياء وأصحاب العزيمة وإنما جاء مكيفا بحيث يستطيع مباشرته الضعفاء كذلك، مع ترك المجال للمنافسة مفتوحا يرتقي من خلالها أفراد المجتمع "وفي ذلك فليتنافس المتنافسون" (سورة المطففين، الآية26).

4- إن المبادرة بالإصلاح وتقويم المعوج من السلوك والمواقف والسياسات لم تكن حكرا على السلطة. بل تعززت في المجتمع الإسلامي من خلال فتح باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يلزم كل عاقل بالغ حسب ما يملك من طاقة وقدرة وحسب ما يتحمّل داخل مجتمعه من مسؤولية. و يستمد أصله من قوله تعالى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَامُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ "(سورة آل عمران، الآية 110)، ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه الذي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان".(رواه مسلم، رقم49.، والترمذي، رقم 2172.، وأبو داود، رقم 1140 ورقم 4340.، وابن ماجة، رقم1275 و رقم 4013.، و ابن حبان، "الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان" رقم307 الجزء الأول، ص.542، .، والنسائي،(المجتبى) السنن الصغرى، رقم 5052 .، والبيهقي في السنن الكبرى، رقم 11513.)

فمن المستبعد، وعين المواطن الغيور على وطنه تتابع أحوال المجتمع مع إمكانية تدخله المباشر في التصدي لكل ما هو قبيح، أن تجد الظواهر السلبية طريقا إلى التفشي والانتشار حتى ولو لم تختفي بالكلية وظلت تُمارس خفية من قبل حالات معدودة. (ابن أبي الدنيا، ت281هـ.،" دم الملاهي".، ابن القيم الجوزية، ت751هـ، "الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي".،2004, Cook, Michael). وإن طريق انتشار الفواحش وتفشي الرذائل يحصل حين لا تجد هذه الأخيرة مقاومة في أول ظهورها، ففي حديث شريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كلُّ أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجلُ بالليل عملاً، ثم يصبح وقد ستره الله تعالى، فيقول: عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربُّه ويصبح يكشف ستر اللهِ عنه" .

أخرجه البخاري في باب ستر المؤمن على نفسه (20/8) رقم 5721 .، و أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، رقم 2990)

وإن أهم هدف يحققه السعي للمحافظة على الوجه النقي للمجتمع والخالي من الرذيلة ومظاهر السلوك غير الأخلاقية ألا يصبح المجتمع الواسع يستعرض نماذج سيئة تؤثر على أفراد المجتمع وخاصة الأطفال فيقلدونها على اعتبار أنها مظهر عام يحظى بقبول الجميع".

5- تعزيز مكانة العلم والعلماء في حياة الأفراد والجماعات. ففي التاريخ الطويل والعريض لأمة المسلمين لم يستطع حاكم أو قائد في أوقات السلم أو الحرب أن يهمش العالم أو يحد من إمكانية تأثيره في حياة المجتمع عامة. فحتى في الوقت الذي يضطر العالم أن يدخل في صراع مع السلطة إحقاقا للحق فإن المجتمع في عمقه يظل متمسكا بوجهة نظر العالم ومدافعا عنها، و يرفض أن يُعزل العلم و العلماء في أي سياسة عامة أو خاصة ومهما قدم السياسيون من أعذار ومبررات. فرأي العالم كان حاسما لا يسع الحاكم سوى مسايرته أو على الأقل التظاهر بقبوله والعمل به. ومع مر السنين اجتهد الحكام الذين شعروا بالإحراج وذلك حين عجزوا عن بسط سلطتهم بصورة مطلقة، أن يستوعبوا مؤسسة العلم وأن يسخروها في خدمتهم وخدمة سياستهم، لأنهم يعرفون أن أفراد المجتمع الإسلامي يعطون الولاء للعالم وقلوبهم تقف معه حتى ولو اضطرت جوارحهم أن تصطف مع سياسة الحاكم المستبد.(الزحيلي، 1993). وهذا يعني أنه لم يكن بالسهولة بمكان أن يغامر أي حاكم مهما كانت قوته بفرض سياسة تتعارض بصراحة مع ما يدعو إليه العلماء، فإنه في هذه الحالة سيثير غضب الناس ولن يكسب بهذه الطريقة ولاءهم له وبالتأكيد لن يقفوا معه بقلوبهم مع احتمال متزايد أن يثوروا عليه لأنهم يعتقدون أن العلماء هم حماة الشريعة الاسلامية والمدافعون عن دين الله وأن الوقوف في وجههم سوف يجلب لهم سخط الله. فقد ورد لفظ "العلم" باشتقاقاته المختلفة في القرآن الكريم، كما أحصاها فؤاد عبد الباقي،850 مرة(عبد الباقي،1945) وهو موقف مساند ودعوة واضحة لاحترام العلم وإجلال أهله ودعوة للأخذ منهم. والنصوص المقدسة التي ترسخ هذه المكانة المرموقة للعالم كثيرة نذكر منها على سبيل المثال:

أ- ***آيات قرآنية*** :

- "يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"(سورة المجادلة، الآية11)
- "إنما يخشى الله من عباده العلماءُ"(سورة فاطر، الآية28)
- "قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون، إنما يتذكر أولوا الألباب"(سورة الزمر، الآية 9)
- "فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون"(سورة النحل، الآية43)

- "شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولو العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم"(سورة آل عمران، الآية18).

ب- *أحاديث نبوية شريفة*:

- " فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم" (حديث رواه الترمذي، رقم 2685).

- "طلبُ العلم فريضةٌ على كل مسلم" (عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه، رواه ابن ماجه رقم 224.، وابن عبد البر في جامع بيان العلم، الجزء الأول،ص23). والطبراني في "المعجم الصغير" رقم22 ص.36 و رقم 61، ص.58 وصححه الألباني في "صحيح الجامع الصغير وزيادته"، رقم 3913، ص.727)

- " ألا إن الدنيا ملعونةٌ، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرُ الله، وما والاه، وعالمٌ أو متعلم" (عن أبي هريرة رضي الله عنه، رواه الترمذي ، رقم 2322، صز383.، وابن ماجه، رقم 4112)

- " لا حسَدَ إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالًا فسلَّطه على هلَكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله الحكمةَ فهو يقضي بها ويعلِّمها"(رواه البخاري في باب العلم، رقم73، ص.40 وفي باب الزكاة، رقم1343، وفي باب أجر من قضى بالحكمة، رقم 6722،وفي باب ما جاء في اجتهاد القضاء بما أنزل الله تعالى، رقم 6886، ص. 2668، ومسلم في كتاب الصلاة، رقم816، ص.317).

- " إذا مات الإنسان انقطع عنه عملُه إلا من ثلاثةٍ: إلا من صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفَع به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له" (رواه مسلم في كتاب الوصية، رقم 1631)

- "خيرُكم مَن تعلَّم القرآنَ وعلَّمه" (رواه الترمذي في باب ما جاء في تعليم القرآن، رقم2907، ص.464 و رواه البخاري، رقم4739 و4740، ص.1919، ورواه أبو داود في باب ثواب قراءة القرآن، رقم 1452، ص.175.، ورواه ابن ماجة في باب فضل من تعلم القرآن وعلمه، بلفظ "أفضلكم" رقم211و 212، ولفظ "خياركم" رقم213، ص.38)

من المهم أن نشير أن العالم لا يحظى بكل هذا التكريم إلا لأنه كذلك يتحمل مسؤولية كبرى أمام أمته في تجسيد ضميرها والدعوة إلى دين الله الحق والدفاع عنه، ولا ينبغي له أن يسخر علمه لأغراض تبتعد به عن هذه المقاصد النبيلة، فيفقد مكانة العالم الرباني الذي يحبه الناس ويحترمونه. وقد رويت أحاديث كثيرة عن النبي ﷺ تبرز وجه مسؤولية العلماء وتبعات ذلك تجاه الخلق وتجاه الخالق. من بينها على سبيل التوضيح:

- " يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين"(الأصبهاني، معرفة الأصحاب، الجزء الأول، رقم712، ص.211 ورواه

الطبراني، مسند الشاميين. رقم 599، ص.344 و ذكره ابن عساكر في "تاريخ مدينة دمشق" الجزء 54 ، ص.225.

- "مَن كتمَ علمًا ألجمَهُ اللَّهُ يومَ القيامةِ بلجامٍ من نار "(أخرجه ابن حبان، في "الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان"، رقم 96 .، والحاكم، رقم 346)

- و "من سُئل عن علمٍ فكتمه ألجمه اللهُ بلِجامٍ من نارٍ يومَ القيامةِ"(أخرجه أبو داود، رقم 3658.، والترمذي ، رقم2649.، و ابن ماجه، رقم 266.، و أحمد ابن حنبل، رقم 7571)

- " لا تزولُ قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسألَ عن عمرِه؛ فيمَ أفناه؟ وعن علمِه؛ فيمَ فعل؟ وعن مالِه؛ من أين اكتسبه؟ وفيمَ أنفقه؟ وعن جسمه؛ فيمَ أبلاه؟" (رواه الترمذي، رقم2417)

"سلُوا الله علمًا نافعًا، وتعوَّذوا بالله من علمٍ لا ينفع " (رواه ابن ماجه، رقم 3843، و رواه أحمد، رقم6557). وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَقُولُ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ" (ابن حبان في "الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان" رقم 82، ص. 283.)

في نفس الدائرة المشار إليها سابقا، فإن ما يؤكده العلم والتجربة العلمية لا يمكن في ماضي الأمة المشرق رفضه أو التغاضي عنه بشرط أن يحصل إزاءه ثقة بقيمته وارتياح لمصداقيته. وهكذا فإن القرار السياسي مثلا لا يستطيع أن يعتمد موقفا يتعارض مع ما تأكد في الأوساط العلمية في أي مجال من مجالات الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية. وبالعكس فإن هذا القرار لا بد أن يستند أساسا إلى الخبرة العلمية والرأي الراجح بعيدا عن الهوى ونزوات النفس الأمارة بالسوء، ولا يكون ذلك أمرا يدعو إلى الاستغراب في أمة أُمر فيها نبيها وحيا بممارسة الشورى مع قومه. قال الله تعالى " وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ"(سورة آل عمران، الآية159) كما وُجهت الأمة إلى تعاطي الشورى كأصل ثابت، قال الله تعالى " وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ "(سورة الشورى، الآية35). كما أن تاريخ الحضارة الاسلامية الحافل بالإنجازات العلمية المتواصلة والتي قلبت الموازين الاجتماعية والاقتصادية والسياسية داخليا وخارجيا يعطي إشارة قوية على الحضور الفعلي للمقترح العلمي ضمن اختيارات السلطة الحاكمة. وهذا التوافق يظهر بصورة أكبر إبان فترات أوج القوة والتمكين التي أدركتها البلاد الاسلامية حيث ازدادت استشارة أهل العلم كثافة كما أن دعم جهود العلماء للرفع من مردودهم وتوجيه بحوثهم نحو ما يساعد على ترقية المجتمع والانتقال بحياة الناس نحو الأفضل توسع بشكل ملحوظ ماديا ومعنويا. وبالتأكيد فإن

المجتمعات الاسلامية استطاعت أن تحافظ على قوتها الذاتية التي أهّلتها للتأثير في الواقع الانساني بفضل تماسك شعوبها الداخلي من جهة وحسن تسخيرها قوة العلم في تطوير حياة أفرادها بعد تحقيق المستويات العالية من التحكم في آلياته والتي أدركتها من خلال توفّر الحد المقبول من التناغم والتفاهم بين العلماء والحكام، وفي المقابل فإن كل الحقب الزمنية التي عاشت فيها الأمة الاسلامية تقهقرا اقترنت باختلال في العلاقة بين هذين القطبين الرئيسين، وضع دفع بقوة إلى تهميش كلي أو جزئي للعلم.

صور من الخلاف بين العلماء والحكام:

إن الخلاف بين العلماء والحكام لم يكن استثناء بل كاد أن يكون الصفة التي تطبع العلاقة بينهما وغالبا ما كانت تغذيه رغبة الحكام في إخضاع العلماء لسلطانهم بصورة كاملة لكن العلماء العاملين ظلوا يقاومون هذه النزعة بكل ما أوتوا حتى لا يفقد العلم مكانته والعلماء هيبتهم. وما أكثر ما أدخل العلماء السجون والمعتقلات وتعرّضوا بداخلها إلى صور بشعة من الاهانة والتنكيل والتعذيب بل والقتل، منها محنة الإمام أحمد ابن حنبل (241هـ) لأنه لم يقل بخلق القرآن وخالف بذلك الحاكم الذي تبنى مقولة علماء المعتزلة الذين كانوا يقولون بخلق القرآن (المقدسي،576هـ "محنة الإمام أحمد بن حنبل)، وإهانة وضرب وحبس سعيد بن المسيب (94هـ) الذي أبى أن يبايع الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان قبل النظر، بل ومنعوا الناس من مجالسته. (الذهبي، ت748هـ، سير أعلام النبلاء، الجزء الأول، رقم 2275، ص.ص.1822–1829؛ ابن العماد، ت1089هـ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب؛ ابن سعد، ت230هـ الطبقات الكبير، الجزء السابع، رقم 1508)، ومحنة الامام سعيد بن جبير(95هـ) الذي أمر الحجاج بضرب عنقه. (ابن خلكان، ت681هـ، وفيات الأعيان؛ الجزء 2، رقم 261، ص.ص.371–374.، الذهبي، ت748هـ "تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام"، الجزء6 ص.365-369. و"سير أعلام النبلاء"، الجزء الأول، رقم 2234، ص.ص.1795–1801)، ومحنة الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت (150هـ) التي نشأت عن رفضه تولّي القضاء إلى درجة أن الخليفة المنصور حلف عليه بتولّيه وقابله بالحلف على عدم تولّيه، وحين قال له الربيع الحاجب:" ترى أمير المؤمنين يحلف وأنت تحلف" كان رده: "أميرُ المؤمنين على كفَّارة يمينِه أقدَرُ مِنِّي" فأمر الخليفة بسجنه حتى مات فيه (الذهبي، ت748هـ، تاريخ الاسلام. الجزء 9، ص.311) ، ومحنة الامام سفيان الثوري الذي ظل مختفيا عن الأنظار لفترة طويلة ويتنقل بين بغداد والبصرة ومكة المكرمة ويغيّر من مكان إلى مكان خوفا من بطش الأمراء حتى نودي في مكة: مَن جاء بسفيان فله كذا وكذا، فلم يزل مُتَوارِيًا بمكَّة لا يَظهَر

إلاَّ لأهْل العلم ومَن لا يخافُه.(بن سعد، ت230هـ، كتاب الطبقات الكبير، الجزء 8، ص.ص.492-495).

ومن العلماء الذين اصابهم أذى الحكام كذلك الامام مالك بن أنس، وقيل في إحدى الروايات أنه رضي الله عنه ضُرب بالسياط أيام أبي جعفر المنصور أو جعفر بن سليمان ومدَّت يده حتى انخَلَع كَتِفَاه بسبب عدم اعتبار مالك لطلاق المكره حيث ظل يذكر الحديث "ليس على مستكرَهٍ طلاقٌ" رغم نهي الخليفة له عن ذلك، قيل أيضا أنه لما ضُرب حُلق وحمل على بعير، ولم يمنعه ذلك من الجهر بالحكم الذي أقره، فكان يقول: ألاَ مَن عرفني فقد عرفني، ومَن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي، وأنا أقول: طلاق المُكرَه ليس بشيءٍ. وحين بلغ ذلك جعفر بن سليمان، فقال: أَدرِكُوه، أَنزِلوه. وحسب العديد من الشهادات فإن كل ذلك لم يزد الامام في عيون الناس سوى رفعة وعلوّ وانتصار للحق (ابن سعد، كتاب الطبقات الكبير. الجزء 7، رقم2193 ص.574؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، الجزء الرابع، ص.137؛ الذهبي، سير أعلام النبلاء، رقم 4664، ص.3153).

ومن مشاهر علماء الحديث الذين أصابهم الأذى من حكامهم الامام محمد بن اسماعيل البخاري. فقد بعث إليه والي بُخارى الأمير خالد بن أحمد الذهلي، وكان ظاهريّ المذهب، يأمره بحمل إليه كتاب "الجامع الصحيح" و" التاريخ الكبير" وغيرهما ليسمع منه وكان جواب الامام البخاري لرسول الأمير: أنا لا أُذلّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء منه حاجة، فأحضرني في مسجدي أو في داري، وإن لم يعجبك هذا، فأنت سلطان فامنعني من الجلوس ليكون لي عذر عند الله يوم القيامة، لأني لا أكتم العلم، لقول النبي ﷺ "من سُئل عن علم فكتمه أُلجم بلجام من نار"، قال: فكان سبب الوحشة بينهما، وقيل أن الأمير أمره أن يحضر منزله فيقرأ "الجامع الصحيح" و" التاريخ الكبير" على أولاده فامتنع عن الحضور، فراسله لعقد مجلس لأولاده لا يحضره غيرهم فامتنع قائلا: لا يسعني أنْ أخصَّ بالسَّماع قومًا دون قوم. فقام الأمير بعد ذلك وألّب عليه علماء بخارى وعلى رأسهم خالد بن أحمد بحريث بن أبي الورقاء فتكلّموا في مذهبه فجعل الأمير مقولتهم تلك حجة لنفي الامام عن البلد. وذُكر أنه دعا عليهم قائلا: "اللهم أَرِهِم ما قصَدُوني به في أنفسهم وأولادهم وأهاليهم" وتحقق الدعاء ولحقت البلايا بكل من شارك في المكيدة وشمل أحيانا الأولاد. (الخطيب البغدادي، ت463هـ، تاريخ بغداد ،ج2، ص.33 و34).

ومن العلماء البارزين الذين تعرضوا أيضا لمضايقة الحكام وسبّب لهم الاختلاف معهم الأذى الكبير شيخ الاسلام أحمد بن تيمية(ت728هـ) الذي استغرقت محنته معهم تقريبا كل مراحل حياته انتقل فيها من ضغط إلى ضغط أكبر منه و ظل ينتقل من مكان إلى مكان مستغلا كل فرصة لتعليم الناس و توجيه الرأي العام على ضوء مقاصد الشريعة

دون كلل أو ملل وقول الحق في كل الظروف والأحوال دون مجاملة مهما كلفه من محن وشدائد، كل ذلك لأنه كان يريد إصلاح ما فسد خاصة والأمة في زمنه كانت تعيش فترات حرجة وأوضاعا سيئة جعلتها مستهدفة من أعدائها فلم يتوانى في التصدي للجهل والخرافة ومحاربة البدع والمحدثات في المعتقد والسلوك ونشر الفهم الصحيح للدين وتقويم الانحراف والاعوجاج ومواجهة الظلم والظالمين وتحذير الأمة من مكايد الشيطان ومن مخططات أعداءها المتربصين. ولعل المجالات العديدة التي تدخل فيها هذا العالم الفذ وألف فيها كتبا وأسفارا تعطي إشارة واضحة أنه كان يرسم بها معالم مجتمع فاضل بنظرة شاملة متكاملة الأبعاد. ويكفي أن نتأمل في عناوين مؤلفاته(قائمة_مؤلفات_ابن_تيمية wikipedia)لنلمس غزارة علمه وبُعد نظره و رؤيته الثاقبة وآفاقه الواسعة وإحاطته الشاملة بمصالح الأمة. وكان طبيعيا أن يكون له خصوم ومناوئون كثر، وفعلا قد تعرض للتشهير والمنع من التدريس وإلى التعذيب والتنكيل، وتقلّب بين السجون، حيث قضى ثمانية عشر شهرا في سجن بالقاهرة عام705هـ تزامن دخوله هذا مع ليلة عيد الفطر(ابن كثير، ت774هـ، البداية والنهاية، 11/4،51/14)،ثم نُفي من القاهرة إلى الاسكندرية عام709هـ وبعدها بقي في سجن الاسكندرية سبعة أشهر بسبب اتهامه بأنه تعرض للصوفية (ابن عبد الهادي، ت744هـ، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية).

ثم دخل سجن دمشق سنة 720هـ ومكث فيه ستة أشهر بسبب فتاوى متعلقة بالطلاق منها إفتاؤه بعدم وقوع الطلاق البدعي، وأعيد مرة أخرى إلى سجن القلعة بدمشق سنة 726هـ وقضى فيه سنتين وثلاثة أشهر، وبقي تلميذه ابن القيم الجوزية محبوسا معه حتى توفي ابن تيمية داخل السجن ولم يُفرج عليه إلا بعد وفاة شيخه بشهر.(ابن عبد الهادي، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية) ولكثرة ما زار ابن تيمية السجون فيها فقد نقل عنه تلميذه ابن القيم مقولة كان يرددها "ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، أين رحت فهي معي لا تفارقني؛ أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة."(ابن القيم، ت751هـ، الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص. 109)

خلاصة

إن المثقف الذي يريد أن يسجل حضورا إيجابيا داخل مجتمعه يحتاج إلى أن يعزز في أعماق ذاته غيرة عليه وعلى مقوماته. بدون هذه العلاقة العاطفية لن يتسنى له خدمة هذا المجتمع بصدق وتفان. ومن العوامل التي تساعده على تنمية هذه العلاقة وتوثيق الصلة بالمجتمع محاولة التعرف على تاريخه وبناء الصورة الموضوعية عنه. ذلك أن الواقع الحالي ما هو إلا امتداد لأحداث وحوادث الماضي. فلن يكون في وسع هذا المثقف أن يفهم واقع مجتمعه وينخرط فيه لأداء دوره إلا إذا قرأه ضمن السياق التاريخي لهذه الأمة.

ومع ذلك لن يتمكن بعد ذلك من مواجهة مختلف التحديات وشق طريقه نحو المستقبل إلا اكتفى بالاعتزاز بهذا التاريخ وتقديسه والانبهار بصانعيه. فالمطلوب منه أن يقرأ تاريخ أمته من أجل الوقوف على أسباب ازدهارها وعلى العوامل التي كانت وراء ضعفها وانكماشها مما يزيده فهما لحاضرها وقدرة على التفكير في إيجاد مرة أخرى الوسيلة الناجعة لانطلاقها. إن قراءة التاريخ بالنسبة للمثقف ليس بهدف الاستمتاع بفصوله المشرقة في وقت توجد أمته خارج تصنيف الأمم المحترمة وذات الهيبة. إن حاجته إلى هذه القراءة تكون خاصة من أجل بلورة الرؤية المستقبلية والتخطيط للخروج من هذا الوضع البائس.

محور الدين

ماذا ينبغي للمثقف معرفته عن دينه ؟

تمهيد

وهنا أيضا لا ينتظر من المثقف أن يدرس الدين ليصبح ملما بجميع ما احتوى عليه. فتلك مهمة من سوف يتخصصون فيه بدافع الرغبة الخاصة أو نزولا عند قول الله تعالى" فلولا نفر من كل فرقة طائفة منهم ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون." (سورة التوبة، الآية123) ولكن مثل ما ذكرنا بالنسبة للتاريخ، فإن المثقفين لا بد أن يعرفوا عن دين أمتهم أكثر مما يعرف عنه عامة الناس، لأنهم يمثلون الحلقة الدينامية في المجتمع. إن كفاءتهم وفهمهم الصحيح للواقع وحسن اندماجهم في الحياة الاجتماعية عامة، كلها عناصر تساعد على تفاعل جميع فئات المجتمع بصورة إيجابية. فلا بأس أن نعرج على بعض المفاهيم الهامة التي ينبغي للمثقف أن يستوعبها بصورة كاملة و وافية حتى يتسنى له أن يؤدي دوره ويستفيد المجتمع من مؤهلاته وإمكاناته.

بعض المواقف والمفاهيم الأساسية

إن العلاقة الطبيعية التي تنشأ بين المثقف و أفراد المجتمع تتميز بدينامية خاصة، إذ من حيث المبدأ فهو يحظى باحترامهم لأنه ينتسب إلى أهل العلم، وهو موقف له جذوره في ثقافة المجتمع العريقة التي تجل العلماء وتفتخر بهم، ولكن حين يتعلق الأمر بالمثقفين الذين يعرفونهم وهم في تواصل دائم معهم فإن هذه العلاقة لا تكون ثابتة بل تتغير في صورتها الظاهرة حسب حقائق الواقع الاجتماعي، إما أنها تتعزز لدرجة أن أفراد المجتمع أو بعضهم لا يحترمون العالم فحسب بل يصبح له مكانة خاصة في نفوسهم قد تصل إلى حد تفضيله على غيره من العلماء يحملهم ذلك أحيانا على التعصب الزائد لآرائه وكل ما يدعو إليه. والمهم أنه يحظى بقبول أفراد المجتمع الذين يتعامل معهم وله مصداقية في وسطهم ولديهم استعداد خاص وقابلية للتأثُّر بأقواله و أفعاله و بما يدعوهم إليه وما ينصحهم به. وإما أن العلاقة تفتُر وتضعف فيفقد المثقف فيها كثيرا من الاحترام المألوف تجاه أهل العلم والمعرفة، فيكون من الصعب إقناع الناس بأفكاره وآرائه التي لم يعودوا يبالون بها وهذا بطبيعة الحال يؤثر سلبا على دوره الاجتماعي لأن الثقة بينه وبينهم اهتزت ونظرتهم السلبية نحوه جعلتهم ينفرون منه ويبتعدون عنه وبالتالي لا يستطيع التأثير فيهم. وهكذا فإن العلاقة بالمثقف تخضع لتوقعات هؤلاء الأفراد من هذا الأخير والتي يستخدمونها كمحك لتحديد مكانته الاجتماعية بينهم. فإذا كان هذا المثقف عند حسن ظنهم نال

احترامهم وتقديرهم واستطاع بسهولة أن يؤثر في حياتهم. وفي المقابل كلما أظهر فشلا في تجسيد توقع من توقعاتهم كلما أدى ذلك إلى ضعف تعلقهم به والحرص عليه. ومن الأبعاد التي يهتمون بها بشكل خاص ويتوقعون من المثقف أن يقدم فيها صورة مثالية تتوافق مع المكانة التي يُفترض أن يتمتع بها داخل مجتمعه : الأخلاق والدين، حيث يتطلعون إلى رؤيته مجسدا لأحسن الشيم والفضائل ومُقدرا بصدق حرمة دين المجتمع. ومن الصور العملية التي تترجم في واقع الناس مكانة الأخلاق والدين في حياة المثقف ما يلي:

1- عدم التنكّر لدين أمته لأن مثل هذا الموقف العدائي يجعل المثقف في وضعية لا تسمح له بالاندماج في حياة الناس وهو بذلك لا يستطيع أن يبني علاقات طبيعية ومثمرة معهم. ينبغي أن يتذكر أن الدين الإسلامي استقر في حياة المجتمع بشكل نهائي، وكل ما عرفته الأمة من هزات عنيفة وقلاقل واضطرابات بصورة متكررة عبر القرون لم تؤثر في هذا الاستقرار وفي هذا الاستئناس بالدين الإسلامي. وليعلم هذا المثقف بالأساس أنه لا يخدم أمته في شيء حين يدعوها إلى التخلي عن دينها، كما أنها قد ترغب عن الاستفادة من كفاءته حين يسجل موقفا سلبيا كهذا. وبالتأمل في واقع الأمة الإسلامية نلاحظ أن كل الفئات من المجتمع التي حملت شعارات مناهضة للدين الإسلامي لفظتها جماهير المسلمين و رفضت التعاون معها والانصياع إلى ما تدعو إليه، على اعتبار أن الدين ضابط اجتماعي قوي والالتزام به أو التعايش الايجابي معه هو الطريق الأيسر للاندماج، ذلك أن الحياة الدينية في المجتمعات الاسلامية، على حد تعبير فوشان عبد القادر،" هي الحياة الاجتماعية نفسها "، "ومن الصعوبة بمكان، كما يوضح، أن يرسم الباحث الاجتماعي خطا فاصلا بين ما هو ديني وما هو اجتماعي نظرا للتداخل الكبير بينهما"(فوشان عبد القادر،2011، ص.7). وطبيعة البعد الديني هذه وارتباط الحياة الاجتماعية به على هذا النحو كل ذلك ميز الاسلام عن باقي الديانات. وهو ما أوضحه الكاتب الفرنسي *ماكسيم رودنسون* من خلال مقاربة لطيفة بمقارنة بسيطة بين الدين الاسلامي والمسيحية على وجه الخصوص، حيث كتب قائلا:

" يجب أن نصر على حقيقة أن الدين الإسلامي يقدم لأتباعه مشروعًا اجتماعيًا، برنامجًا يتم تنفيذه على الأرض. ويميل الغربيون في الواقع إلى الحكم على جميع الأديان بناءً على نموذج المسيحية المعروف أكثر لديهم. الآن في هذه النقطة، يختلف الإسلام عن المسيحية وكذلك عن البوذية. يأتي الاختلاف من حقيقة أن الإسلام يقدم نفسه ليس فقط على أنه جمعية مؤمنين يعترفون بنفس الحقيقة، ولكن كمجتمع كامل"[2] ,(Rodinson,M.,1993,p.30).

[2]- **النص الأصلي:** « Rodinson, M.(1993). L'Islam: politique et croyance. Librairie Arthème Fayard.
« Il faut insister sur le fait que la religion musulmane présente à ses adhérents un projet sociale, un programme à réaliser sur terre. En effet les Occidentaux ont tendance à juger toutes les religions sur le

والكتابات التي تناولت الدين كبعد متجذر في الشخصية العربية المسلمة والتي أكدت في ذات الوقت على قوة العلاقة بين الدين وجوهر المجتمع وعمقه عديدة ومتنوعة (الديك فرحان، 1989.، مجموعة من المؤلفين، 1990. الدين في المجتمع العربي..،

Rémond, R.,1998; Gauchet, M.,1998; Michelat,G.& Simon,M., 1977; Kim, A.E.,2003; Cécile Jolly,2005; Viorel Rotilă,2019; Berger, P.,1967; Call, V.& T.B.Heaton,1997; Hadaway, C.K. & W.C. Roof,1978; Lehrer, E. & C. Chiswick, 1993; Levin,J.S. & H.Y.Vanderpool,1991; Maton, K. & E.Wells,1995; Pollner, M.,1989; Dawson,L.,& Theissen,J.,2014; Glock, C., & Stark, R..,1965; Stark, R.,1996; Weber, Max.,1958; Fisher, M.P..,2011; Holtzman, S.,2003; Becker, P.E. and P. H. Dinghra,2001; Uslaner, E. M.,2002; Schmeets, H.,2010; Ruiter,S. & N.D. de Graaf,2006; Lam, P.Y.,2006; Greeley, A.,1997; Botterman, S.& M. Hooghe, 2010).

2- ضرورة التسلح بالخبرة الصحيحة عن الدين. فلا تكون ثقافته الدينية مركبة من الأساطير والخرافات التي علقت بأذهان عامة الناس والتي ترويها الألسن ولا أساس لها من الصحة. وهنا يحق له ألا يساير التيار العام في المعتقدات الخاطئة، ويُنتظر منه بهذا الفهم السليم أن يساهم في تصحيح المفاهيم ومراجعة المجتمع في كل ما يحمله من صور مشوهة عن الإسلام. وهذا لن يتأتى له إلا بمحاولة جادة لتوسيع من دائرة معارفه الاسلامية و زيادة اطلاعه على العلوم الاسلامية بالقدر الذي يمكنه من استيعاب رسالة الاسلام وفهم مقاصده. ونظرا لحساسية المسألة يحتاج إلى ضبط معلوماته من مصادرها الموثوقة ولا يكتفي دائما بما هو متداول في الأوساط العامة فكثيرا ما تكون قد ساقته الشائعات وتحوّل مع الوقت إلى عادات لا ينفع في شيء الترويج لها خاصة إذا كانت غير متوافقة مع أصول الدين الصحيحة وقواعده الثابتة. بعبارة أخرى إذا كان المثقف أحيانا يؤدي دور الناقل للمعلومة الدينية يحسن به أن يقوم به على نحو لائق بحيث لا يتحول إلى ناقل للخرافات أو لما دسّه أعداء الاسلام و خصومه من آراء دخيلة و أفكار لا تمت إلى هذا الدين بصلة، كما يجب عليه الحذر من نقل الأخطاء أو عرض الصور المشوهة عنه والدفاع عنها تجنبا للدخول في أي سجال أو صراع مع المجتمع. وحتى إذا لم يكن الدفاع عن هذا الدين من أولويات حياته فلا يليق به كمثقف أن يتحدث عنه باستخفاف وأن يقول فيه كما يحلو له دون ضوابط. فمكانته بين الناس تلزمه يرعاها بالتحري والتدقيق واعتماد

---

modèle de celle qui leur est (de beaucoup) la plus familière, le christianisme. Or sur ce point, l'Islam diffère du christianisme comme également du bouddhisme. La différence vient de ce que l'Islam se présente non seulement comme une association de fidèles reconnaissant une même vérité, mais comme une société totale.»

الصدق والانصاف والموضوعية في كل الشؤون التي توكل إليه و هي صفات تلازمه في حياته الاجتماعية ولا تغيب في مواقفه المعلنة.

3- أن يكون مثالا أو أنموذجا في تجسيد أخلاق الدين وآدابه في حياته العامة والخاصة، فلا يعارض بسلوكه ما يدعو إليه الدين. فهو يحظى داخل مجتمعه بمكانة خاصة لا ينبغي أن يشوهها بهذا التناقض في حياته. وإن المجتمع، الذي قد يتسامح مع أفراد من عامة الناس حين يسجل معهم تعارضا مع الدين أو خروجا عن تعاليمه، يكون على غير استعداد لتبرير مثل هذه المواقف إذا صدرت عن المثقف. فهو يمثل القدوة ولذلك يأتي حكم المجتمع عليه صارما ومتشددا وأحيانا قاسيا. وستحمل هذه الردود السلبية رسالة الرفض القوية والتي ستقطع الطريق عليه نحو قلوب الناس وإمكانية كسبهم لصفه.

4- عدم تبني في حياته الدينية الخاصة الصور المتشددة و خاصة ألا يُلزم الآخرين باعتمادها. فالاعتدال في المواقف الحياتية يعطيه النفس الطويل ويجعله محل قبول من غالبية الناس الذين يلتفّون حوله ويتعاونون معه. أما التشدد والتطرف فلا تُقبل عليه إلا قلة لا تمثل بتوجهاتها وخصائصها أفراد المجتمع. ويجب أن يتذكر المثقف أن نبي الإسلام ﷺ حارب هذه النزعة وذم المتنطعين. فقد ثبت عنه ﷺ أنه قال" ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون، ألا هلك المتنطعون"(حديث رواه مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله، 2670، ورواه أحمد في الجزء السادس من مسنده، رقم 3655، وأبو داود في سننه، رقم4608، والطبراني في الكبير، الجزء العاشر، رقم 10368).

كما يجب أن يستحضر قول الله تعالى" قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة. كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون. قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون" (سورة الأعراف، الآيتان32 و33)، فلا يُدخل في دعوته إكراهات لا تتماشى مع مبادئ الدين ولا تتماهى مع الفطرة البشرية مثل اعتماد الحرمان أو التكلّف أو التضييق والاحراج كطريقة لتهذيب النفس وتطويعها.

5- أن يحسن توظيف ملكاته العقلية، فهو صاحب تفكير وتدبير، ومن الصفات التي تساعده على تحقيق ذلك في واقعه:

أ- ممارسة النقد الذاتي الذي يجعله يتحمل المسؤولية كاملة في كل ما يقع له وخاصة عند الفشل والإخفاق ولا يلجأ إلى الأطروحات الفكرية التبريرية التي تنسب أسباب الخطأ والقصور والفشل والعجز إلى الغير. والقرآن الكريم في هذه المسألة الخطيرة صريح

واضح. يقول الله تعالى "وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم"(سورة الشورى، الآية30). ويقول أيضا " فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى"(سورة النجم، الآية 32).

ب- أن يتصف تفكيره بالشمولية ولا يحاصره بأسوار النظرة الجزئية القاصرة. فكثيرا ما يخطأ الإنسان حين يسجل الموقف بناء على أجزاء من الحقيقة. وما أكثر ما يسود مجالس المسلمين من كلام يتناول الحقائق جزئيا أو يبرز فيه ما أضيف إليها ويغيب منه ما هو جوهري، وسرعة انتشار هذه الصور وتداولها الواسع في الأوساط الاجتماعية أعطاها قوة وقيمة. وهي مرشحة أن تحافظ هذه المصداقية المكتسبة خطأ ما لم تجد من يراجعها ويكشف عن الأوجه غير الدقيقة فيها. ويستطيع المثقف من موقعه المتميز أن يؤدي هذه المهمة على الوجه المطلوب فيقوم بتصحيح الرسالة المشوهة التي يتناقلها المجتمع وبعد إضافة ما حُذف منها وإزالة ما أضيف إليها يعيد إرسالها في صورتها الناصعة بكامل عناصرها.

ج- أن يكون تفكيره تجديديا وليس تفكيرا تقليديا استهلاكيا، فالمجتمع يتطور ولا يمكن فهم الواقع من خلال التصور المتحجر. فعن طريق الصور المألوفة والمعتادة قد لا يحقق الملاءمة والمواءمة. إن واقع الناس متجدد وفي حركية دائمة تكاد لا تعرف نهاية، فلا ينبغي أن ندركه كإطار ثابت لا يتغير وكأن الزمن توقف، بل يجب علينا إدماج في تصوراتنا التحولات والتطورات التي أصبحت جزء لا يتجزأ من البيئة التي تحيط بنا، فلا نقرأ هذا الواقع الحي من خلال قوالب فكرية جامدة. ومساهمة المثقف في تفعيل عملية تجديد المجتمع يُعوّل عليها كثيرا نظرا لسهولة تواصله مع أفراد المجتمع وقدرته على التأثير فيهم، لكن بشرط أن يكون هو نفسه ممارسا للتفكير التجديدي في حياته الخاصة والعامة، وأن يكون إيجابيا في التعامل مع الحقائق المستجدة ولا يقاوم سوى ما تأكد له من مصادره العلمية الصحيحة والتجارب العملية أنه جالب للضرر. ولذلك يُتوقع منه ألا يتعصب لآرائه وأن يكون على استعداد لمراجعتها بل والتخلي عنها إذا ظهر ما يبرر ذلك. وخلال هذا الجهد التقويمي الذاتي لا يشعر المثقف بأي حرج، بل سيشعر به فعلا إذا حاول التمسك بوجهات نظر أصبحت مرفوضة في الوسط العلمي بالدلائل القوية والاثباتات التي لا يمكن القفز عليها، لأنه عندئذ سيجد نفسه في صراع مع العلم وسيصطدم بعدها حتما مع الفطرة السليمة التي لا تستطيب المر ولا تستسيغ ما لا يُستساغ عقلا، وحين يبتعد المثقف عن العلم ويتخلى عن المنهج العلمي يفقد سندا مهما ترتكز عليه شخصيته المستقرة. والتجربة علمتنا أن مراجعة المواقف والآراء بإثرائها بالجديد الذي لا يمكن التغاضي عنه أو بتكييفها مع واقع فرض نفسه لا تؤثر في هذا الاستقرار بل تؤكده لكن من خلال عملية رصينة وهادفة يجدد المثقف بها نفسه حتى يكون بالفعل مثقف زمانه.

د- أن يعتمد التفكير العلمي الذي يتغذى من الحقائق ويُبنى على أساس البحث والمعرفة والتثبت وطلب الدليل، وعدم الاستسلام فيه إلى مظاهر الدعوات العامة التي لا تختلف أحيانا عن الشائعات. بل إن هذه الأخيرة كثيرا ما تكون مصدرها الذي يعززها ويساندها. كما لا يحق له أن يتبع الظن، إذ، كما جاء في القرآن الكريم "إن الظن لا يغني من الحق شيئا"(سورة يونس، الآية 36).(عرسان الكيلاني، ص.63-67). ونظرا للمسؤولية المعنوية التي يتحملها من خلال الموقع الذي وضعه فيه المجتمع فلا يسمح لنفسه أن يردد ما تتناقله وسائل الإعلام، وإذا احتاج في مواقفه أن يوظف بعض الأخبار فليقتصر على المتواتر منها وما تم التأكد من صدقها. وليتذكر أن هناك في المجتمع من يعيش حالة من التردد إزاء ما يجري ولا يحسم أمره إلا حين يسمع رأي المثقف الذي يثق فيه. وإذا كان لأقواله وأفعاله كل هذا التأثير فلا بد أن يقدر هذه المسؤولية فيراقب سلوكه ويزن كلامه ولا يعتمد في تحديد اختياراته وبناء مواقفه على الشكوك والظنون، لأن خطأ لمثقف أو سوء تقديره لا يؤثر عليه فحسب بل له كذلك انعكاسات سلبية أخرى على الحياة الاجتماعية من حوله.

6- ألا يتصنّع المواقف إرضاء للمجتمع على حساب ما يمليه عليه ضميره وما يهتدي إليه من خلال إعمال الفكر. فهو ابن شرعي لهذه الأمة، بُنيت شخصيته في سياقها فلا يكون مضطرا إلى الاختفاء وراء بعض المظاهر خوفا من ردود أفعال الآخرين، بل يجب أن يعيش معهم بصورته الطبيعية فيعرض نفسه على حقيقتها ولا يتكلف في إبراز شخصية اصطناعية وهمية يتحمل في تأكيدها و رعايتها متاعب جمة ومرهقة قد لا تنتهي. فعين المجتمع لا تتابعه في مدى تعلقه بما يتعلق به الناس أو في درجة حبه لما يحبونه وكراهة ما يكرهون، فهم لا يريدونه تابعا لهم يسايرهم في كل شيء وخاضعا لمطالبهم بل يحبذون فيه قدرته على توجيههم وقيادتهم نحو ما يسعدهم وما يحقق لهم التوافق في حياتهم والطمأنينة. فإذا اختار أن ينزل عن هذا الموقع المكتسب والذي لم يجبره أحد أن يتركه فسيكون له ذلك، ولكن سيصبح بعد التخلي عن أداء دوره الرائد ونشر رسالته النبيلة مجرد مثقف مغمور يعيش على هامش الحياة الاجتماعية لا يُسمع له صوت ولا أثر له يُذكر، أو إذا تنازل أكثر، أن يتحول إلى بوق اجتماعي يردد ما يقوله العوام والدهماء ملتمسا رضاهم على حساب كرامته وما يمكن أن يجنيه المجتمع من ثمرات وفوائد. وإن اعتماد النفاق والمظاهر المخادعة بهدف اكتساب مكانة في المجتمع هي مغامرة مفتوحة تأخذ صاحبها في طريق محفوف بالأشواك والمخاطر لن يشعر فيه بمتعة العيش ولن يدرك خلال مراحل السير فيه طمأنينة الحياة ولا راحة البال. وأخطر ما في الأمر كله أن يتحول "النفاق" إلى سمة من سمات شخصيته الثابتة التي توجه سلوكه وقراراته ومواقفه. والمنافق فضلا عن

أنه لا يعرف استقرارا في حياته وغالبا ما يستعرض صورا من المرض النفسي والاضطراب السلوكي (Ginzburg, B.,1922;Taylor, S.& Brown,J.,1988) فإنه كذلك لا يكسب صداقة ولا يحظى بثقة أفراد المجتمع. (Gastner, M.T. et al.,2019)

7- أن يتحقق على الأقل بحد أدنى من المعرفة بهذا الدين بما يسمح له أن يتجاوب مع واقع أفراد المجتمع و يسهل عليه الدخول في أعماقه. فهو بالضرورة يحتاج إلى معرفة جملة من المبادئ العامة التي بني عليها هذا الدين والمقاصد التي جاء من أجلها حتى يتسنى له تجسيدها في واقع تعامله مع الناس على الصورة الصحيحة المثمرة. فلا ينفع أن يكون المثقف تابعا في المسائل الدينية إلى من هم دون مستواه في الوعي والفهم والعلم، ومن الأفضل له ولمجتمعه أن يأخذ حاجته تلك مباشرة من العلماء المختصين في الدين الذين يتحمّلون مسؤولية التوجيه والنصيحة ويقدّرون عواقب الإفتاء. ولكي يكون في مقدوره الاستفادة من هذا المصدر الموثوق يحتاج إلى توسيع دائرة معارفه الدينية بحيث يكون متآلفا مع المتداول من مصطلحاتها ومطلعا على أساسياتها.

بعض العناصر من ثقافته الإسلامية

من المتفق عليه بين علماء المسلمين على اختلاف مذاهبهم أن كل ما يصدر عن الإنسان من أقوال وأفعال سواء تعلق بالعبادات أو المعاملات أو الجرائم أو الأحوال الشخصية أوبأي نوع من أنواع العقود أو التصرفات له في الشريعة الإسلامية حكم. وثبت بالاستقراء أن الأدلة الشرعية التي تُستفاد منها الأحكام العملية ترجع إلى أربعة: القرآن والسنة النبوية والإجماع والقياس.

إن القرآن الكريم هي المعجزة الخالدة التي خص الله بها خاتم أنبياءه ورسله عليهم الصلاة والسلام. وقد أعجز الناس أن يأتوا بمثله من نواح متعددة لفظية ومعنوية و روحية. والتحدي لا زال قائما، يقول الله تعالى" قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا "(سورة الاسراء، الآية88). ويقول سبحانه في آية أخرى" أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإلّم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا اله إلا هو فهل أنتم مسلمون"(سورة هود، الآيان13و14). ويقول أيضا "وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين. فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين"(سورة البقرة، الآيتان 22و23).

والقرآن رسالة الله إلى الإنسانية كافة. قال الله تعالى" قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا"(سورة الأعراف، الآية158). وقال أيضا "تبارك الذي نزل الفرقان على عبده

ليكون للعالمين نذيرا"(سورة الفرقان، الآية1). وقال الرسول ﷺ "...وكانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً. "(جزء من حديث رواه البخاري، رقم 328 و427 ومسلم، رقم521)

وبهذه الرسالة ختم الله الرسالات. قال تعالى" ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين"(سورة الأحزاب، الآية40). وتجاوزت رسالة القرآن الإنس إلى الجن. قال تعالى" وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن يستمعون القرآن. فلما حضروه قالوا أنصتوا. فلما قضي ولّوا إلى قومهم منذرين. قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أُنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم. يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم و يجركم من عذاب أليم."(سورة الأحقاف، الآيات 28-30). وقال أيضا " قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحدا."(سورة الجن، الآيتان 1و2).

وأنواع الأحكام في القرآن ثلاثة:

1. أحكام اعتقادية : تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر.(أحمد بن حنبل. "السنة"؛ ابن تيمية، تقي الدين، "العقيدة الواسطية" و"الاحتجاج بالقدر" و"الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان"؛ ابن قيم الجوزية، "فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى" و"حادي الأرواح في بلاد الأفراح"؛ الندوي، أبو الحسن، "النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والكاملة"؛ الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان، "مسألة الايمان وما يتعلق به"؛ اللالكائي، هبة الله بن الحسن بن منصور" شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة؛ أبو بكر جابر الجزائري، "عقيدة المؤمن"؛ ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، "تلبيس إبليس"؛عبد اللطيف بن علي السلطاني،" في سبيل العقيدة الإسلامية "،عمر العرباوي، " كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد"؛ الطحاوي، أبو جعفر." متن العقيدة الطحاوية"؛ السيد سابق، العقائد الإسلامية؛ حسن أيوب، "تبسيط العقائد الإسلامية"...)

2. أحكام خلقية: تتعلق بما يجب على المكلف أن يتحلى به من الفضائل وأن يتخلى عنه من الرذائل. (ابن حنبل، "كتاب الورع" ؛ ابن المبارك، "كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق"؛ الحارث المحاسبي، "الرعاية لحقوق الله"؛ العلواني،" أدب الاختلاف في الإسلام"؛ الذهبي. "كتاب الكبائر".؛ ابن قيم الجوزية، "عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين" و" الداء والدواء " و" مدارج السالكين"؛ سعيد عبد العظيم،" خلق المسلم"؛ جلال الدين السيوطي، "حسن السمت في الصمت"؛ موسي بن أحمد الحجاوي، "شرح منظومة الآداب الشرعية ؛ ابن الجوزي،" اللطائف والطب الروحاني"؛ عمر بن الملقن، "حدائق الأولياء"؛ ابن عقيل، "فصول

الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة"؛ ابن قدامة "كتاب التوابين"؛ الهروي، "كتاب منازل السائرين"؛ ابن الجوزي، "بحر الدموع" و"البر والصلة "؛ الحكيم الترمذي، " أدب النفس" و" رياضة النفس"؛ ابن تيمية "طب القلوب" و"الزهد والورع والعبادة"؛ بن الحسين الآجري "أخلاق العلماء"؛ الخرائطي، "مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها" و"مساوئ الأخلاق ومذمومها"؛ الطبراني؛ أبو القاسم سليمان "مكارم الأخلاق"؛ أبو الحسن الماوردي، "أدب الدنيا والدين"؛ ابن أبي الدنيا" الغيبة والنميمة" و"إصلاح المال"؛ عبد الله دراز" دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن"؛ ضياء الدين المقدسي" فضائل الأعمال"؛ عبد الفتاح أبو غدة "صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل"؛ محمد الغزالي، خلق المسلم...)

3. أحكام عملية: تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات. وهذا النوع الثالث هو فقه القرآن وهو المقصود الوصول إليه بعلم أصول الفقه. والأحكام العملية في القرآن تنتظم نوعين: أحكام العبادات والتي تنظم علاقة الإنسان بربه، وأحكام المعاملات والتي تنظم علاقة المكلفين بعضهم ببعض. ومما يلاحظ هنا أن أحكام القرآن في العبادات تفصيلية لأن أكثر أحكام هذا النوع تعبدية في طبيعتها ولا مجال للعقل فيها كما أنها لا تتطور بتطور البيئات. وأما فيما عدا العبادات والأحوال الشخصية من الأحكام المدنية الجنائية والدستورية والدولية والاقتصادية فأحكامه فيها قواعد عامة ومبادئ أساسية ولم يتعرض فيها لتفصيلات جزئية إلا في النادر على اعتبار أن هذه الأحكام تتطور بتطور البيئات والمصالح.(رمضان البوطي، "ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية"؛ ابن تيمية، "رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية" و"خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة"؛ نزار محمود قاسم الشيخ، "مواقيت العبادات الزمانية والمكانية دراسة فقهية مقارنة"؛ حسن أيوب، "فقه العبادات: الحج"؛ سليمان بن محمد النجران، " المفاضلة في العبادات قواعد وتطبيقات"؛ بن الحسن المرادي "الاشارة في تدبير الإمارة"؛ ابن عبد البر، "الكافي في فقه أهل المدينة المالكي"؛ عبد العزيز عمرو " اللباس و الزينة في الشريعة الإسلامية "؛ أبو يعلى الفراء" الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"؛ الماوردي، أبو الحسن "الأحكام السلطانية" و"درر السلوك في سياسة الملوك" و"قوانين الوزارة وسياسة الملك"؛ شيبة الحمد "حقوق المرأة في الإسلام"؛ بن تركي الخثلان" فقه المعاملات المالية المعاصرة"؛ بن جنان اللخمي "الأدب والمروءة"؛ ابن القاص "أدب القاضي"؛ عمر سليمان الأشقر والآخرون "دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة"؛ محمد أبو زهرة "بحوث في الربا" و"الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية" و"التكافل الاجتماعي في الإسلام"؛ القحطاني" الربا أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة" و" مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة"؛ بن فايع" أحكام الجوار في الفقه

الإسلامي"؛ عبد الكريم زيدان "المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية"؛ ابن قيم الجوزية، "الطرق الحكمية في السياسة الشرعية"؛ شبير"المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي"؛ الأخضري،"متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك"؛ بن حسن النجيمي "الإنجاب الصناعي بين التحليل والتحريم" و"الإجهاض أحكامه وحدوده في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي" محمد المرسي زهرة،" الإنجاب الصناعي أحكامه القانونية وحدوده الشرعية"؛ هشام بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد آل الشيخ "ضوابط توظيف تقنية المعلومات التطبيقية في خدمة الفقه".

4– **بعض الخصال المساعدة:** ومن الخصال الحميدة التي ينبغي للمثقف أن يتصف بها وتطبع علاقته بأفراد المجتمع ومعاملته لهم:

أ– الصدق في الأقوال و الأفعال و النيات:

نظرا لأهمية الصدق في حياة الشعوب والأمم فقد وجدنا المجتمعات عبر التاريخ البشري وعلى اختلاف ثقافاتها ودياناتها تحرص على تربية أفرادها على هذا الخلق النبيل ومحاولة ترسيخه منذ نعومة أظافرهم. ذلك أن الصدق يعتبر من أهم الصفات الأخلاقية التي يستند عليها تماسك المجتمع وتعايش أفراده. وهي من علامات المروءة التي ينبغي أن يتصف بها كل إنسان. ففضلا عن شعور الفرد معها بصلابة النفس وقوتها وأنها تضفي على شخصيته مهابة تجعله يكبر في أعين الناس فهي أيضا مادة تتغذى منها العلاقات الإنسانية في كل مستوياتها واتجاهاتها بحيث يؤدي غيابها إلى انكماش هذه الأخيرة وتلاشيها. ومن ناحية أخرى فإن الصدق صفة ملازمة للمؤمن في كل أحواله إذ لا يمكن أن يجتمع في قلبه الإيمان والكذب، ودعوة القرآن إلى التزام الصدق و الانتساب إلى أهله صريحة. يقول الله تعالي" يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين" (سورة التوبة، الآية 119). وفي مشهد من مشاهد يوم القيامة عن الصادقين، يقول الله تعالى "هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا"(سورة المائدة، الآية119)، وهو ما أكدته السنة النبوية الشريفة. فعن ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ، فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ ويَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وإِيَّاكُمْ والْكَذِبَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، ومَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ ويَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا"(رواه الترمذي، رقم1971 والبخاري، رقم5743 ومسلم، رقم2607)، ولذلك عندما سُئل النبي ﷺ هل المؤمن يكذب، قال: لا. فقد رُوي عن عبد الله بن جراد قال : قال أبو الدرداء يا رسول الله هل يكذب المؤمن قال" لا، لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر من حدث فكذب".(حديث أخرجه ابن أبي الدنيا، رقم 140 و147) وعن

صفوان بن سليم قال: قيل يا رسول الله أيكون المؤمن جبانا؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن بخيلا؟ قال: نعم، قيل له: أيكون المؤمن كذابا؟ قال: "لا."(رواه البيهقي في "شعب الإيمان" الجزء 6 رقم 4472، ص.436 وأخرجه مالك في موطأه، رقم 1923) . والكذب اقترن مع النفاق، قال الله تعالى "فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ"(سورة البقرة، الآية10) كما يجرؤ عليه من لا إيمان له، قال الله تعالى" إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُون"(سورة النحل الآية105). وهذه الصفة الذميمة تزيد الانسان بعدا عن خالقه وتحرمه من هدايته. يقول الله تعالى" إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّار"(سورة الزمر، الآية 3)، ويقول سبحانه "إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّاب"(سورة غافر، الآية28). ومن جهة أخرى ما فتئت نتائج الدراسات تظهر ما للكذب من آثار سلبية على صحة الانسان النفسية والبدنية. ففي دراسة حول أثر الكذب على صحة الانسان التي قامت بها *أنيتا كيلي* Anita Kelly و *ليجوان وانج* Lijuan Wang, والتي قُدّمت بعض نتائجها على الأولية في المؤتمر السنوي الـ 120 لجمعية علم النفس الأمريكية. مفادها أن قول الحقيقة يمكن أن يؤدي إلى تحسين الصحة العقلية و البدنية للشخص بشكل كبير. فقد قام الباحثان خلال10 اسابيع بتتبع صحة 110 من البالغين، طُلب من نصفهم التوقف عن الكذب طول فترة الدراسة وهم يمثلون العينة التجريبية، الأمر الذي لم يلزم به أفراد العينة الضابطة الذين لم تعطى لهم أي تعليمات حول الكذب. وبعد إجراء الأفراد من العينتين التجريبية والضابطة اختبار كشف الكذب وقاموا بملء استبيانات حول صحتهم البدنية والعقلية، وحول جودة علاقاتهم أظهرت النتائج أن أفراد العينة التجريبية الذين تلقوا تعليمات لقول الحقيقة جنوا مزيدا من التحسينات الصحية. والملاحظ كما علقت *كيلي* أنه عندما كذب المشاركون من كلتا المجموعتين بشكل أقل في أسبوع معين، صرحوا بأن صحتهم الجسدية والعقلية كانت أفضل بكثير في ذلك الأسبوع وأفادوا بأن علاقاتهم الشخصية الوثيقة تحسنت وأن تفاعلاتهم الاجتماعية بشكل عام كانت أكثر سلاسة. ومن التفسيرات التي قدمت أن الكذب يؤدي إلى إطلاق هرمونات التوتر، وزيادة معدل ضربات القلب وضغط الدم. (Kelly, A. E., & Wang, L.,2012 ; Angela Haupt ,2012, how-lying-affects-your-health)

وتفترض النظريات المعرفية في تناولها التضليل والخداع أن الكذب المتعمد والناجح يتطلب موارد معرفية أكثر مما يكلفه قول الحقيقة (Vrij et al., 2006, 2011) ، فالذي يكذب يحتاج إلى اختلاق قصة، ومتابعة ردود أفعال من يكذب عليهم، والتأكد من أن القصة المكذوبة لا زالت متسقة ولا تثير أي شكوك. و كما يرى *زوكرمان* و *ديبولو* و *روزنتال*(Zuckerman, DePaulo, and Rosenthal,1981) فإن الذي يكذب يحتاج إلى

رعاية الاتساق الداخلي كتجنب التناقض مع الذات، والاتساق الخارجي بالتأكد مثلا أن كذبه لا يتعارض مع ما هو حقيقي لدى الآخرين. وبالتالي يتطلب الكذب جهدا إدراكيًا أكثر من قول الحقيقة. وهذه كلها أفعال إرادية تستهلك جهدا عقليا متواصلا، وقدمت دراسات عديدة أدلة على أن مناطق الدماغ قبل الجبهية prefrontal المنخرطة في التحكم المعرفي تعمل أكثر أثناء تعاطي الكذب منها عند قول الحقيقة (Gamer,2011; Christ et al.,2009 ; Langleben et al., 2002)

والمتداول اليوم بين الباحثين الذين تابعوا واقع الكاذبين أن هؤلاء يدفعون ما أسموه التكلفة المعرفية وهي كل تلك الجهود الفكرية الاضافية التي لا يحتاجون إلى بذلها حين يختارون الصدق. وبما أنه بات معروفا أن توليد الأكاذيب يستغرق وقتا أطول فضلا عما يتطلبه من جهد عقلي مضاعف، فقد برزت بعض الصعوبات على مستوى الذاكرة البشرية نتيجة عملية قلب الأشياء أو تشويهها بفعل الكذب حيث أكدت بعض الدراسات أن أداء الذاكرة يكون أعلى وأفضل عند قول الحقيقة منه عند التحدث بالكذب. (Besken, 2018) ولو أن نتائج الدراسات لم تنفي أن تعوّد الكذب يحوّله إلى أمر أسهل، وكذلك أن من اعتاد الصدق، يكون الكذب بالنسبة إليه أكثر صعوبة. (Verschuere et al., 2011) وهي النتيجة ذاتها التي توصل إليها بوكستال وفريقه. (Van Bockstaele. et al, 2012) بل إن تكرار عرض الكذبة ظهر أنه يسبب تآكلا بطيئا في رصيد الفرد من المادة الصادقة المخزنة وبدء التشكيك فيها وقد يستمر هذا التدهور إذا حظيت الكذبة بالتعزيز خاصة من قبل الآخرين.(Wade et al.,2010 ; Polage, 2017)

وهذه النتائج في عمومها تقترب كثيرا من فحوى حديث النبيﷺ الذي ذكرناه حول ملازمة الصدق أو الكذب كيف ترسخ الصفة لتجعل من صاحبها كذابا خالصا أو صدّيقا. وفي هذا المستوى يكون الكذاب قد ألف الكذب وتعود عليه وتحرر من كل الحرج الذي كان يجده في البداية حتى لم يعد يستحيي من ممارسته. وهو الأمر نفسه بالنسبة لمن عود نفسه الصدق فهو لا يجد في تعاطيه أية صعوبة بل إنه سيجد حرجا كبيرا في استبداله بالكذب. يضاف إلى ذلك المشاكل النفسية والانفعالية والسلوكية التي يتسبب فيها الكذب المتكرر وأن يتحول الكذب إلى عرض لأمراض نفسية حادة. ففي الإصدار الثالث من الدليل التشخيصي والإحصائي للاضطرابات النفسية، الذي يصدر عن الجمعية الأميركية للأطباء النفسيين، اعتُبر الكذب المرضِيّ اضطراباً في حد ذاته، وعُدَّ علامةً على اضطرابات الشخصية مثل السيكوباتية والنرجسية. هذا الكذب الباثولوجي، يعرف أيضًا باسم الميتومانيا mythomania والبسودولوجيا pseudologia والفانتاستكا fantastica. ورغم أن الدراسات المتراكمة قدمت قراءات متباينة حول هذه الظاهرة فإن نتائجها مع ذلك توافقت

على أن هذا السلوك غير الطبيعي هو مجرد عرض يؤشر على وجود اضطراب تعاني منه شخصية الكاذب. (Wiersma, 1933 ;Lana Muzinic et al, 2016; Hull,2018 ;Birch et al,2006; Snyder, 1986; Thom et al, 2017;Modell,1992; Deutsch.1982; Selling,1942; Engels, R. C., et al., 2006)

إذا كان الكذب له كل هذه الانعكاسات السلبية على الأفراد والتي لا شك تشمل في العموم الحياة الاجتماعية، فمن غير المعقول أن يتصف بها المثقفون وعقلاء البشرية لأنها تحول بينهم وبين أداء دورهم داخل المجتمع. ثم إن العلم الذي ينشر النور ويبدد الظلام لا يمكن أن يلتقي مع الكذب الذي يساهم في التلبيس والتضليل ونشر الغموض. وإذا كان عامة الناس وخاصتهم يعتبرون الكذب صفة مستهجنة وسلوكا مستقذرا غير مرغوب فيه فاقترانه بحياة المثقف بأي شكل من الأشكال سوف يعرّض شخصيته للشك والريب ويحولها إلى عنصر مشبوه يبعث على الخوف والقلق فيفضل الناس احتياطا الابتعاد عنه وتحاشيه، وكل الكفاءات والقدرات والخبرات التي يتوفر عليها لن تشفع له لأنهم حكموا عليه بعدم القدرة الأخلاقية على تحمل أي مسؤولية داخل المجتمع، لأن من الأبجديات عندهم أن المثقف عالم صادق.

ب- *الصبر والثبات*.

هو من أخلاق المسلم الجليلة وبنص الحديث هو خير عطاء. فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سِنَانٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ نَاسًا مِنَ الْأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أَنْفَقَ كُلَّ شَيءٍ بِيَدِهِ: "مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ"(رواه البخاري، رقم 6105 ومسلم، رقم 1053). والصبر المقصود الذي يحمل معاني الرضا والاحتمال في أحسن حُلة، فيه إحقاق للحق وإرضاء لله رب العالمين بدليل انشراح صدر صاحبه ومطاوعة القلب له في طمأنينة وسكينة. ولكنه ليس صبرا على الذل والهوان تضيع فيه الحقوق وتُنتهك فيه الحرمات. فدينه الذي آمن به- وكله رغبة وحرصا أن يزداد الناس تعلقا به وتجسيدا لمعانيه في حياتهم- يأبى له الذلة والهوان، بل يدعوه إلى أن يكون عزيزا كريما. يقول الله تعالى "ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون"(سورة المنافقون، الآية8). فصفة الصبر يحتاج إليها كل إنسان، لأنه اجتماعي بفطرته لا يمكنه أن يستغني عن معاشرة الآخرين. وعدم الصبر يفسد عليه العلاقات معهم ولا يساعده على مد الجسور نحوهم بما يعود عليه وعليهم بالفائدة. والمثقف صاحب الرسالة الاجتماعية أولى بالاتصاف بالصبر. فهو يدرك جيدا أن المجتمعات لا تتغير بين عشية وضحاها

وإنما تستغرق العملية وقتها الكافي فيحتاج إلى النفس الطويل والصبر الجميل في تحمل تبعات عملية التغيير الشاقة والطويلة التي كثيرا ما يُحرم في خضمها حتى من رؤية أبسط مؤشرات حدوث التغيير. لكن ما يغذي أمله أداؤه الواجب على الوجه المطلوب وقيامُهُ بالأعمال المناسبة في وقتها المناسب ومن تم يحقّ له أن يترقب نتائج المستقبل المحفزة والمطمئنة. (Underwood,C. 2002;Albarracin, D.,& Shavitt,S.,2018). والصبر لا يترجم فقط القدرة على تأجيل المطالب والاشباعات (Schnitker & Emmons,2007) و حتى الذين أعطوا لعملية التأجيل حضورا خاصا ضمن فعل الصبر فإنهم أدخلوا ذلك ضمن معادلة أن الانسان يقوم بتأجيل ما يحقق له في القريب العاجل إشباعا محدودا قصد الوصول لاحقا إلى إشباع أكبر أو تتويج أعظم.(Read,Frederick,& Scholten,2013).

وبذلك تتم التضحية ببعض الوقت لتحقيق نتيجة أفضل. (Frederick,S.,et al,2003; Ainslie & Haslam, 1992) ولو أن بعضهم اعتبر تأجيل الاشباع الذي يقترن بالفوائد والأرباح غير متوافق مع الصبر بمعناه الأخلاقي الخالص. (Lavelock,C.R.,2015, 2-3) وهو ما دفع بعض الباحثين إلى التمييز بين فعل تأجيل الاشباع والصبر (Schnitker, 2012). ومع ذلك وحتى إذا تحرك هذا الكائن البشري برغبة تحقيق المكسب الأكبر والربح الأوسع، وهو أمر لا يخرج عن الفطرة البشرية، فالذي يجب الالتفات إليه أنه مارس تفكيرا وبواسطته بلور رأيا و رجّح اختيارا. فالصبر ليس مجرد انتظار سلبي لحصول المأمول واختفاء مصادر التهديد والأذى، بل هي استجابة عاقلة تحمل معاني أرقى، تنعكس آثارها على عدة أبعاد من الشخصية الانسانية حصرتها *كارولاين لافلوك* (Caroline R. Lavelock) في أربعة رئيسية: الصحة العقلية، الصحة البدنية، التوافق العلائقي والاستقرار الروحي. ومن المظاهر المجسدة للصحة العقلية كما توضح *لافلوك* اعتماد المرونة، انخفاض مستوى القلق، تحقيق الرفاهية، انخفاض في عدد حالات الاكتئاب. أما تلك التي ترتبط بالصحة البدنية فاكتساب الفرد مزيد من الطاقة، تقلص في عدد أيام المرض، تحسّن في الوزن بما يسمح أكثر بالتمارين البدنية، مع إمكانية التماس النوم المريح في غياب التوتر الزائد والقلق. بالنسبة للتوافق في بناء العلاقات فيظهر خاصة في قدرة الفرد على التواصل الجيد والاستعداد للتعاون مع الآخرين وتقديم المزيد من التضحية والدعم للمجتمع. أما الاشارات المعبرة عن الاستقرار الروحي فتتمثل خاصة في تسامي الفرد الروحي وارتباطه الشديد بمقدساته وحرصه من ناحية أخرى على أن تظل حياته هادفة ومشحونة بما هو مفيد وله معنى. (Lavelock, C.R., 2015, p.34-35).

ولأن الصبر في كل الثقافات وفي مختلف البيئات الاجتماعية خلّف آثارا إيجابية فقد ظل يحتفظ بدلالة وقيمة في قلوب الناس من كافة شرائح وفئات المجتمع الانساني، وقد

تواترت حوله عبارات بعضها صار بمثابة الحكم تتداولها الأجيال ضمن التراث الثقافي العام، وفيما يلي عرض لعينة منها:

– " كل شيء يأتي في الوقت المناسب لأولئك الذين يعرفون كيف ينتظرون." والذي يفيد أنه يمكن تحقيق أي شيء بالصبر والوقت.

– " لحظة واحدة من الصبر قد تتجنب كارثة كبيرة، ولحظة واحدة ينفذ فيها الصبر قد تدمر حياة بكاملها." (مثل صيني) ويوضح كيف ينجر عن مجرد الانتقال من حالة الصبر إلى حالة فقدانه خطر حدوث دمار كبير.

– "شيآن يحددانك: صبرك عندما لا يكون لديك شيء وموقفك عندما يكون لديك كل شيء."(جورج برنارد شو، ت1950،George Bernard Shaw) . وهذا يعني أن بالصبر قد نستعيد الأمل للبدء في التخطيط لتجاوز الظرف العصيب والمحنة القائمة أو الأزمة وحالة العوز والحرمان. فالعنصر الحاسم في هذا المشهد هو عامل الصبر حيث أن بدونه لا تنطلق أية مبادرة يمكن أن تحمل صورة عملية للتغير نحو الأفضل. في المقابل إذا اجتمع للفرد كل شيء، كيفية التعامل مع هذه الوفرة والموقف العام منها يصبح هو العنصر الأهم، إذ قيمة كل ما هو موجود ترتبط مباشرة بطريقة توظيفه واستغلاله.

– "فقدان الصبر يعني خسارة المعركة"(*المهاتما غاندي*، ت1948م، Mahatma Gandhi)، حيث أن الانتصار في المعارك العسكرية يعتمد على حسن إدارتها أكثر من اعتماده على الضربات العسكرية التي تصيب العدو. فالنصر نادرا ما يحصل مباشرة وإنما يتطور عبر مراحل المواجهة بين الأطراف المتصارعة، والعمل العسكري يُدار على المباشر ويُراجع في اللحظة وخطواته دقيقة وغير مستعجلة، إذ لا مجال فيها للمغامرات والتجارب غير المحسوبة العواقب. كل هذه الجزئيات إذا تفاعلت بصورة ما قد تؤدي إلى الانتصار أو تصنع الهزيمة وكل هذه الجزئيات تستظل بالصبر ليس فقط كخلق بل أيضا كآلية.

– "أقوى المحاربين: الصبر والوقت."(*ليو تولستوي*، ت 1910، Léon Tolstoï) ومن المعاني التي نستخلصها من التوقّف عند هذا المثل أن الصبر على تلقي الضربات والثبات معها على الموقع رغم تلقيها قد يكون بالنسبة للطرف الذي وجهها رد فعل أقوى من الضربات نفسها. فهي على مستوى الحرب النفسية تحمل رسالة قوية تعني أنكم فشلتم بهذه الوسيلة للنيل منا وأننا لا زلنا على الاستعداد لمواصلة التصدي لكم.

ومثل هذه الحكم كلها تتناول الصبر باعتباره أمر إيجابي يمكن أن يساهم بصورة مباشرة في تغيير الواقع نحو الأفضل. ولكن توجد في المقابل أقوال أخرى تعرض الصبر بكيفية سلبية مثل المقولة المشهورة "الصبر فضيلة الخاسرين والعاجزين والضعفاء المنهزمين"

والتي تعني أن الذين لا يستطيعون تغيير الواقع بأفعالهم وخططهم يكتفون بالصبر على صورة الواقع لعلها مع الوقت تتغير لوحدها. فالإنسان حين يعيش بالتمني المفتوح، يأمل أن تحصل له الأشياء التي يحبها وتسير أموره على ما يرام ويكون من الناجحين وتتحسن حياته تلقائيا نحو الأفضل. ومثل هذا الصبر لا يمكن أن نصنفه ضمن الفضائل فالصبر لا يعني السلبية أو الانسحاب الكامل من مشهد التحدي، بل يجسّد قوة التحكم في تقديم الخطوة أو تأخيرها وتقدير متى يجب التصرف، ولا يكون التحلي به جيدا ومفيدا إذا لم يصاحبه الأخذ بالأسباب الكاملة التي تتناسب مع الظرف القائم. بل إن الأشخاص الايجابيين لا ينتظرون حتى تتوفر الظروف المناسبة كي يشرعوا في تحقيق أهدافهم، إنهم يدركون بأن الانطلاق في المحاولة والمثابرة عليها هي وحدها التي ستجعل الظروف صالحة لاحتضان مشارعهم أو ما يرغبون في إنجازه، فلا يستسلمون للظروف المحيطة بهم ما داموا لم يستنفدوا كل ما بوسعهم القيام به.

ونظرا لأن ما يمكن أن يتحقق بواسطة الصبر لا يتسع له المجال فسنكتفي بالإشارة إلى بعض ثمراته:

- الصبر في جوهره عملية تركيز القوة وتجميعها كبديل عملي لاحتمال تبديدها في حالة استعجال الفعل أو رد الفعل دون جدوى.
- الصبر طريقة من طرق التكيف ليست أسوأ من غيرها في النتائج والآثار حتى يستبعدها العقلاء من اختياراتهم. وباعتبارها تحكّم في النفس وضبط لانفعالاتها، فإن اللجوء إليها إذا لم يتوج دائما بالنجاح أو بما يحقق الرضى الكامل، فإن الأدلة أكثر من أن تحصى على أنها كانت أقل توريطا لصاحبها في المشاكل والصعوبات التي تصرفه عن أهدافه الأصلية، فقد اقترن الصبر إيجابيا بالتخفيف من الضغوط النفسية(خالد مناحي وعبدالله هديب القحطاني، 2021.، Knives,2016; Housset,2009)
- وهي سمة تمنح الفرد القدرة على الثبات وضبط النفس (Alan.,& Ertac,2015) وعلى التحمل عند تأخر إشباع الحاجة أو حين مواجهة معاناة الجسم من جراء المرض أو كذلك أثناء مباشرة المسؤوليات والقيام بالمهام (Connor & Norma,1996) كما يرتكز عليها التوافق النفسي الذي يسمح بالمواجهة البناءة (Dudley,2003;Schnitker,2012.) ويشعر الصابر المحتسب بالرضا النفسي والسعادة والأمن في حين يكثر السلوك غير الصحي وغير الاجتماعي مع الذين ينفذ صبرهم بسرعة (Sutter, et al, 2013; Schnitker & Emmons ,2007) مع ما يعزز الصبر لدى الفرد من إمكانيات للتآلف مع الآخرين وبناء علاقات اجتماعية(Ryan,2003)، بل إن هذا العامل عزز التفاؤل لدى الطالب الجامعي

(أرنوط،2013) وحوّله إلى مثابر أكثر توجها وإقبالا على المستقبل(صالح،علي عبد الرحيم، ومنشد، حسام محمد، 2018.، نهلة فوا، 2019) .

- التجربة علمتنا أن عامل الوقت لا يمكن تهميشه عند التفكير في تحقيق الأماني والأحلام وتجسيد المشاريع وكل لأشياء الجميلة. وإن معاينة آثار تدخل عامل الوقت لا تتم إلا حين نمارس صبرا. هذا الأخير يهيئ لنا الظروف النفسية المساعدة على إعمال الفكر وتوجيه الملاحظة لمشاهدة الأشياء والأحداث كما هي وإجراء التقييم بطريقة صحيحة ومناسبة، كما يدفع بنا خارج الذاتية الضيقة ويحررنا من ضغوط الانفعالية والعاطفية لينقلنا إلى عالم الموضوعية والواقعية، ومن ثمرات ذلك توفير إمكانية القيام باختيارات مريحة (Loewenstein ., & Elster, J. (Eds.), 1992).

- إن حياة الانسان تكاد لا تخلو من محن وأزمات وفي كثير من الأحيان تظهر فجأة وبآثار وخيمة وكارثية،مثل الحروب والزلازل والأوبئة والانتكاسات الاقتصادية والاجتماعية. ولتجاوز أوجاعها و آلامها و كل مخلّفاتها الأخرى يحتاج الفرد إلى أنواع من الصبر حتى يستطيع مواصلة حياة هادفة، كالصبر على من فقده من أقربائه وأصدقائه وأحبائه، والصبر على ما ضاع من ماله ومكتسباته، والصبر على المرض الذي حل به أو بذويه (المرض المزمن، الاعاقة الدائمة...)، والصبر على نمط العيش الذي تعوده ولم يعد موجودا، والصبر على التكيف مع الواقع الجديد..الخ. فبتفعيل عنصر الصبر يستطيع أن يمر عبر حرج الأزمة وضيق المحنة مرورا مريحا يجعله أكثر قدرة على مواجهة كل صور الاحباط والحرمان والألم، وتحقيق نوع من جودة الحياة تتناسب مع هذه الظروف الصعبة.

والصبر يؤدي دور الوقاية الطبيعية من الاحباط. هذا الأخير غالبا ما ينشأ عن الفشل في تلبية الحاجات ويرتبط في جوهره بعدم القدرة على تأخير الإشباع. والصبر يمنح الفرد مزيدا من الوقت يستطيع أن يستغله في إيجاد طريقة يخفف بها من حالة التوتر وفي نفس الوقت يحافظ بها على قوة الشخصية وتماسكها دون أن يضطر إلى الاستسلام لمطالب النفس والخضوع لنظام الإشباع الفوري الذي تفرضه.

- إن الصبر عندما يتعدى المستوى الفردي ويتحوّل إلى صفة تطبع الحياة الاجتماعية العامة ينحصر معه التصادم بين الناس وتخف الصراعات بينهم. في ظل هذه الأجواء الهادئة تزداد النفوس اطمئنانا واستقرارا وتلقائيا تزول كثير من الحواجز التي ظلت تمنع حصول التقارب بين أفراد المجتمع الواحد، فينتعش بينهم الحوار والتعاون خاصة في المسائل ذات الاهتمام المشترك، وتدريجيا يتحررون من عالم الأنانية المغلق فتصيبهم نسمات وجرعات أولى من متعة التضحية والايثار فتصفو نفوسهم وتسمو أرواحهم وتقوى عندهم الرغبة في الانفتاح على بعضهم ويزداد الشعور بالحاجة إلى التقرب منهم يصعب

عليهم بعد ذلك إدراك أي معنى لحياتهم خارج هذا السياق الاجتماعي، وسرعان ما يرتقون إلى ذروة العطاء حين يضعون اهتمامهم الشخصي في خدمة قضايا المجتمع الذين أصبحوا يعيشون من أجله. إن كل هذه المعاني التي اقترنت بالصبر تجعل منه سلاحا يحتاجه كل انسان ليواجه به عقبات الحياة ومشاكلها و وسيلة ناجعة للوقاية من الاحباط والقلق والاضطراب، وكلما زادت مهامه في هذه الحياة وتعددت أدواره و زادت معها توقعات المجتمع منه كلما احتاج أكثر إلى مادة الصبر ليستعين بها في مواجهة التجارب المرة كالإخفاق والسقوط والفشل والظروف الاستثنائية والأزمات وموجات الخوف وحالات التردد والارتباك والتي لا تخلو منها حياة إنسان.

والصبر بالنسبة للمثقف ليس فقط صفة تلازمه بل تكاد تكون سمة ثابتة تطبع شخصيته وعنوانا بارزا من عناوينها. فالمثقف – الذي يشعر بالمسؤولية تجاه المجتمع ويدرك جيدا أن الوقت ثمين فلا ينبغي صرفه في ما لا يفيد خاصة وأن الواجبات التي تنتظره أكثر حتى من الوقت الذي في حوزته – لا يسعه سوى أن يقدر كل خطوة يخطوها وأن يزن كل كلمة يتفوه بها وأن يتأمل في كل أفعاله قبل صدورها وأن يراقب ردود أفعاله ومشاعره وانفعالاته. والتزام المثقف بنظام صارم من المتابعة الدقيقة لأحواله وكل ما يدور حوله يتطلب زادا معنويا يمده بالنفس الطويل والقدرة على المواصلة. وبما أنه صاحب رسالة هدفها الجوهري "رقي الانسان" للوصول إلى المجتمع الفاضل الذي يحفظ كرامة البشر ويرعى قداسة الدين والخلق وحرمة العلم ومكانة العلماء، فإنه يحتاج إلى مراقبة ردود أفعاله من الواقع الاجتماعي الذي ينتمي إليه بحيث لا تصرفه عن مساره الذي يأمل من خلاله إدراك غايات أسمى. وبما أن هذه الأخيرة لا يتوقع بلوغها في المدى القريب أو حتى المتوسط فإن وسيلته التي تمكّنه من الثبات على القناعة ومواجهة اليأس هي الصبر. ومن أبرز صور الصبر التي سيكون مضطرا بحكم رسالته إلى التعامل بها:

- الصبر على كل مظاهر المقاومة التي يبديها المجتمع تجاه جهود الاصلاح والتغيير، وهو سلوك طبيعي ومتوقع ينبغي أن يتفهمه ويبني عليه استراتيجياته وتدخلاته، فهو احتمال مرجح على اعتبار أن الناس ألفوا حياتهم تلك وتعودوا عليها وعلى ما كل اقترن بها من متاعب وصعوبات ومشاكل، حتى أصبح تحمّلها والتعايش مع سلبياتها أيسر وأهون عليهم من التخلي عنها أو استبدالها.

- الصبر على عدم معاينة مؤشرات مشجعة بالسرعة التي يرغب فيها، ذلك أن المجتمعات لا تتغير بطريقة آلية، فهي تحتاج إلى إعادة صياغتها على الأقل في النواحي التي لها أولوية من بالنسبة للمثقف. فلا ينبغي أن يتأثر بهذا التأخر في ظهور النتائج.

• الصبر على جهل الناس الذي هو تحصيل حاصل له سياقه التاريخي الذي لا يمكن تجاهله، والاستعداد للتعايش ولو مؤقتا مع تلك الاتجاهات والأفكار والسلوكيات التي يتمسكون بها رغم أنها تقف أحيانا عقبة في وجه أي تحسن في نمط عيشهم. وليس أمامه سوى خيار واحد أن يجتهد في تنوير حياتهم بالعلم والمعرفة، فإذا نجح في هذه المهمة فإن تحوّل المجتمع نحو صحوة شاملة و وعي سيكون أسهل.

• الصبر على بعض العادات التي ورثها الأبناء عن الآباء وتناقلتها الأجيال والتي لا تتعايش مع ما يدعو إليه العلم. فلا يكون حكيما إذا اصطدم معهم بسببها، لأنه سيضع نفسه في موقع التهمة فيصعب عليه كسب ثقتهم من جديد، وأحسن له أن يسايرهم فيما هم عليه ويستمر في مرافقتهم مقتنصا كل فرصة متاحة واستغلالها لتمرير ما أمكن من رسائل مناسبة يأمل أن تخلف أثرا إيجابيا في واقع أفراد المجتمع.

ومما يبعث على الاطمئنان أن قدرات المثقف وخبراته والخصائص المميزة لشخصيته سوف تساعده على تبرير كل هذه المطالب والتعامل معها بقناعة بحيث لن يجد نفسه وهو يتجاوب معها في صراع مع الذات أو في تعارض مع تصوراته وفلسفته أو في تناقض مع ما يدعو إليه العقل السليم. كذلك فإن كل مواقفه لن يشعر إزاءها بأي حرج ولا يتلقى بسببها أي ضغط داخلي أو عتاب ضمير بل إنها ستصدر بصورة طبيعية لأنها متناغمة مع الرؤية البعيدة التي يعيش لها والأهداف التي يسعى لتحقيقها كما أنها مبنية على مقدمات سليمة ومبررات مؤسسة، منطقية و واقعية.

وبما أن إبداء الصبر من قبل المثقف ليس أمرا استثنائيا أو يرتبط ببعض الظروف فقط بل هو واجهة لسمة من سمات شخصيته الثابتة تتكامل مع تجلياتها الأخرى كالتأني والتحفظ وعدم التسرع أو الاستعجال وضبط النفس والمراقبة الذاتية...، فإن حياته تظل مستقرة لا تعرف التقلبات وتكاد تخلو من التناقضات رغم المراجعات الكثيرة التي يلجأ إليها والتعديلات التي يدخلها على مواقفه تكيفا مع متطلبات العيش. وإن حالة الاستقرار هذه التي لا تؤثر فيها الأحداث والتجارب مهما اشتدت وطأتها و زادت قسوتها هي في حد ذاتها مؤشر قوي على صلابته النفسية وتمتعه بالصحة والعافية بمعناها العميق.

ج. *القناعة و العفة*

حيث يتقيد المثقف المؤمن في استمتاعه بما هو حلال لا شبهة حوله، وكذلك دون إسراف. وبما أنه صاحب رسالة يؤديها في مجتمعه و لا يرى معنى لحياته خارجها فتجده مالكا لنفسه، جازما لأمره، غير متهالك على متاع الدنيا ومؤثرا الباقي على الفاني. هذه الصفة تزيد الناس تعلقا به وحبا له. إنه لا ينافسهم على دنياهم، وإنما هو الضمير الحي في مجتمعه يذكّر الناس ويعلم الجاهل ويواسي الضعيف ويقرّب البعيد وينشر الأمل ويبدّد

اليأس. فلا يدخل في علاقة مع أحد على أساس ما يحصل عليه من فوائد، فهو استغلال لمكانة مستفادة أو موقع، وفضلا عن أنه يتعارض مع الأخلاق الأساسية التي تؤمن بها كل الشعوب من كل الثقافات فإنه لا يسمح بتوثيق الصلات وإنما يدفع بقوة نحو استهلاك أفراد المجتمع بعضهم للبعض الآخر وبالتالي إضعاف العلاقات بينهم. فالمثقف لا يقيس احترامه لهم والتقرب منهم بما يملكون من مال أو جاه أو نفوذ، وإنما يقدّر فيهم بشريّتهم وإنسانيتهم دون الالتفات إلى لون أجسادهم أو إلى دينهم أو لغتهم. إن الشراهة والجشع والحسد صفات تخرج عن حالة الاعتدال والتوازن ولا يمكن أن تتعايش مع صفات اجتماعية لا غنى للإنسان والمجتمع عنها كالتعاون والتآزر والتكامل. وهناك بين أفراد المجتمع من سخّر حياته لجمع المال ومضاعفة الثروة وتحقيق تراكم الربح على الربح وهذا كله يمكن أن نجد له ما يبرره إنسانيا واجتماعيا، لكن المشكلة تبدأ عند ما تتحول هذه المطالب إلى أهداف في حد ذاتها وتخرج عن كونها مجرد وسائل يمكن استغلالها لتعزيز الكرامة الانسانية. و واضح أن هؤلاء عاجزون عن إقناع أنفسهم بأن ما يجمعون من مال يحقق لهم السعادة، فطريقة عيشهم وكيفية صرف أوقاتهم ونوعية علاقاتهم حتى مع أفراد عائلاتهم ومع أقرب الناس إليهم لا توحي بانهم سعداء كما يعتقدون، بل إن أحوالهم الظاهرة في أكثر من جانب حتى على مسافة منهم تجسد مظاهر الشقاوة والعيش الضنك التي لا يعرف الانسان في ظلها راحة بال، فإذا اقتربنا منهم أكثر عرفنا بلا أدنى شك أنها حياة القلق والخوف والترقب الذي لا ينتهي والأرق الدائم والجوع غير البيولوجي الذي لا يجد ما يسده والهروب إلى الأمام دون تحديد هدف أو تعيين مقصد، مع انعكاسات ذلك كله على الصحة النفسية والجسمية وما يمكن أن يصيبهما من خلل واضطراب. إن المتابع لواقع هذا الصنف من الناس يستطيع بسهولة أن يتحسس درجة الحرمان من التمتع بالحياة التي يعانون منها وكيف يقدّمون مراحل أعمارهم الغالية واحدة بعد الأخرى قُربانا لجشعهم وطمعهم الذي لا يعرف نهاية. ومن قرون مضت عرض رسول الاسلام محمد بن عبد الله ﷺ هذا الاقبال المحموم على الكسب والجمع على النحو التالي " لوْ كانَ لِابْنِ آدَمَ وادِيانِ مِن مالٍ لابْتَغَى وادِيا ثالِثًا، ولا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ، ويَتُوبُ اللَّهُ علَى مَن تابَ ".(حديث رواه مسلم، رقم 1048.، والترمذي، رقم 3998.، البخاري الأرقام من 6072 إلى 6075)

وما أكثر الأشقياء الذين أفنوا أعمارهم في جمع المال محرومين من استغلاله فيما يُصلح حياتهم وماتوا ولم يدركوا ما يُشبع أو يغطي حاجتهم منه. أما المثقف العفيف القنوع بالضرورة ستزداد رغبته في تقديم الخدمات إلى مجتمعه و تتضاعف التضحيات من أجل ترقيته، وبالتأكيد إذا كانت نيته في ذلك إرضاء لخالقه فإنه يكون بأفعاله تلك مجسدا لدعوة

الله سبحانه وتعالى "سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ"(سورة آل عمران، الآية133)، وبذلك يترقب مغفرة وجزاء أوفى.

وقد لا تفاجئنا نتائج تلك الدراسات التي انتهت إلى أنه كلما قلّ حرص طالب العلم بأن يصبح غنيا وأصبح هذا الأمر ثانويا كلما كان أداؤه المدرسي وتحصيله أفضل. فالمنشغل بدراسته لديه استعداد لتخصيص وقت أطول وجهد أكبر من أجلها، وإن نجاحه فيها يكون ثمرة طبيعية لهذا التفرغ وتركيز الجهود باستمرار والمثابرة، ومن آثار هذا النجاح المباشرة تحسّن في الأداء وتطوّر المهارات والكفاءات وإثراء للتصورات والقناعات وتوسّع وشمولية في النظر والتقدير فيتجاوز بذلك الرؤية المتمركزة حول الذات والتعلق غير الواقعي بالإشباع الفوري للحاجات الشخصية إلى إدراكه الواعي بأن مصيره مرتبط بالمجتمع وأن حياته فاقدة لكل معانيها خارج الاطار الاجتماعي، فيزداد انشغاله بمطالب الجماعة وتحمّل همومها لتصبح كثير من أهدافه الهامة إيثارية في طبيعتها يستفيد من تجسيدها أفراد المجتمع. أما الفاشلون فكانوا أكثر ميلًا لجمع الثروة، وكسب المال الكثير وضمان الشهرة دون حساب أو تقدير لمتطلبات ذلك من استعداد و عمل. وإن استغراقهم في التفكير العقيم و غير البناء حول مستقبل لا معالم واضحة تحدده حال بينهم و بين التقدم في دراستهم و كانت النتيجة فشلهم المحتوم، لأن الدافع الحقيقي للنجاح، كما ظلت تؤكده عالمة النفس الرائدة *أنجيلا دكوورث*، ليس هو الموهبة أو العبقرية بل مزيجًا خاصًا من الشغف والعاطفة والمثابرة طويلة المدى.(Duckworth, 2016)

من هنا يظهر جليا كيف أن المثقف بنظرته الثاقبة و تفكيره الرصين يوازن بين ما يشبع حاجاته الخاصة و ما يساهم في تحسين الحياة من حوله و في حالة التعارض و بدون تردد طويل يغلّب مصالح المجتمع على مصالحه من منطلق أن الفرد إذا فقد المجتمع الذي يحتضنه وينتمي إليه خسر كل شيء له قيمة وصارت حياته شبيهة بحياة المشرد الذي ليس له مكان يأوي إليه. إن هذا الوعي الذي يمتزج بالخوف يمنع المثقف من محاولة التضحية بالمجتمع، لأنه يعرف مسبقا أنها لن تكون في صالحه مهما حققت بعض المكاسب الآنية والمباشرة، وأن ضررها الآتي أكبر من تلك الفوائد إذ كما سبقت الاشارة ستكون على حساب قوة المجتمع وتماسك أركانه والذي ستمس ارتداداته السلبية كافة أفراد المجتمع. وطبيعي جدا لمن يفكر بهذه الاستراتيجية وهذا العمق وبعد النظر ويحمل هموم المجتمع بهذه الطريقة أن يكون عفيف النفس نقي السريرة طاهر القلب لا تحركه الأطماع ولا تؤثر فيه الإغراءات ولا يضعف أمام التهديدات. وبما أن شعوره بضيق الوقت ملازم له فهو قليل الالتفات إلى ما لا يعنيه أو الانشغال بصغائر الأمور فضلا عن الانغماس في الشهوات والملذات. كل هذا مُكلف بالنسبة للمثقف ويستثقله إلى درجة قد يعتبره في حقه

إسرافا خاصة من حيث الوقت الذي يستغرقه. ثم إن رعاية علاقته بالناس وتحمّل المسؤولية تجاههم يحتاج فيها إلى رعاية صحته والمحافظة عليها حتى يظل قويا ومتمكنا يستطيع القيام بالمهام التي لا بديل عنه فيها، على الوجه المطلوب، وهي كثيرة– داخل أسرته، في مكان عمله، مع جيرانه، مع عامة الناس وخاصتهم في كل مكان يحل به ... وليس ذلك فحسب بل ومطلوب منه أن يكون في جميعها نموذجا يُحتذى ومثالا يقتدي به الآخرون، كما ينبغي أن يواصل في طلب العلم واكتساب المزيد من المعرفة من أجل تحسين مستواه وتطوير خبرته وتوسيع تجربته فيكون مواكبا للتطورات وعلى اطلاع بالمستجدات و متواصلا مع المتداول من الأطروحات والأفكار يأخذها من مصادرها الأصلية والموثوقة. بهذا التزوّد يكون أقدر على التجاوب مع حاجات الناس وشحن عقولهم وتغذية فضوليتهم بالمفيد من الخبرة العلمية والحقائق الانسانية والاجتماعية وبالصحيح من الأخبار والأحداث وفي نفس الوقت يساعد على إخراجهم من عالم الخرافات ومن كل الأضاليل و الشائعات.

وكلما تحكّم المثقف في نزواته وتحصن من الانزلاق في خندق الإشباع المفتوح إرضاء للنفس، كلما تضاعف حجم مساهمته في المجتمع واتسعت رقعتها وتعززت مكانته بين الناس الذين يزداد إقبالهم عليه و أكثر ما يجلبهم قناعته و خلو حياته من الطمع، و هو في تقديري مستثمر ناجح عرف كيف يرتب خطواته في الاتجاهات المختلفة و كيف يحمي الذات من الاغتراب ويفكّ عنها العزلة التي كادت النزعة الانطوائية تفرضها كأمر واقع، وفوق ذلك كله يحافظ على موقع مريح يؤدي منه كل أدواره في تناغم مع المشروع الذي يؤمن به وتوقعات المجتمع و تطلعات أفراده و مع ما تمليه اللحظة الحاضرة من مسؤولية. وبفضل هذه الاستراتيجية وُفّق في إدراك بالتزامن عدة غايات نذكر من أهمها:

– المحافظة على التوازن النفسي ضمانا لحياة مستقرة و متكيفة و خالية من الأمراض النفسية.

– الرفع من مستوى وعي أفراد المجتمع الذي انعكس إيجابا على نوعية حياتهم في مناحي شتى خاصة التحسن في علاقات بعضهم ببعض التي اختفت منها كثير من مظاهر الشحناء و الصراع و بدأ يغلب عليها طابع الود و كثير من صور التعاون.

– المشاركة الفعالة في ترقية الحياة الاجتماعية، بانتعاش المبادرات الفردية وتفجير الطاقات في أعمال وأنشطة ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية فردية وجماعية تعالج المشاكل المطروحة في سياق مواجهة التحديات القائمة والدخول في التحضيرات للمستقبل.

– ارتفاع نسبة انخراط أفراد المجتمع في القضايا العامة واهتمامهم المتزايد بما يدور حولهم من أحداث و تحولات وخروجهم من حالة الانطواء على الذات والانتظار السلبي.

هذا التكفل الجماهيري – الذي نشأ عن قناعة بأنه الوسيلة الأمثل بفضل جهود المثقفين العاملين – غيّر وجه المجتمع في أكثر من جانب وفرض دينامية جديدة تجاوب معها الجميع ولم يقفوا في طريقها لأنها فتحت الآفاق المسدودة ونشرت بينهم الأمل والتفاؤل وأزالت أسباب التشاؤم وكل الهواجس والمخاوف، خاصة حين بدأت تفرز لهم الفرص والبدائل التي تستوعب بعض تطلعاتهم المستقبلية وطموحاتهم.

إن إطلاق الفرد العنان للأنانية وحب الذات والتضحية بكل شيء آخر من أجل تحقيق أهدافه الشخصية هي وسيلة غير مضمونة النتائج لأن المطلب بهذه الطريقة غير واقعي. إن هذا الفرد يتوقع من الآخرين خدمته وينسى أن الآخرين يتطلعون كذلك إلى خدمته لهم. فلا تستقيم الحياة الاجتماعية إلا بتبادل الخدمات بين الناس. والمثقف حين وجّه جهوده نحو تحسين الحياة الاجتماعية فقد قام بطريقة غير مباشرة خدمة نفسه فوفّر لها البيئة الصالحة التي يتعايش فيها الأفراد دون تهميش أو إقصاء وتتكامل بداخلها الأدوار دون تمييز فتحقق لكل واحد منهم سعادته وطمأنينته. ومن عقود خلت حذر *جون بول جيتي* قائلا " تذهب الأرباح الكبيرة إلى المستثمر الذكي والحذر والصبور وليس إلى المضارب المتهور والمبالغ فيه."(J.P.Getty,1965, p.154) وفي تقديري يمكن اعتبار المثقف بكل ما استطاع إنجازه هو هذا المستثمر الفطن والذكي الذي عرف كيف يسخر وقته وطاقته واهتدى إلى نظام أولويات لم يجلب له الخير فحسب بل أصاب هذا الخير المجتمع برمته.

إن خلق العفة حين يتصف به المثقف يحميه من كل إسراف في خدمة النفس وشهواتها فلا يضطر نتيجة الحاجة الملحة والضاغطة إلى الانحناء طمعا بما في يد الناس، فيخسر ثقتهم به ومكانته الرفيعة بينهم. فبنُكرانه للذات وإيثار الآخرين على نفسه يكبر في أعين هؤلاء ويصبحون على استعداد للإصغاء إليه ومتابعته في أقواله وأفعاله، وإذا حصل تعلق أكبر به ربما قلدوه وفضلوا مواقفه ودعوته على مواقف ودعوات غيره، وصار عندهم مصدر الاستشارة الأول في كل شأن من شؤون حياتهم.

رغم إقبال المثقف الظاهر على المجتمع واهتمامه المتواصل بشؤونه وتسخير أعز أوقاته في خدمته فإنه مع ذلك يحافظ على مسافة بينه وبين الناس تُخرجه من دائرة التأثر السلبي بهم والذوبان فيهم. فمن نتائج الاختلاط الدائم والمفتوح بهم أن يتحوّل بينهم إلى شخص عادي لا شيء يميزه عن بقية الأفراد وخاصة إذا صار في مجالسهم يتصرف كما يفعلون وينزل إلى الصور الحوارية التي يفضلون ويتناول المواضيع التي يحبذون وهنا قد يفقد هيبته بينهم ويصبح غير قادر على التأثير فيهم. والمثقف الواعي يملك من المؤهلات النفسية والمعرفية والاجتماعية ما يمكّنه من جعل إيجابيات الاحتكاك بهم تطغى على السلبيات مع القدرة على التخلص سريعا من تلك الآثار السلبية. فبقاؤه قويا هو في كل

الأحوال مكسب للجماعة لأنه بالأساس، كما أشرنا من قبل، لا يعيش لذاته بعيدا عن الناس بل حياته مسخرة لهم، وهو دائم الاستعداد لتقديم المساعدة والعون الذي يملك أن يقدمه لمن يحتاج إليه دون أي تردد ودون شروط. ويرى في ذلك أقل ما يتجاوب فيه مع قول الله تعالى "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض"(سورة التوبة، الآية71) وقوله سبحانه "إنما المؤمنون إخوة" (سورة الحجرات،الآية10). وقول الرسول ﷺ "المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا"(رواه الترمذي،1928 والبخاري، رقم 5680، ومسلم،2585) وقولهﷺ عن ابن عمر رضي الله عنهما: "المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة".(رواه البخاري، رقم2310ومسلم، رقم 2564)

ولعل المثقف يلتمس من المسافة التي يبقيها بينه وبينهم إمكانية المراجعة وإجراء الوقفات التأملية تقويما لكل ما صدر عنه من مواقف وما قدمه من أطروحات وآراء وما اعتمد عليه من طرق وأساليب وما اتخذه من قرارات وتبناه من اختيارات وسياسات، كما يستغل هذا الابتعاد عن الناس المؤقت والهادف في إصلاح نفسه والتفرغ لمعالجة عيوبها وتدارك نقائصها ليرتقي بها إلى مستوى القدوة الذي يتلاءم مع مكانته الاجتماعية وتوقعات أفراد المجتمع منه. كل هذه الأعمال الضرورية التي لا تقل أهمية عن توعية الناس والتكفل بتربيتهم ومتابعة أحوالهم ورعاية مصالحهم، وقد لا يتسنى له القيام بها أثناء الاحتكاك المباشر بهم. وحتى تؤتي المحافظة على المسافة أكلها وتحقق هدفها ينبغي له أن يحتاط خاصة تجاه ما يمكن أن يجده من متعة الخلوة التي قد تقوّى عنده الرغبة في مواصلة الابتعاد عن الناس وكذا تنمية شعوره بالخوف والحرج من الاختلاط بهم. وهذا الاختيار قد مالت إليه نفوس كثير ممن تصدروا عملية الاصلاح وخاصة عند مواجهتهم صعوبات وعقبات وفشلهم في تجاوزها فيختارون الانطواء على النفس والدخول في الخلوة هروبا من المسؤولية والواجب تجاه المجتمع، مثل الذين اختاروا طريقة التصوف التي تُسقط عنهم كثيرا من الأعباء الثابتة والمسؤوليات المؤسسة وتجرهم حتما إلى حالة التواكل السلبي. (بلحمام نجاة، 2012.ص ص.73-81.، بن تيمية، رسالة الصوفية والفقراء).

المثقف وبعض المعاملات

من بين ما يجب أن يعرفه المثقف في المعاملات:

1- **الربا:**

لقد أباح الإسلام للإنسان استثمار المال عن طريق التجارة . يقول الله تبارك وتعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ"(سورة

النساء،الآية29). غير أنه سد الطريق على كل من يسعى لتوظيف ماله بطرق ربوية. قال الله تعالى "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ"(سورة البقرة، الآيتان278و279). وورد عن الرسولﷺ قوله"إذا ظهر الربا والزنا في قرية فقد أحلوا بأنفسهم عذاب الله"(رواه الحاكم،رقم2261). وفي رواية أخرى "ما ظهرَ في قومٍ الزِّنا والرِّبا إلَّا أحلُّوا بأنفسِهِم عذابَ اللهِ"(رواه أحمد، رقم3809). أما الحكمة من هذا التحريم فقد أجملها الإمام الرازي عند تفسير قوله تعالى "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا ۗ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ۚ"(سورة البقرة،الآية275) في العناصر التالية:

- أخذ مال الإنسان من غير عوض.
- الاعتماد على الربا يمنع الناس عن الاشتغال بالمكاسب.
- أنه يفضي إلى انقطاع المعروف بين الناس من القرض.
- غالبا ما يكون المقرض غنيا والمستقرض فقيرا(الرازي،التفسير الكبير،ج.7، ص. 94).

إن الربا اعتصار الضعيف لمصلحة القوي، ونتيجته أن يزداد الغني غنى والفقير فقرا مما يفضي إلى تضخم طبقة من المجتمع على حساب طبقة أو طبقات أخرى مما يخلق الأحقاد والضغائن ويورث الصراع بين المجتمع بعضه مع بعض(نقلا بتصرف عن القرضاوي، الحلال والحرام. ص255-256). ويكفيه أن يتذكر الحديث النبوي الشريف الذي يحدد الموقف الإسلامي من العملية الربوية بوضوح. فعن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: " لعَن رسول الله ﷺ آكل الربا وموكله، وكاتبه وشاهديه"، وقال: "هم سواءٌ" (رواه مسلم في المساقات، رقم1598 وابن حنبل، رقم14263، والترمذي، رقم1206)[3]. مع ملاحظة أنه إذا كانت هناك ضرورة حقيقية وملحة يُرخص للفرد الاقتراض بربا بقدر ما يسد الحاجة دون تجاوز هذا الحد. ويكون الإثم على آخذ الربا وحده. غير أنه لا ينبغي سلوك هذا الطريق إلا بعد استنفاذ كل الأسباب الشرعية وأن يقبل عليه غير باغ ولا عاد وهو له كاره ساخط.

2- الرشوة:

يقول الله تعالى" وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ"(سورة البقرة،الآية188). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لَعَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ فِي الْحُكْمِ (الترمذي، رقم1336) وفي رواية أحمد، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:قال رَسُولُ اللهِ ﷺ "لعن الله الرَّاشِيَ وَالْمُرْتَشِيَ فِي

[3]- خلاف بسيط في الروايتين تعلق بترتيب الألفاظ.

الْحُكْمِ" (مسند بن حنبل، رقم9023). والمثقف لا شك يدرك أن في تحريم الرشوة وقاية للمجتمع من شيوع هذا السلوك الهدام وشيوع معه الفساد والظلم و روح النفعية بدلا من روح الواجب و المسؤولية.

3- الغش:

الغش سواء بالاحتيال أو الانتحال أو غيره عادة ما يقوّض الثقة وينتهك الاتفاق الضمني أو الصريح بين الشركاء بأن يكونوا صادقين ومخلصين ويكسر أساس الصدق والموثوقية، كما أنه يسلب قيمة العمل الجاد بمنحه من يغشّ مزايا غير مستحقة وغبر عادلة على حساب الوفاء للالتزام والولاء الصادق. ويؤدي الغش في حالة انتشاره إلى تراجع المعايير الأخلاقية وإضعاف الروابط بين الناس فيؤثر بقوة على التماسك الاجتماعي و يساهم بالتالي في عدم استقرار المجتمعات و في نشوب الصراعات. ولهذه الأسباب و كثير يرها توافقت ديانات وأعراف وتقاليد الأمم والشعوب و منظوماتها القانونية عبر التاريخ الممتد على إدانة هذا السلوك، والتضييق على من يعتمدونه كأسلوب في التعامل و ردعهم. وموقف الدين الاسلامي إزاء هذه الآفة واضح وجلي حيث ذمّ وحذر كل أنواع الغش والتدليس في المعاملات وفي غيرها ونهى عنها. ففي القرآن الكريم نقرأ قوله تعالى" وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ، الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ، وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ، أَلاَ يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ، لِيَوْمٍ عَظِيمٍ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ"(سورة المطففين، الآيات1-6). وفيه تحذير للذين يغشون في الكيل والوزن فيستوفون حقهم عند شراء البضائع ولكنهم ينقصون من حق الآخرين عند البيع كما ينذرهم بالويل والهلاك في الآخرة. كما نقرأ "وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً"(سورة الإسراء، الآية35) وهي آية تحثّ كذلك على الوفاء بالكيل والوزن بالعدل والإنصاف، وتحذّر من البخس والتطفيف في الميزان والمكيال. و وردت أحاديث نبوية كثيرة تنهى عن الغش وتجذر من عواقبه في الدنيا والآخرة. فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ بَاعَ مِنْ أَخِيهِ بَيْعًا فِيهِ عَيْبٌ إِلَّا بَيَّنَهُ لَه "(رواه ابن ماجه، رقم2246). وفي مسند الامام أحمد: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: قال رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: "الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَحِلُّ لا مريء مُسْلِمٍ أن يغيّب ما بسلعته عن أخيه إن علم بها تركها" إِلَّا (أحمد ابن حنبل، رقم17451). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رَسولَ اللهِ ﷺ مَرَّ علَى صُبْرَةِ طَعامٍ فأدْخَلَ يَدَهُ فيها، فَنالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا فقالَ: "ما هذا يا صاحِبَ الطَّعامِ؟ قالَ أصابَتْهُ السَّماءُ يا رَسولَ اللهِ، قالَ: أفَلا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعامِ كَيْ يَراهُ النَّاسُ، مَن غَشَّ فليسَ مِنِّي".(رواه مسلم، رقم 102). وفي المعجم الأوسط للطبراني عن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ "من غشنا فليس منا" (الطبراني،

ج.1، رقم 993). وفي رواية أبي داود، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ مرّ برجل يبيع طعاما فسأله كيف تبيع فأخبره فأُوحي إليه أن أدخل يدك فيه فأدخل يده فيه فإذا هو مبلول فقال رسول الله ﷺ " لبس منا من غشّ" (أبو داود، رقم 3452). وعن الحسن قال: عاد عبيد الله ابن زياد معقل بن يسار المُزني في مرضه الذي مات فيه، قال معقل: إني محدّثُك حديثا سمعته من رسول الله ﷺ، لو علمتُ أن لي حياة ما حدثتُك، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من عبد يسترعيه رعية، يموت يوم يموت وهو غاش لرعيّته، إلاّ حرم الله عليه الجنة" (رواه مسلم، رقم 142).

و واضح أن النهي يشمل كل أنواع الغش(في البيع والشراء وفي العمل عامة كعدم إتقانه، وفي شؤون الناس، وفي العلم والتعلم كعدم اعتماد الأمانة العلمية أو الغش في الامتحانات...الخ).

من ناحية أخرى فإن الغش لا يكون دائمًا نتيجةً كسل أو سوء نية بل يكون أحيانا مدفوعًا بعوامل نفسية أو مجرد عرضٌ لصراعاتٍ مع الذات. وحضور مثل هذه العوامل الضاغطة خلف هذا السلوك (Mitchell,M.S..et al,2018) وما يتحقق في ظله من إشباع مؤقت يجعل بعض الأفراد مع الوقت يطورون نوعًا من الاعتماد يشبه الإدمان على مكافآت الغش، كإدمان النجاح أو الأداء المتميز الذي يتحوّل الغش فيه إلى وسيلةً قهريةً للحفاظ عليه. فالغش كالكذب والجبن، هي عادات يمكن أن تتحول إلى إدمان بنفس الطريقة التي يمكن أن يتحول بها التدخين والشرب والمواد الإباحية والمخدرات إلى إدمان. وقد يتحوّل الغش إلى عادة تنتقل مع صاحبها إلى كل مجال يقتحمه. فالطلاب الذين أفادوا بانخراطهم في سلوكيات تُعتبر غشًا شديدًا في الجامعة كانوا أيضًا متورطين في سلوكيات تُعتبر غشًا شديدًا في مكان العمل (Sims, 1993). وهو ما أكدته دراسة *نونيس* و *سويفت*، حيث أن الطلاب الذين يمارسون أفعالًا غير شريفة في الفصول الدراسية الجامعية هم أكثر عرضة لممارسة أفعال غير شريفة في مكان العمل (Nonis, S.,& Swift,C.O.,2001).

يُضاف إلى ذلك إمكانية لجوء بعضهم إلى هذا السلوك غير الاجتماعي عند شعورهم بانخفاض تقدير الذات أو انعدام الأمان أو بالحاجة الملحة للاعتراف والقبول، وذلك لكسب استحسان الآخرين أو إعجابهم تعزيزا لاحترام الذات ورد الاعتبار لأنفسهم، خاصة في البيئات الاجتماعية المفرطة في التركيز على الأداء الذي يصبح هدفا يجب إدراكه بأي ثمن حتى على حساب النزاهة. فالخوف من الظهور بمظهر أقل من المتوقع يدفع هؤلاء إلى اعتماد أساليب ملتوية وطرق مختصرة غير أخلاقية.

إن محاولة الوقوف على الخلفية الحاضنة لسلوك الغش بهدف فهمه وبلورة برامج إرشادية أو تربوية وتحديد الطريقة المناسبة للتعامل مع كل حالة منه، لا تبرر إسقاط

المسؤولية عن فاعله أو الادعاء كما يروج بعضهم أنه نتيجة تغير في القيم وليس خطأ متعمدا من جانب مرتكبيه (Gross, E.R.,2001). والمثقف بحكم الوعي الكبير الذي يتمتع به ومن موقعه داخل مجتمعه يستطيع استيعاب هذه الصور وحسن التفاعل معها في الاتجاه المسؤول بقراءة ناضجة ليس فيها أي تبرير للغش تحت أي ظرف من الظروف.

4- المنهوب والمغصوب

لا يحل للمسلم أن يشتري شيئا يعلم أنه مغصوب أو مسروق أو مأخوذ من صاحبه بغير حق، لأنه بفعله الآثم ذلك يعين الغاصب أو السارق. إذ لا يصح شراء المسروق سواء من السارق نفسه، أو من غيره. والإسلام يدعونا جميعا إلى التعاون على فعل الخير وينهانا عن الاجتماع على الشر. يقول الله تعالى" وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ"(سورة المائدة، الآية2). وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال: " من اشترى سرقة، وهو يعلم أنها سرقة، قد شرك في عارها وإثمها"(رواه الحاكم، ج.2، رقم2253). وإن طول المدة بعد امتلاك المسروق لا يغير من الحكم المتعلق به. فطول الزمن لا يحول الحرام حلالا ولا يسقط حق المالك الأصلي. وعن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ " لتاجر الصدوق الأمين المسلم مع الشهداء يوم القيامة" (رواه الحاكم، ج.2، رقم 2142).

5- الإسراف

إن للأمة الإسلامية حقا في أموال الأشخاص وهي كما يقول الفقهاء مالكة وراء كل مالك. لذلك فإن شريعة الإسلام لا تبيح للفرد تضييع ماله والإسراف في نفقته. ومن هنا جاء الحجر على السفيه و عدم السماح له بالتصرف في ماله بطريقة مباشرة. يقول الله تعالى" وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا "(سورة النساء، الآية5). وعموما نهى القرآن الكريم عن الإسراف والتبذير، ومن ذلك قوله جل جلاله في هذا الشأن "وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"(سورة الأعراف، الآية31)، و قوله سبحانه " وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَ لَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورً "(سورة الاسراء، الآيتان 26 و27).

ومن الصفات التي ينبغي للمثقف أن يستعرضها في واقعه الخاص وخلال معاملته لأفراد المجتمع:

1- الصدق في الأقوال والأفعال وهي من ملامح المسلم ومعالمه البارزة التي تعزز ثقة الآخرين فيه و توثّق صلتهم به.

2- المحافظة على الأمانات. فعن قتادة، عن أنس قال: قلّما خطبنا رسول الله ﷺ إلا قال:" لا إيمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له"(أخرجه أحمد،ج.20، رقم12567، وابن أبي الدنيا، رقم 278، والبزار، رقم7196) وبهذا الفعل يساهم في استقرار علاقات أفراد المجتمع ونشر الطمأنينة بينهم في اتجاه يصنع في المدى القريب تماسكا.

3- التسامح مع الناس والعفو عنهم: إنها حياة المؤمن الذي يراقب ربه في كل لحظة ويؤثر ثواب الله على شفاء الغيظ، حياة "يظللها الحلم والعفو والتجاوز وضبط النفس"، ومليئة بالهدوء والاستقرار النفسي، وبالأمل والطموح والدافعية لتحقيق الأهداف. يساهم عفو الانسان وتجاوزه أخطاء الآخرين في تخفيف الأعباء النفسية وتحقيق السلام الداخلي، بينما يمنحه ضبط النفس قدرة على التحكم في ردود الأفعال العصبية، وعلى مواجهة التحديات والصعوبات بحكمة وثبات. وهو بذلك يؤسس لحياة مجتمع آمنة مطمئنة يشيع بين أفرادها الحب والرحمة فتنمو الصلات بينهم وتقوى الروابط، حياة خالية من الأحقاد والفتن والرغبة في الثأر والانتقام.

4- الصبر الذي هو من أخلاق المسلم الجليلة وهو بنص الحديث خير عطاء. يقول الرسول ﷺ "ومن يتصبّر يصبّره الله وما أعطي أحد عطاء خيرا وأوسع من الصبر"(جزء من حديث رواه مسلم، رقم 1053). وفي رواية أحمد بن حنبل "من يتصبّر يصبّره الله، ومن يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يُعفه الله، وما أجد لكم رزقا أوسع من الصبر"(بن حنبل، رقم11091). والصبر يحمل معاني الرضا والاحتمال في أحسن حلة، فيه إحقاق للحق وإرضاء لله رب العالمين بدليل انشراح صدر صاحبه ومطاوعة القلب له في طمأنينة وسكينة. ولكنه ليس صبرا على الذل والهوان تضيع فيه الحقوق وتُنتهك فيه الحرمات. فدينه الذي آمن به وكله رغبة وحرصا أن يزداد الناس تعلقا به وتجسيدا لمعانيه في حياتهم، يأبى له الذلة والهوان، بل يدعوه إلى أن يكون عزيزا كريما. يقول الله تعالى" وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ"(سورة المنافقون الآية8). والمثقف الصادق أحوج ما يكون إلي هذا الصبر نظرا لما تجلب له مواقفه الصريحة من ردود أفعال معاكسة حتى من أقرب الناس إليه و من كل اللحظات العصيبة والصعبة التي يضطر إلى التعامل معها. حتى يُحافظ على الهدوء والاستقرار ويتمكّن من رعاية علاقات قوية وصحية مع الناس، ويستمر في أداء دوره الرائد في المجتمع و تقديم مساهمته يحتاج إلى امتصاص بعض مشاعره السلبية وحالات التشنج والغضب وكل تعبير انفعالي يمكن أن يخرج عن السيطرة الذاتية، هذا فضلا أن الصبر يساعده في التركيز الأفضل على أهدافه ذات الأولوية، و كذلك في اتخاذ قرارات الأكثر عقلانية و واقعية.

5- القناعة والعفة حيث يتقيد المثقف المؤمن في استمتاعه بما هو حلال لا شبهة حوله، وكذلك دون إسراف. وبما أنه صاحب رسالة يؤديها في مجتمعه و لا يرى معنى لحياته خارجها فتجده مالكا لنفسه، جازما لأمره، غير متهالك على متاع الدنيا ومؤثرا الباقي على الفاني. هذه الصفة تزيد الناس تعلقا به وحبا له. إنه لا ينافسهم على دنياهم، وإنما هو الضمير الحي في مجتمعه يذكّر الناسي ويعلم الجاهل ويواسي الضعيف ويقرّب البعيد وينشر الأمل ويبدّد اليأس.

6- احتكاك إيجابي بالناس. بحيث لا يعيش لذاته بعيدا عن الناس وهمومهم، بل هو دائما على استعداد لتقديم المساعدة والعون الذي يملك أن يقدمه لمن يحتاج إليه دون أي تردد ودون شروط. ويرى في ذلك أقل ما يتجاوب فيه مع قول الله تعالى" وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ"(سورة التوبة،الآية71) وقوله سبحانه "إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ" (سورة الحجرات،الآية10). وعن أبي موسى رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال" المُؤْمِنَ للمؤمنِ كالبُنْيانِ يشدُّ بَعضُهُ بعضًا"، وشبّك بين أصابعه.(رواه البخاري،رقم2314.، ومسلم، رقم2585)، وقوله ﷺ " من نفَّسَ عن مسلمٍ كُربةً مِن كُربِ الدُّنيا نفَّسَ اللَّهُ عنهُ كربةً مِن كُرَبِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على مُعسرٍ في الدُّنيا يسَّرَ اللَّهُ عليهِ في الدُّنيا والآخرةِ ، ومن سَترَ على مُسلمٍ في الدُّنيا سترَ اللَّهُ علَيهِ في الدُّنيا والآخرةِ ، واللَّهُ في عونِ العَبدِ، ما كانَ العَبدُ في عونِ أخيهِ(أخرجه الترمذي، رقم1930)، وفي رواية مسلم، "مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ،.."(رقم2699).

ولأن قوّة هذه الصفات مستمدة من ارتباطها بثقافة المجتمع وأخلاقه، فإن رعايتها من قبل المثقف والحرص على تجسيدها في تعاملاته ومواقفه وعدم تجاوزها من شأن ذلك أن يعزز من موقعه داخل مجتمعه كما يمكّنه من ممارسة دوره أريحية كبيرة وعفوية.

الخلاصة

إن بقاء المجتمعات مرهون بالاستمرار في حركتها الدؤوبة نحو التغيير الذي يفرضه التطور. وتقع مسؤولية مرافقتها في هذه الحركة على عاتق المثقفين الذين يوجهون مسارها بناء على نتائج مراقبتهم لمعدل تطورها أو تراجعها وعلى ضوء ما استوعبوه من دروس الماضي واهتدوا إليه من قراءاتهم للمستقبل، فيهيئونها لكل تغيير محتمل، من خلال توعية مختلف شرائح المجتمع وتفعيل دورها، وبذلك يجنّبونها صدمة المفاجأة. وبالتأكيد سيتطلب القيام بذلك كثيرا من الفطنة والتفكير الواعي وبُعد النظر على اعتبار أن الظروف المساعدة بالحد المطلوب ليست دائما متوفرة فيكون المثقف مضطرا أحيانا إلى ابتكار وسائل واختبار أدوات وتجريب آليات من أجل تهيئة البيئة الأنسب للتدخل أو القيام بالمبادرة وكل هذا يتم تحت ضغوط الواقع المتزايدة. كذلك ينتظر من المثقف أن يبدي صبرا ويكون على استعداد

لتقديم التضحيات و أن يمتلك القوة المعنوية والشجاعة لتجاوز نفسه وحظوظها والتحرر من عالمها الضيق، حتى يرتقي إلى مستوى الرسالة التي يؤديها في المجتمع و الأهداف التي يريد تحقيقها. إن الذي يسعى لرفع القيمة الإنسانية والارتقاء بها في عالم الكمال البشري يعي جيدا أنه ليس في نزهة ترفيهية استجماميه، وأن الطريق الذي اختار سلوكه والسير فيه عن قناعة محفوف بالأشواك والمخاطر وتتخلله الحواجز والعقبات. فهو أكثر الناس، بعد العلماء وأهل الاختصاص، فهما و وعيا بمقاصد الدين وأفضل من يجسد أخلاق الدين في حياته وأكثر فئات المجتمع تعاونا و تضامنا مع أفراد المجتمع وأقلهم إيذاء لهم، و لا يسمح لنفسه أن يخضع أفراد المجتمع إلى من هو أقل منه كفاءة ومستوى في مثل هذه المسائل الحساسة وهذا يكلّفه أن يتعلم ويتفقّه ويجمع من الخبرة ما يضمن به احتلال موقعه الطبيعي بين الناس.

الفصل الثاني :

حياة المثقف

الاجتماعية

تمهيد

إننا نعيش في مرحلة من عمر الأمة يكاد كل فرد فيها يشعر بأن الواقع الذي يتحرك فيه غريب عنه ولا يستطيع إدراك فيه الطمأنينة المنشودة وأنه باستمرار يتكيف مع التحوّل السريع وعلى مضض يضغط على النفس حتى لا تختار مقاومة هذا الواقع الذي فرض نفسه. وإذا كان هذا النوع من التنازل في ظاهره لا يكلف الإنسان كثيرا في مقابل ضمان استمرار حركة المجتمع وعدم تعثرها أو توقفها، ولو في سياق شبيه بالهروب إلى الأمام، نتيجة عدم حصول التصادم أو التباعد واستعراض التناغم الشكلي بين الأفراد، وجدناه على المدى المتوسط والمدى الطويل تنجم عنه حالات من الاضطراب النفسي المركّب بسبب حالة القلق والتوتر المتزايدة التي باتت تطبع حياة الأفراد وتشكل ظاهرة اجتماعية. ذلك أن الهدوء الذي يسود فترة طويلة من الزمن قد يخفي في العمق تفاعلات تستطيع أن تفرز ظواهر الحرج ومقدمات الأزمات التي إذا لم يتم تحسسها في وقت قريب واستيعابها قبل الانتشار والاستفحال مع الاستعداد لمواجهة ما يمكن أن ينشأ عنها قبل ظهوره، فإنه قد يقلب حياة الأفراد رأسا على عقب فيحوّل السعادة والطمأنينة والاستقرار إلى موجات من التوتر والخوف والقلق واليأس. وبالتأكيد سوف لن تسمح هذه العناصر الحية والمؤثرة حتى للهدوء الظاهري أن يعمّر طويلا. بل إن فطرة الإنسان التي تتآلف مع حالة التوازن تأبى أن تبقى سجينة واقع يخنقها، فلا تستطيع أن تشق فيه مسلكا مؤنسا، ولا أن تجد مجالا بمثابة المرآة تتحرك فيه بصورة طبيعية دون تكلف، حيث لا حاجة معه إلى التواء أو انحراف أو تجنب أو احتياط وكأن الطريق معبد لها. كيف لا والواقع الذي يعيش فيه هذا الكائن البشري هو من صياغته وعلى مقاسه.

إن الحقيقة التي تعبر عن نفسها بكل وضوح نتغافل عنها بالضرورة و لا نتوقف عندها طويلا وبالقدر الذي تتطلبه حتى لا نضطر إلى اعتماد سياسة تسيير تتناول أفراد المجتمع وأوضاعهم حالة حالة، وهو أمر يتعذر تحقيقه على أرض الواقع، لذلك نكتفي بإجمال الصورة ومحاولة ضم الأجزاء المبعثرة إلى " كل" قد لا ينصهرون بالضرورة فيه. وكما قلنا إن حالة الهدوء هذه ليست دائمة كما أنها لا تمثل الوضع الطبيعي، إلا أنه ومن حسن حظنا هذه المرة أن الاستجابة الرافضة ليست متجانسة لدى الأفراد إذ أن كل واحد منهم سيسجل موقفه إزاء حقيقة الواقع القائم أمامه و كل واحد سيعمد إلى طريقته في"محاورة" هذا الواقع مما يجعل ردود الأفعال في مجموعها ضعيفة لا تشكل قوة دافعة بسبب توزعها وتشتتها، وبالتالي لا تؤثر بشكل كبير على المجتمع ولا تستطيع أن تُحدث فيه أي تغيير يذكر ولو أن بكيفية أو أخرى استطاعت نسبة كبيرة منهم التخفيف من حالة التوتر والقلق الذي تعاني منها، ولكن عملية الامتصاص هذه مؤقتة الآثار لأن

سبب الاضطراب هو الواقع نفسه وما دام هذا الأخير على حاله فيظل مصدرا يغذي هذه الحالة غير المتوازنة وغير الثابتة. بل إن طرق التكيف الظرفية التي يختارها الأفراد– والتي لا تُعنى بجوهر الأشياء، وقصدا قد تتغاضى عن الحقائق وما توجه إليه– تعمل على تكريس الواقع القائم ولا يمكن أن تساهم في تغييره.

وعموما فإن المجتمعات البشرية لهذا السبب تأخذ فيها عملية التعفن وقتا طويلا نسبيا ولكن قانون الحياة في النهاية يسود فيكون البقاء للأصلح والواقع الاجتماعي الذي يتزايد عدد أفراده المتدمرين منه لا بد أن يختفي يوما ما، طال الزمن أو قصر، ولو لسبب واحد أنه لا يحصل تطويره في اتجاه ترسيخه بل الحركة ضمنه تسير في اتجاهات عديدة متناقضة توفر الظروف التي تساعد على تفعيل عملية التآكل الداخلي البطيء فتجرّ المجتمع نحو نهايته.

ولعل الأطراف الأكثر معاناة داخل المجتمع هم الأفراد والجماعات الأكثر وعيا والأكثر قدرة على فهم ما يجري حولهم. أما المقولة "إذا عُرف السبب بطل العجب" فتسقط هنا وتفقد كل مدلول. ذلك أن الفرد كلما استطاع أن يقرأ الواقع بعين البصيرة وعمق فهمه للآليات التي تحركه كلما عرف واستيقن خطورة الوضع وضرورة العمل على تغييره. وهو رد فعل طبيعي بالنسبة لمن أيقن بأن سنن الله غلاّبة وأن الله ربط الأسباب بالمسببات وأخبر عباده جميعا قائلا " إنَّ اللهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ"(سورة الرعد، الآية 12). فيدرك بذلك أن الواقع لا يمكن أن يتغير من تلقاء نفسه، كما أنه لا يمكن أن يتغير في الاتجاه الصحيح إذا لم يتحمل العقلاء وأصحاب الفكر السديد وعامة المثقفين مسؤولية متابعة أحواله وأخذ المبادرات التي من شأنها أن تعيد للحياة الاجتماعية توازنها وترد للقيم والمبادئ اعتبارها وتدفع في اتجاه أن يحتل كل فرد الموقع الذي يتناسب مع ما يملكه من قدرات تسمح له بتقديم مساهمته التي تتكامل مع ما يقدمه الآخرون، ويستفيد الفرد تكيّفا يعكس سكينة النفس وطمأنينتها وشعورا بالأمن و راحة البال كما يكتسب المجتمع من جراء ذلك مردودا وافرا يرفع به التحديات ويتجاوز به الصعوبات ويسترجع به مكانته وهيبته بين المجتمعات.

لهذه الاعتبارات، خصوصا في الظروف غير الطبيعية التي تمر بها الأمة وفي ظل التحديات التي تواجهها، تتحول حياة المثقف من بُعدها الشخصي الضيق الذي تتحرك فيه الخصوصيات وتتفاعل فيه الميول الفردية والرغبات إلى بعدها الاجتماعي الذي يستوعبها كرصيد مستفاد ينبغي المحافظة عليه وكرأس مال في حوزة المجتمع يجب أن يُستثمر في الصالح العام، ويصبح الإنسان المثقف، بمحض إرادته وانطلاقا من قناعته الذاتية الراسخة، فاقدا لحريته غير مالك لاختياراته وغير متصرف في وقته إلا في إطار

ما يدفع مشروع المجتمع نحو استكمال منجزاته وتحقيق أهدافه. إنها الجندية الصادقة والمخلصة التي تخضع لسلطة الوعي ويقظة الضمير والشعور بالمسؤولية التي تتمتع بها هذه الشريحة من المجتمع. وبالتأكيد ستكون مساهمتها في المجتمع عظيمة وآثارها الإيجابية ملموسة لأن الآفاق التي تعمل فيها عن طواعية لا حدود لها كما أن الدافعية التي تنشط حركتها وتشحذ عزيمتها و تقوي رغبتها لا علاقة لها بموضوع المساومات من فوائد مادية وأطماع في مواقع نفوذ وطموحات أخرى يضعف أمامها عامة الناس.

ما هو المسار الطبيعي الذي يسير فيه المثقف؟ ما نوع العلاقات والصلات التي يربطها مع باقي شرائح المجتمع؟ كيف يكون حضوره في الجماعة ولأي الأغراض يسجله؟ متى يجب أن يغيب أو يتجنب الحضور؟ وما هي الأخطاء التي يجب أن يتحاشاها في ظل الأولويات التي تنظم حياته الاجتماعية؟

هذه بعض الأسئلة التي سنحاول تقديم الإجابة عنها في فقرات هذا الفصل مبرزين مرة أخرى أهمية الموقع الذي يحتله المثقف داخل المجتمع وحساسية الدور الذي يؤديه وصعوبة إيجاد البديل الذي يعوّضه فيه.

اختيار المجالس المفيدة

بما أن وقت المثقف ثمين فينبغي عليه أن يستغله بالكامل فيما يعود عليه وعلى أمته بالخير والمنفعة، ويأبى له ضميره و وعيه وشعوره بالمسؤولية تجاه باقي أفراد مجتمعه أن يتهاون في صرف وقته أو التفريط فيه. من أجل ذلك يتعين عليه أن يختار المجالس التي يحضرها نظرا لأن قيام هذه الأخيرة أو انعقادها يتكرر كثيرا وبالتالي يستهلك من أعمار الناس الكثير بفائدة قليلة في الغالب أو حتى بدونها، وهو الثمن الذي لا يمكن أن نضحي به ، و حسبه من المجالس التي يستطيع أن يسجل بها حضوره:

1- مجلس يستزيد فيه علما وحكمة ويعمق فهما وينير عقلا ويطور خبرة. فالمثقف في مثل هذه المجالس تلميذ يتعلم بكل تواضع وبكل صدق وإخلاص، بحيث لا ينفضّ مجلسه ذلك إلا وقد اكتسبت زادا وصار أفقه مما كان حين دخله وأشد محاسبة لنفسه وأحسن خلقا وأكثر قربا من خالقه. وبما أنه يتعلم من هذه المجالس فهي بالضرورة تُدار من قبل من هم أفضل منه وأعلم منه[4]. ومثل هذه المجالس إذا أمكنه ملازمتها وألا يغيب عنها فليفعل، فهي تزوده بما يقويه نفسيا و روحيا وعقليا، والأمة التي تعوّل عليه تحتاجه أن يكون من حيث القدرات والمهارات قويا و أكثر تأهيلا واستعدادا لتسخير مختلف كفاءاته لخدمتها.

---

[4]- قد تكون صاحب خبرة وصاحب علم وربما في مجال اختصاصك أعلم منه، لكن إدارة المجلس الحالي تؤول إليه أفضل سواء من حيث طبيعته ونوع تركيبته البشرية أو من حيث الموضوع المتداول فيه.

2- مجلس تكون فيه أنت من يدير شؤونه في الصغيرة و الكبيرة لسبب واحد أنك فيه أعلم إنسان وأكثر الحضور فهما و وعيا. هذا المجلس بهذه التركيبة البشرية يحقق فائدته القصوى حين تكون أنت من يديره. وحتما سينزل عن هذا المستوى إذا انتهى أمره إلى غيرك، لذلك لا ينبغي التنازل عن موقعك الذي لم تختره برغبة أو حرص وإنما فرضه عليك الواقع، وينبغي أن تتحمّل أعباءه ومسؤولية إدارته. هذا الموقف ينم في الظاهر عن جرأة لكن دوافعه الحقيقية التي لا يعرفها الآخرون هي تأنيب الضمير والشعور بالواجب والخوف من غضب الله عز وجل وكل مظاهر الصراع مع النفس التي تواجه هذا المثقف حين يجد نفسه في مثل هذه المجالس. ومما يترتب بصورة طبيعية عن هذا الموقف:

أ- حماية المجلس من الانزلاق إلى مستوى يكلف مزيدا من ضياع الوقت وتبديد الجهد دون طائل و لا فائدة.

ب- استفادة الحضور من المثقف فهما و وعيا و إدراكا و خبرة وعلما.

ج- انتقال فوائد المجلس إلى خارجه بواسطة الأفراد الذين عاينوه محتمل جدا خاصة إذا عرف المثقف كيف يخاطب الحضور. فالآباء والأمهات ينقلون ما تعلموه إلى بيوتهم ليعلموه بدورهم لأزواجهم وأولادهم، والمعلمون والمعلمات على ضوء ما اكتسبوه من حضورهم المجلس، سيوجهون تعاملهم مع تلامذتهم. وهذا بالتأكيد يؤثر إيجابا في واقع المجتمع ككل ويساهم مباشرة في توجيه حياة الناس فيه.

د- وقت المثقف الثمين تم تسخيره لخدمة الأمة، وهذا في حد ذاته مكسب في مظهره الاستثماري يبعث على التفاؤل بالمستقبل لأنها تمثل لبنة من لبنات البناء الصحيح، وقد وُضعت في مكانها المناسب.

ه- استرجاع العلماء وأهل الرأي والخبرة مكانتهم في المجتمع هو عامل قوة بارز في حياة الأمم والشعوب.

و- بداية عودة الأمة إلى نهجها الصحيح حيث أصبحت تُدار شؤونها من قبل علمائها ومثقفيها وهو ما سيعود عليها بالخير العميم.

3- مجلس يضم المثقفين الذين هم في مستواه من حيث الكفاءة الفكرية والقدرة العقلية، وهو المجلس الذي ينبغي أن يتردد عليه بصورة اعتيادية لأنه يمثل بالنسبة إليه مكانه الطبيعي الذي يتحرك فيه بكل أبعاد شخصيته ويتعامل فيه مع الآخرين بمستواه الحقيقي. في هذا النوع من المجالس تتحقق للمثقف حياة الاستقرار وسيولة في المواقف المتكيفة كما يستفيد مناعة خاصة تحمي شخصيته من أي تدهور أو تقهقر. وإن حضور هذا النوع من المجالس تتعدد أغراضه من مناسبة للتشاور بين المثقفين حول أوضاع الأمة وتطلعات أفرادها ومختلف التحديات التي تواجهها وكيفية التعامل معها، أو فرصة

لتقويم جهودهم الاصلاحية و نشاطهم اليومي مع شرائح المجتمع و الوقوف على أوجه القصور فيها وكيفية تداركها أو إطارا يستغلونه لتنسيق الجهود وتوحيد الرؤى والخطط بما يجنبهم الوقوع في التعارض و التناقض في المواقف و الاختيارات و يحقق التكامل فيما يقدمونه، أو محطة يتناول فيها المثقفون همومهم ومشاكلهم خاصة تلك التي تحول بينهم وبين إحداث الاختراق المنشود داخل المجتمع و ما ينجم عنها من شعور بالخيبة و فقدان الثقة بالنفس، ويغتنمون هذه المناسبة للرفع من معنوياتهم و شحذ همتهم و تقوية إرادتهم ومحاصرة موجة اليأس و القنوط التي قد تقتحم نفوس بعضهم، فضلا عما يُتاح لهم فيها من إمكانية التعرف على تجارب بعضهم و خبراتهم الخاصة و الاطلاع على المستجدات العلمية في مختلف الاختصاصات التي يتوزعون عليها.

هذه المجالس الثلاثة بمحتواها المتميز تسع المثقف و تتسع لحاجاته و متطلبات حياته ويمكن أن يحضرها للغايات والأهداف التي أوضحنا، إذ يكون فيها مستفيدا أو مفيدا. لذلك له أن ينظم أوقاته ويضع الخطط بحيث لا تفوته و لا يحرم من فضلها. أما غير هذه المجالس عموما فهجرانها وعدم حضورها يكون أولى لأنها لا تعود عليه بالفائدة النوعية، بل من الممكن أن تؤثر فيه سلبا إذا لازمها وقد تتحول إلى أخطر أسباب موته الثقافي البطيء الذي هو خسارة للفرد و الجماعة. نحن لا نتحدث هنا عن المجالس الطارئة أو الظرفية كحضور المآتم أو الأفراح أو ممارسة الرياضة الجماعية أو بعض المجالس الاستشارية يعقدها أفراد المجتمع والتي قد تدعو إليها جهات رسمية أو غير رسمية، وينبغي للمثقف أن ينظم وقته بما يسمح له بحضور أهمها، لأنها مناسبات يجتمع فيها الناس قد تكون فرصة يستطيع أن يعرض أثناءها تصورات وآراء ناضجة ضمن رسالته الهادفة.

و جاء هنا التركيز على المجالس لأن حضورها المعتاد يأخذ من أوقات الناس الكثير، بل تكاد تكون هي حياة الناس بحيث أنهم لا يتركون مجلسا إلا ويلجون مجلسا آخر على مر الساعات والشهور والسنين حتى يأتي أجلهم. لذلك إذا لم يراقب الإنسان نفسه فقد يفاجئه الموت و زاده للرحيل بعده قليل. وتتأكد الحاجة إلى هذه المراقبة بالنسبة للمثقف نظرا لأن استقامته على النهج الصحيح يتغذى منها المجتمع، وأن صحوة عقله ويقظة ضميره تنعكس إيجابا على حياة الناس الذين يعاشرهم فيكون سببا مباشرا في إحياء قلوبهم و رفع مستوى وعيهم. ولعل توجيهات نبوية شريفة عديدة جاءت تدعو الإنسان المؤمن كي يستغل حياته أحسن استغلال ويشحن أوقاته بفضائل الأعمال ويحرص على مجالسة الصالحين والأخيار ويستحضر عظمة خالقه في كل الظروف لأنه سبحانه يراقبه ولا تخفى منه خافية. ومن الأحاديث التي رويت عن النبيﷺ في هذا الشأن:

1- عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال للرجل وهو يعظه "اغتنم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك و صحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك" (حديث أخرجه الحاكم مرفوعا رقم7846 وابن أبي الدنيا في" قصر الأمل" رقم111)

2- عنْ أَبِيْ ذَرٍّ الغفاري وَمُعَاذِ بِنِ جَبَلٍ رَضِـيَ اللهُ عَنْهُمَا أن النبي ﷺ قال له: اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن" (حديث أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في معاشرة الناس، رقم 1987 والترمذي، رقم 1987، وأحمد ابن حنبل في مسنده، ج. 35، رقم21403).

3- عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال " مثلُ المؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ كالأُتْرُجَّةِ طعمُها طيِّبٌ وريحُها طيِّبٌ والَّذي لا يقرأُ كالتَّمرةِ طعمُها طيِّبٌ ولا ريحَ لها ومثلُ الفاجرِ الَّذي يقرأُ القرآنَ كالرَّيْحانةِ ريحُها طيِّبٌ وطعمُها مُرٌّ ومثلُ الفاجرِ الَّذي لا يقرأُ القرآنَ كمثلِ الحنظلةِ طعمُها مرٌّ ولا ريح لها"(حديث أخرجه البخاري، رقمي4732 و5111 ومسلم، رقم797).

وعندما ندعو المثقف إلى اختيار المجالس التي يحضرها بعناية فليس من قبيل تحريضه على مقاطعة المجالس واعتزال الناس، علما بأن النبيﷺ يدعو المؤمن إلى الاحتكاك بالناس وإلى مخالطتهم ويفضله على المؤمن الذي يعتزل الناس. فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ "المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم".(حديث أخرجه ابن ماجه، رقم4032، وأحمد في مسنده، ج.9، رقم5022)، ولكن ما نريد أن نؤكد عليه هو أن حياة المثقف في طولها وعرضها ليست هبة له وحده بل هي نعمة من نعم الله على المجتمع كذلك، فلا ينبغي أن يتصرف في وقته كما يفعل عامة الناس الذين يقتلهم الفراغ بل يجب عليه أن يوازن بين المصلحة التي يرجو تحقيقها والضرر الذي يمكن أن ينجم من جراء حضوره المجالس، ويختار منها ما يعود عليه وعلى الجماعة بالفوائد الجمة وبأقل الأضرار، لأن الضعف الذي يصيب شخصيته لا يتأثر به المثقف وحده بل وبسبب موقعه المتميز داخل المجتمع تتأثر به كذلك حياة الآخرين.

المثقف متميز في سلوكه وقدوة لغيره

إن سلوك المثقف يعبر عن مستواه ويعكسه في كل جزئية من جزئياته وفي كل مظهر من مظاهره. ومن الصورة السلوكية التي يستعرضها كل إنسان نستطيع أن نحدد مستواه الثقافي والعلمي والأخلاقي. وإن كل أقواله وكل أفعاله بأي وجه من أوجه الحياة تقريبا تعلقت، بما أنها صادرة من مثقف، لها دلالاتها الخاصة كما أن لها تأثيراتها في الواقع الذي يتحرك فيه. لهذا كله من المتوقع ألا يتصرف كما تفعل عامة الناس، وإنما سوف

يعيش متأثرا برصيده العلمي والثقافي الذي يوجهه في مواقفه بحيث تأتي هذه الأخيرة دائما متميزة في الشكل وفي المحتوى عما هو مألوف في الأوساط العامة وعادة ما يتجاوب معها الناس بالاستئناس والقبول. ومن بين المظاهر التي تطفو على سطح ردود أفعال المثقف ومختلف مظاهره السلوكية الأخرى:

1- مهارة التنظيم:

إن المثقف لا يغلب على حياته طابع الفوضى، فهو منظم في طريقة كلامه وفي تسلسل أفكاره التي يعرضها، وفي أساليب أداءه الأقوال والأفعال وفي تناسب هذه الأخيرة مع المقام الذي تؤدى فيه وفي ترتيب الخطوات والمراحل التي يحتاج إلى قطعها من أجل تحقيق أهدافه وما يصبو إليه. ومعاني النظام تلازمه في حياته العامة والخاصة وفي ظروفه الطبيعية وحين يواجه الأوضاع الاستثنائية. ومن الآثار الايجابية التي تنعكس على حياته بسبب وجود عنصر النظام:

أ- تحقيق أهدافه بسهولة ويسر وفي مدة زمنية قياسية، لأنه يعرف كيف يتحرك في الواقع، ومن أين يجب أن يبدأ، وما هي المسالك التي يجب أن يتجنبها لوعورة السير فيها أو لأنها تنتهي إلى انسداد، وما هي الأخطاء والحماقات التي يجب أن يتحاشاها. وبناء على ذلك فهو لا يتردد كثيرا و لا يتعثر في مسيرته و لا يرتكب أخطاء كثيرة و كل ذلك يُكسبه الرهان و يمكّنه من الوصول إلى مبتغاه في الوقت المقدر والمناسب.

ب- لا يصطدم في مسيرته بغيره إذ من البداية أخذ كل احتياطاته وبكل اهتمام و رويّة يقوم بتقدير عواقب كل خطوة يريد أن يخطوها ويحسب كل الحسابات المطلوبة. وبقدر ما هو حريص على رعاية حقوقه والمحافظة عليها. فهو يُقرّ عمليا أن للآخرين حقوقا كذلك، وأن مجال حريته ينتهي عند حرية الآخرين. وحين يسعى لوضع خططه في هذه الحياة فهو لا ينغلق على نفسه و لا يكون فيها حبيس الرؤية الفردية الضيقة ولا سجين الأثرة والأنانية التي تلغي وجود الآخرين وتتجاوز ما يعود لهم. وكل هذه الاحتياطات وغيرها بصورة طبيعية تُجنّبه الاصطدام بأفراد المجتمع، و تسمح له أن يتابع خطواته الهادفة دون توقف ودون تعثر حتى يدرك غايته.

2- الالتزام والانضباط:

إن المثقف عادة يعيش استقرارا في علاقته مع نفسه ومع الآخرين. فهو شخصية ملتزمة بكل معاني الكلمة، بحيث يستطيع كل فرد أن يتعامل معه بسهولة وأن يتكهن بمواقفه وردود أفعاله ويحقق معه كل توقعاته. إن حياته في كل مظاهرها مستظلة بروح مبادئ المجتمع وخاضعة للقانون السائد فيه والعرف القائم والعادة الصحيحة المعروفة بين الناس ومراعية للقيم والآداب الراقية والأخلاق الفاضلة المنتشرة في أوساطهم. وتكاد تكون عملية

اندماجه وذوبانه من الناحية الشكلية المظهرية في النسيج الاجتماعي كاملة. ومن الآثار المباشرة التي تترتب عن انضباط المثقف العام في السلوك والمواقف:

أ- تجنب المشاكل التي يتسبب فيها عادة الخروج عن الأطر الاجتماعية السائدة وتعاطي المواقف الشاذة وغير المقبولة. وهو بذلك يعفي نفسه من الدخول في معارك هامشية لا طائل وراءها، مدخرا طاقته و جهده لمهامه داخل المجتمع التي قد لا يوجد من يعوضه فيها.

ب- شخصيته بهذه الأوصاف تحظى بالقبول والرضا من قبل مختلف شرائح المجتمع ومن السلطات الفاعلة بداخله. إنها شخصية محبوبة لدى الناس، آلفة ومألوفة في وسطهم، يطمئن إليها الجميع. هذه المكانة المتميزة في قلوب الناس التي يحظى بها المثقف يكون بها مفضلا لديهم ومقدما عليهم وقدوة لهم، الأمر الذي يسهل عليه التأثير فيهم بسلوكه وكذلك حين يسدي لهم النصائح ويقدم لهم التوجيهات من موقعه داخل المجتمع.

3- العلم والاطلاع الواسع:

نظرا لطبيعة الموقع الذي يحتله المثقف داخل المجتمع فمن المتوقع أن يقصده الناس في طلب مشورة أو التماس نصيحة أو حصول على تنوير إزاء مسألة أو قضية لا تدخل بالضرورة ضمن اختصاصه الذي يملك فيه خبرة معمقة ومتطورة. فهم يقصدونه لأنهم اطمئنوا إليه واقتنعوا بكفاءته وارتاحوا إلى طريقة التعامل معهم، وفي تقديرهم، يعرف الكثير وآراؤه دائما سديدة و وجيهة. هكذا يعتبرونه وهكذا يصنفونه وهذه هي توقعاتهم منه سواء كانت موضوعية واقعية أو ذاتية مبالغ فيها من قبلهم، وسواء كان هو في هذا المستوى الذي وضعوه فيه أم لا. وهنا، وقبل الاسترسال في توضيح بعض آثار الاطلاع الواسع والخبرة المتنوعة على حياة المثقف وحياة الأفراد الذين هم في علاقة مباشرة به، لا بد من وقفة تأمل نستخلص منها بعض الدروس والعبر نلخصها في العناصر التالية:

أ- من السهل على المثقف أن يتنصّل عن المسؤولية مبررا ذلك بأنه ليس في مستوى توقعات الناس وأن ما يطلبونه منه يتجاوز حدود علمه ومعرفته وقدرته، لكن السؤال الملحّ الذي يطرح نفسه، من سوف يقصدون بعده إذا هو رفض أن يسد هذه الثغرة؟ وإلى من ستؤول شؤون الناس إذا امتنع عن القيام بهذا الدور؟ وهل يرى في المجتمع من هو أكثر أهلية منه ودائم الحضور لتقديم هذا النوع من المساعدة للناس خاصة في توجيههم وإرشادهم؟!!

ب- ألا يعتبر اللجوء إلى المثقفين في حد ذاته إشارة واضحة بأن المجتمع يسير في الاتجاه الصحيح وأنها خطوة تستحق التأييد وكل التشجيع خاصة في أمة عمّر فيها الجهل طويلا حتى تجدّرت فيها الخرافات والأوهام وتأصّلت وتشوهّت فيها الحقائق وتعطلت

الحكمة وفُقدت قيمتها؟ وفي المقابل يؤدي الموقف السلبي من المثقف المؤهل إلى العودة بالمجتمع للتأطير القاصر والاشراف غير المسؤول؟!!

ج– ما هي الآليات الأخرى التي يمكن اعتمادها وتسخيرها بالفعالية المطلوبة للارتقاء بالمجتمع إلى المستويات التي تسمح له برفع التحديات التي تواجهه إذا أبعدنا فئة المثقفين أو رفض هؤلاء تقديم مساهمتهم وأداء ما يدخل ضمن مهامهم؟ كيف ستحدث مثل هذه النقلة النوعية إذا غاب دور الفئة الأكثر اقتدارا في المجتمع؟

هذه الأسئلة تتحدث عن مصير مجتمع ومصير أمة، والإجابة عنها التي تكون في هذا المستوى من التحدي لا يمكن أن ننطلق فيها من حاجات فرد أو حتى حياة مجموعة أفراد. يبقى أمامنا خيار واحد يدرك معي المثقف أنه لا بديل لنا عنه وهو: ضرورة اضطلاع هذا الأخير بدوره وتحمّل كل التضحيات والتبعات والصبر على المشاق والمتاعب والعمل على تجاوز ما يعترض طريقه من حواجز وعقبات. إنها ملحمة المثقفين العاملين ومصيرهم المحتوم إما أن يكونوا أو لا يكونوا. ولا أدري هل يكون سهلا على مثقف أن ينسلخ عن شخصيته و يرتدي لباس غير المثقفين هكذا بقرار يتخذه في لحظة من لحظات حياته. هل هذا يكون ممكنا؟ وإذا كان هذا ممكنا، ما هو الثمن الذي يحتاج أن يدفعه كي يحققه. وفقط بالموازنة بين ما هو مضطر لتقديمه والتنازل عنه لإنجاز هذا الهدف الخيالي وما سوف يكتسبه، يستطيع أن يخرج بالموقف الأكثر واقعية و الأقل كلفة. وهنا أتصور أن محاولة المثقف الانسلاخ عن شخصيته التي تبلورت عبر تاريخه الطويل وصاغتها التجربة البشرية المريرة وتأسست على متناقضات الحياة وفي ظل الصراعات ليست مسألة بديهية. فمن السهل على فرد جاهل إذا توفرت الظروف المساعدة أن يصبح عالما لكن من الصعب على عالم أن يتحول إلى جاهل. وأبسط مثال يوضح هذه المسألة هو حالة إنسان رأى مشهدا مرعبا ومن شدة الألم والأسى والحسرة التي تنتابه حين يستحضره فإنه يحاول جاهدا أن ينساه فلا يستطيع. إنه رأى المشهد وعلقت في ذهنه بعض صوره. فهل يستطيع المثقف أن يقرر هكذا أنه لم يعد يفهم شيئا ولم يعد يدرك أمرا، هل سيتوقف عن القراءة والمطالعة، وهل سيعتزل الناس ويعتزل كل أماكن تواجدهم، وهل سيسد أذنيه حتى لا يسمع صوتا أو سيغلق أنفه حتى لا يشم رائحة أو سيغمض عينيه حتى لا يرى شيئا؟!!

كل هذا يؤكد أن الطريق الأيسر بالنسبة للمثقف مهما زادت معه التبعات وتضاعفت فيه التضحيات هو أن يسخّر نعمة العلم ونعمة الفهم لخدمة نفسه وخدمة أفراد مجتمعه، فيعيش منسجما مع نفسه ومتكيفا مع واقعه الاجتماعي فيحقق ذاته في اتجاه بناء مجتمع يرضى به كوعاء لمشروعه في هذه الحياة. ومن متطلبات الاضطلاع بهذا الدور:

أ- توسيع دائرة معارفه وتجديدها بالحد الذي يسمح له أن يوجه أفراد المجتمع الذين يقصدونه. وهذا لا يعني الإلمام بتفاصيل كل ميادين الحياة وإنما المقصود على الأقل أن تجتمع له من المعلومات حول المسائل التي لا تدخل ضمن اختصاصه الضيق أكثر مما يحصل لدى عامة الناس. وأمامه وسيلة واحدة هي الاستمرار في المطالعة والتنويع فيها لتشمل مجالات عديدة مع إعطاء أحيانا الأولوية لبعض الميادين وبعض حقول الخبرة والمعرفة حسبما تقتضي الأحوال، وبناء على تموجات الواقع الاجتماعي وتقلباته، دائما بغرض الاستفادة والإفادة. فإذا كانت المسائل الدينية طاغية على أسئلة أفراد المجتمع في مجالسهم فقد يضطر المثقف إلى توجيه مطالعته نحو المواضيع الدينية قصد جمع بعض المعطيات التي تسمح له أن يحاور الناس عند غياب من يتولى ذلك من أهل الاختصاص. وكذلك بالنسبة لبعض الأمراض التي يخوض فيها الناس دون علم فلا بد للمثقف أن يتسلح فيها بحد أدنى من المعلومات يستطيع أن ينوّر بها الحاضرين في مجلسه عندما لا يوجد بالمجلس طبيب أو مختص يقوم بهذه المهمة ...

ب- حين يعجز المثقف عن تقديم المساعدة المباشرة للناس يستطيع أن يرفع بنفسه انشغالات هؤلاء ومسائلهم ومشاكلهم إلى أهل الاختصاص ومحاورتهم حولها للحصول على المعلومات الضرورية وتقديمها من جديد إلى من يحتاج إليها. وهذا أحيانا يمثل السبيل الميسر لأن المثقف يحسن التعامل مع الواقع ويعرف كيف يلتمس ما يحتاج إليه من معلومات. كما أنه مؤهل ليتدارس مع المختص والعالم موضوعا ما، وبسهولة كبيرة يستطيع أن يعيد عرض محتواه مبسطا على من ليس لديهم هذا المستوى من الفهم قصد الاستفادة منه في حياتهم.

ج- بإمكان المثقف كذلك أن يستغل حضور أهل الاختصاص في المجالس العامة وتنشيط نقاش مفيد معهم، بحيث يدفعهم إلى الإجابة عن أسئلة أفراد المجتمع وتقديم بعض الحلول الناضجة لمشاكلهم.

د- تنظيم المثقف لندوات ومحاضرات يقوم خلالها بتنوير الرأي العام في بعض ما يعاني منه المجتمع من مشكلات اجتماعية وتربوية وصحية وبيئية، وذلك باستضافة خبراء ومختصين أو غيرهم.

هـ-مباشرة عملية توجيه الأفراد إلى أهل الاختصاص والخبراء في ميادين الحياة المختلفة حسب طبيعة مشاكلهم ونوع الصعوبات التي يعانون منها. ولعل من المفيد أن يجمع ما أمكن من العناوين للمراكز الخاصة والمؤسسات الخدماتية التي لها أهمية بالنسبة لأفراد المجتمع، وأن يعرف بعض أسماء لخبراء ومستشارين ومختصين وأئمة يطمئن إلى مستواهم ولا يشك في كفاءتهم وفي نزاهتهم يمكن أن ينصح الناس باستشارتهم مع تقديم إ□

أمكن عناوينهم أو أرقام هواتفهم للاتصال بهم، وأن يحرص على جمع كل ما يصادفه من معلومات مفيدة ومعطيات ذات أهمية خاصة بالنسبة لأفراد المجتمع و تخزينها مرتبة ومنظمة على نحو يسهل عليه عملية استغلالها حين يحتاج إليها أو يرغب في استغلالها.

هل يتحول المثقف إلى مكتب مختص في تقديم المعلومة أو يصبح بديلا له؟ الجواب طبعا "لا"، كل ما في الأمر أن آمال الناس معقودة على المثقف ومشدودة إليه وتوقعاتهم تجاهه عالية، فينبغي أن يكون عند حسن ظنهم وأن يرقى إلى مستوى تطلعاتهم. فإذا ما قصدوه في خدمة أو مساعدة كيفما كانت طبيعتها أن يجدوا عنده على الأقل التوجيه الذي يعينهم على تحديد ما يجب فعله في خطوة لاحقة ولو تمثل ذلك فقط في الإشارة عليهم بالجهة المؤهلة أكثر والتي تملك أن تسعفهم فيما يحتاجون إليه، كنصيحتهم بالتوجه إلى هيئة متخصصة تتوفر على هذا النوع من المعطيات أو مكتب استعلامات معين. وعلى هذا الأساس فإن التزود المستمر بالمعلومة والإحاطة الشاملة بالحدث والخبر والاطلاع على ما يجري في البيئة المباشرة والمجتمع العام تدخل كلها ضمن واحدة من الأدوات النافعة التي تسمح للمثقف أن يقدم هذا الحد الأدنى من الإرشاد والتوجيه لكل من يقصده ويلتمس ذلك منه، ويحافظ بالتالي على العلاقة المتميزة والإيجابية مع أفراد المجتمع.

أمام هذه التحديات يصعب على المثقفين كأفراد منعزلين إحداث خرقات كبيرة. وكما أشرنا سابقا فإن مجتمع المثقفين هو المكان الطبيعي لكل واحد منهم يترددون عليه بصورة اعتيادية ويتعاملون فيه بمستواهم الحقيقي حماية لشخصيتهم من أي تدهور أو تقهقر قد يسببه شعور حاد بالاغتراب. فالمثقف يحتاج باستمرار إلى تحسين قدراته وتطوير كفاءاته ومجتمع المثقفين يوفر له المساحة المناسبة للتبادل ومواجهة الأفكار واختبارها ومتابعة مصداقيتها. ففي مواجهة العقول الأخرى والتبادل معها والمناقشة إثراء وتأهيل مستمر ودعم معنوي كبير للمثقف. هذه البيئة الفكرية تعمل كأرض خصبة لتطور الفكر وكعامل فعّال في تشكيل شخصيته وفي دفعه نحو الانخراط في المحيط الأوسع. وإن حاجته إلى مجتمع فكري يحتضن الاختلاف في الرؤى والمقترحات تزداد، وسيتيح التعاون داخلها تبادل الأفكار وتعزيز الفهم المشترك. إن هذه الجهود التعاونية بين المثقفين فضلا عن أنها تُمكّنهم من مواجهة التحديات المجتمعية بفعالية أكبر، فمن المتوقع كذلك أن تعزز أثر أعمالهم في مجتمعاتهم وتضمن تأثيرًا أوسع في الواقع القائم الذي يرغبون في تحسينه، وتسمح لهم بجمع مواردهم وخبراتهم وبياناتهم فيصبحوا بالتالي أقدر حتى على معالجة المشكلات المعقدة التي قد تعترض طريقهم.

مواقف المثقف ناضجة

لا ينبغي للمثقف أن يجاري أحدا فيما يصدره من مواقف ويتخذه من إجراءات ويأتيه من سلوك. فلا نحسبه إلا من بين العناصر الفاعلة في المجتمع التي لا تكتفي بتسجيل ردود أفعال إزاء ما يحدث في المجتمع. إن المثقف من هذا المنطلق يخضع بالأساس إلى ما يوجه إليه العقل والضمير. لذلك نتوقع منه دائما أن يكون متوازنا في مواقفه وناضجا في أقواله وأفعاله. وإذا وقع في أي خطأ أن يتبين وجه الخطأ وأن يعترف به كخطأ ويقوم فورا بمراجعة نفسه وتصحيحه دون أن يتمادى فيه. فهو صاحب شخصية لا يُخجلها الوقوع في الخطأ، إذ هو على كل حال بشر وكل البشر يخطئون، وعلى العكس فالذي يتسبب له في الحرج الكبير والاستياء عدم تصحيح الخطأ في المقام الذي ينبغي أن يصححه فيه، خاصة وهو يعلم أن الناس يأخذون عنه قناعة منهم بأنه يمثل القدوة بينهم. هذا هو الجانب، في علاقته مع الآخرين، الذي يؤرقه ويهمه أكثر ويشغله باستمرار ألاّ يكون مصدر تضليل بالنسبة لغيره وألاّ يأخذ عنه الناس أخطاءه وسقطاته و زلاته. هذا الخوف الناجم عن شعور المثقف بالمسؤولية تجاه أفراد المجتمع يلازمه في حله وترحاله ويدفعه دوما إلى:

1- مراقبة أقواله وأفعاله وضبط نفسه والتحكم في عواطفه حتى لا ينزلق في أي موقف من مواقفه إلى الصورة المتطرفة التي يصبح سجينا لآثارها.

2- التأكد من مصداقية ما يقدمه للناس من معلومات وأخبار ونصائح بالرجوع إلى المصادر الموثوقة وألاّ يستند فيها إلى ما يروّجه الشارع وما تتناقله الألسن من قصص وأخبار، بل من موقعه الحساس داخل الجماعة يُنتظر منه كذلك أن يساهم في امتصاص الإشاعات المغرضة وغير البناءة والأراجيف والأكاذيب والأباطيل وكل مظاهر الشعوذة والخرافة التي تنتشر بسهولة في أوساط العامة وتقديم البديل المناسب والصورة الصحيحة.

3- مراجعة مواقفه إذا وجد بأنها ليست في المستوى المطلوب أو أنها كانت موضع التباس أو سوء تقدير أو نجم عنها سوء فهم، وأن يلجأ إلى كل وسيلة مشروعة للتأكد من أن الرسائل التي تحملها أقواله وأفعاله تصل كاملة و واضحة إلى من يتلقاها وأن استيعابها والتجاوب معها يحصل بالطريقة التي يريدها ويتوقعها.

4- التريث وعدم الاستعجال في تسجيل المواقف والاستجابات بحيث يمنح نفسه الوقت الكافي لبنائها والتفكير فيها والتأمل في عواقبها المحتملة قبل إصدارها.

هذه الاحتياطات حتما ستساعد المثقف على تحقيق الاستقرار في حياته خاصة في محتواها الاجتماعي وهو ما يؤثر إيجابيا على نظرة الآخرين إليه وعلى مكانته في نفوسهم، كما أنها:

1- تجنّبه الوقوع في كثير من الأخطاء مما يعني أن تراكمية البناء والمساهمة لا تتوقف بل تتواصل نحو أهدافها المرسومة.

2- تُجنّبه كل مظاهر الحسرة والندم على ما يكون قد فعله دون رويّة و دون تقليب الأمور ودراسة العواقب، حسرة طالما قهرت نفوس الكثيرين وهزّت كيانهم ودمّرت معنوياتهم ومعها آمالهم وكانت سبب اقتحام موجات اليأس قلوبهم. وهي عوامل إذا برزت في حياة الفرد المثقف فإنها تشغله بهموم نفسه وتضطره إلى التمركز حول ذاته وتفرض عليه حالة من الانطواء والاعتزال تمنعه من التأمل في أحوال مجتمعه و من التفكير في تطوير مساهماته التي قد يستفيد منها أفراد المجتمع.

3- تفرض عليه مواصلة التفكير و تعميق التأملات و النظرات و توجيه الملاحظات وتركيزها، فيستفيد الدروس والعبر ويتعلم تحسس آثار نواميس الحياة و سننها الغلاّبة فيزداد وعيا وفطنة وحكمة، وتتوسع دائرة خبرته وعلمه وينضح فقهه للواقع وفهمه الثاقب لما يجري في محيطه.

4- تضمن له تعزيز العلاقة القوية بأفراد المجتمع الذين عادة ما يلتفّون حول الأشخاص الذين يثبتون ويصمدون ولا يتذبذبون في مواقفهم أو يتلوّنون حسب تغير الأحوال والظروف.

ويعتبر هذا في حد ذاته من المكاسب الهامة التي يرتسم في ظلها مصير المجتمع لأنه يضمن للحركة التطورية في المجتمع أن تسير في الاتجاه الصحيح نظرا لأن قيادتها آلت إلى العقول الناضجة وإلى أهل الخبرة والعلم، وبدون شك يكون المجتمع في خير و ينعم بالاستقرار وأفراده بالطمأنينة ما دام العلماء يحتلون فيه مكانة الصدارة والموقع الجوهري، وما دام أفراد المجتمع يحافظون على علاقة متميزة بهم ويظلون مشدودين إليهم يعملون بتوجيهاتهم وينظّمون حياتهم على ضوء إرشاداتهم ونصائحهم.

المثقف أكثر الناس احتراما للعلم والعلماء

إن المثقف في وسط جماعته قدوة في كل ما يصدر عنه. وبما أن العلم يمثل إحدى الركائز الأساسية والوسائل الرئيسية التي يعوّل عليها لإحداث التغيير الإيجابي في المجتمع وحتى يكون للعلم هذا الدور في الحياة لا بد أن تكون له قيمة في المجتمع وأن يحظى بمكانة خاصة في نفوس عامة الناس وخاصتهم. وينبغي أن يكون المثقفون أكثر الناس احتراما للعلم وتقديرا لجهود العلماء. وهو الموقف الذي يرتكز على قناعتهم الراسخة بأن مصير المجتمعات مرهون بدور العلماء ومساهمتهم، وهي القناعة التي يجب أن تنتقل بواسطتهم إلى عامة أفراد المجتمع.

ومن مظاهر احترام المثقف للعلم والعلماء:

1- احترام مواقف العلماء وحسن الاستفادة منها.

2- بروز صفة العلم طاغية على أحواله وصابغة لسلوكه.

3- دعم الحركة العلمية ومساندة جهود العلماء وتعزيزها.

4- الدفاع عن العالم والوقوف بجانبه وحشد التأييد له ولمواقفه لأنها تكون في صالح الأمة، وعدم مساندة أي طرف آخر أو أية جهة أخرى على حساب توجهات العلم والعلماء مهما كانت الدوافع والمبررات، لأن أعداء العلم والعلماء هم في الحقيقة أعداء الأمة. والرفع من شأن العلماء ليس بدعة أحدثها المثقف فقد عرض كتاب الله وسنة النبيﷺ مكانتهم في أبهى حلة وأجمل صورة. يقول الله سبحانه وتعالى في سورة فاطر" إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَمَاء"(الآية 28). وفي سورة المجادلة "يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ"(الآية11) وفي سورة الزمر" قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ"(الآية9). ويقول الرسولﷺ "مَن سلَكَ طريقًا يلتَمِسُ فيهِ علمًا، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طريقًا إلى الجنَّةِ، وإنَّ الملائِكَةَ لتَضعُ أجنحتَها لطالِبِ العلمِ رضًا بما يصنعُ وإنَّ العالم ليستغفِرُ لَهُ مَن في السَّمواتِ ومن في الأرضِ، حتَّى الحيتانِ في الماءِ، وفضلَ العالمِ على العابدِ كفَضلِ القمرِ على سائرِ الكواكبِ، وإنَّ العُلَماءَ ورثةُ الأنبياءِ إنَّ الأنبياءَ لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا إنَّما ورَّثوا العلمَ فمَن أخذَهُ أخذَ بحظٍّ وافرٍ"(حديث أخرجه أبو داود، رقم 3641، والترمذي، رقم2682، وابن ماجه، رقم223 وأحمد بن حنبل، ج.36، رقم21715). وفي حديث آخر يقول الرسول ﷺ "فضلُ العالمِ على العابِدِ، كفَضْلِي علَى أدناكم، إنَّ اللهَ عزَّ وجلّ وملائِكتَهُ، وأهلَ السمواتِ والأرضِ حتى النملةَ في جُحْرِها وحتى الحوتَ، ليُصَلُّونَ على معلِّمِ الناسِ الخيرَ"(حديث أخرجه الترمذي، رقم2685، والطبراني في"المعجم الكبير"، ج.8، رقم 7911، 7912).

5- إذا كان هو نفسه يقف على جبهة من جبهات العلم لا بد أن يشعر بأنه مؤتمن فيها وينبغي عليه أن يتحمل فيها المسؤولية كاملة وألاّ يُخضع مواقفه إلاّ لما يمليه عليه ضميره المهني. ولا يسمح لنفسه أن تتدخل فيه جهات أخرى تضع له الشروط والقيود فتوجهه على نحو يخدم مصالحها على حساب العلم ومكانة العلماء. و ربما المثال المتكرر في واقع الأمة الإسلامية هو تجنيد بعض الأنظمة لعلماء الدين وتسخيرهم لتوجيه الرأي العام الوجهة التي تتناسب مع توجهاتها السياسية و مشاريعها الاجتماعية و الاقتصادية. هؤلاء العلماء، مع الوقت، فقدوا موقعهم الطبيعي و الثابت داخل المجتمع، وبعدما كانوا يمارسون توجيه أفراد المجتمع بصورة مباشرة وانطلاقا مما يتبلور لديهم من قناعات مرجحة تحولوا إلى مجرد أداة طيعة في يد غيرهم.

6- المساهمة في محاصرة كل المظاهر المتناقضة مع العلم مثل صور الجهل السائدة في أوساط المجتمع من الأوهام والخرافات والترهات والشعوذة. فلا يتبنى المثقف من المواقف ما يتناقض صراحة مع العلم، كما لا ينبغي له مساندة من يروج للجهل ويمارس الجهالة أو حتى أن يسكت عنه. إنه بذلك يدفع بالمجتمع إلى حالة الضعف والتراجع والتقهقر التي قد تنتهي في الأخير إلى حالة التصدع والانهيار. هذه الحساسية التي يحملها المثقف تدفعه إلى استغلال كل مناسبة تُعرض وكل فرصة تُتاح لتوعية أفراد المجتمع ونشر العلم في أوساطهم ودعوتهم إلى ضرورة التخلي عن كل ما ليس له سند من العلم والدين وكلّ ما لا تستسيغه العقول السليمة، وتنبيههم على أن أعداء الأمة المتربصين بنا وبمصالحنا يسهل عليهم التسلل إلينا والفتك بنا من نافذة الجهل.

7- تشجيع أفراد المجتمع على حضور حلقات العلم ومجالسة العلماء بصورة منتظمة وترغيبهم في ذلك قصد التعلم والتحرر من مظاهر الجهل.

8- المشاركة في تنظيم الأنشطة والأعمال التي تدعم الحركة العلمية داخل المجتمع، وتساهم في تعزيز مكانة العلم ونشر الوعي لدى أفراد المجتمع، كتنظيم لقاءات مع مختصين أو تنظيم مخيمات أو ملتقيات أو أيام دراسية بهدف التوعية والتنوير.

المثقف صاحب ذوق رفيع

إن حضور المثقف في حياة المجتمع بصورة مكثفة واحتكاكه المباشر والمتكرر بالهيئات والأفراد يساعد على صياغة الواقع الاجتماعي بالمواصفات التي يطمئن إليها. وفي المقابل كل غياب أو تأخر عن النزول إلى الواقع من قبله سوف يترك مساحة من الحياة الاجتماعية لغيره الذي يصبغها وحده باللون الذي يراه مناسبا بغض النظر عن كيفية تأثيره في مجريات الحياة الاجتماعية عامة.

ومن خلال المكانة التي يحظى بها المثقف والموقع الذي يحتله بين الناس سيكون، في تقديرنا، من السهل عليه أن يؤثر في الواقع ويترك فيه بصماته إذا عرف كيف يستغل نزوله إليه. وكنا في الفقرة السابقة وقفنا عند دور المثقف في تنشيط الحركة العلمية داخل المجتمع وخطورة هذا الدور وأهميته في جعل العلم، بدلا من الجهل، المحور الذي تدور في فلكه حياة الأفراد والجماعات والصفة أو اللون الغالب الذي يطبع حياتهم على اعتبار أنها هي الوسيلة الناجعة لتطوير المجتمع. وبنفس هذه الدرجة من الأهمية يكون الذوق الذي ننسبه إلى المجتمع ككل ونميزه به، فالأذواق التي تطفو على سطح الحياة الاجتماعية العامة هي تلك الأذواق الغالبة التي تتعاطاها نسبة كبيرة من أفراد المجتمع، وهي تعبير صادق عن مستوى المجتمع الحقيقي. فبقدر ما يرتقي المجتمع ويتطور إيجابيا بقدر ما ترتقي معه أهدافه وأخلاق أفراده وأذواقهم، كما أن تدهور أحواله تنعكس على أرض الواقع

سلوكيات متخلفة وأخلاقا منحطة وأذواقا فاسدة تترتب عنها صعوبات ومشاكل جمة. ومرة أخرى يبرز دور المثقف الذي يمثل دائما الحلقة التي تمد المجتمع بأسباب القوة. فمثل ما احتاج إلى التحرك من أجل نشر العلم واستئصال جذور الجهل حتى يتمكن المجتمع من مواصلة مسيرته نحو ما رسمه من أهداف وغايات وتجاوز العقبات ورفع التحديات، كذلك يحتاج إلى رفع مستوى الأفراد في جانب أذواقهم لأن الانحطاط في مستواها يؤثر سلبا على المجتمع وبكيفية أو أخرى يعطل مسيرته.

قد يرى البعض أن الذوق غير قابل للقياس، ويتعاطاه كل فرد مستقلا في شكله ومحتواه عن الآخرين، ولا يحتاج حتى أن يبرر ذلك، ولا مجال للتفاضل في الأذواق. وهو رأي وجيه، في ظاهره منطقي وصحيح، لكن عندما نتأمل قليلا نلاحظ مع ذلك أن ذوق الفرد يرتبط بمستواه العقلي وبما يملكه من مؤهلات فكرية وما اكتسبه من خبرة، وكلما كان مستواه الفكري عاليا كلما كان ذوقه راقيا خاصة في كيفية إشباعه. ولذلك لو كان الذوق هو أمر يتعلق بالفرد كفرد و لا يتعداه، لما طُرح أي إشكال إزاءه، ولكن الأذواق هي أيضا ميدان حساس وحيوي يتم استغلاله في اتجاهات عديدة أبرزها النواحي التجارية الاقتصادية والتي من خلالها وبواسطتها تسعى القوى الكبرى لبسط هيمنتها والتأثير في القرارات السيادية للبلدان، كما أن التنافس هو على أشده بين هذه القوى في إيجاد الأذواق التي تتناسب مع نوع السلع والبضائع المنتجة والتي تعرض في الأسواق. والبرامج الإشهارية عموما هي إحدى الوسائل النشطة في هذا الاتجاه وتسعى بطريقة إغرائية تسلّطية لفرض نوع من الاستهلاك الذي أصبح يشمل كل مظاهر الحياة. فلم يعد اليوم موضوع الذوق مسألة شخصية. بل أصبح يرتبط في بعض مظاهره بمصير المجتمع. بل وإن هيمنة بعض المجتمعات اليوم تأتي في بعض الأحيان من هذا الباب حيث تحاول بمختلف الوسائل التي تملكها، خاصة البرامج الإعلامية، إيجاد حاجات وصياغة أذواق تربط بها أفراد المجتمعات الضعيفة وتكون هي وحدها مصدر إشباعها فتفرض بالتالي التبعية لها. ثم إن الأذواق، رغم أنها شخصية في كيفية قبولها وتعاطيها واستهلاكها، إلا أنها ليست في درجة واحدة من الأهمية ومن الفائدة كما أنها ليست كلها طبيعية وعادية، بل يمكن، استنادا إلى بعض المعايير، أن نصف بعضها بالسليمة والمستساغة وبعضها بالفاسدة غير الصالحة. و لا نحتاج إلى بحث مسألة المعيارية و يكفي أن نوجز المقصود منها في العناصر البارزة التالية:

- مدى ما يتسبب في إشباعها من أضرار أو يحقق من منافع فردية وجماعية.
- مدى تجاوبها مع فطرة الإنسان، وحفاظها على كرامته.
- مستوى حضور العقل الموجه والفكر الناضج والحكمة النيرة.

– مدى تناغمها في الشكل والمحتوى مع فلسفة المجتمع ومع روح مبادئه وأهدافه.

– حجم التكاليف الذي يتطلبه إشباعها مع مقارنة تلك التكاليف مع المردود العائد منها على الفرد والمجتمع.

والمثقف يواجه تحديا في هذه الناحية كذلك. هل يعيش ذوقه الرفيع ويستمتع به ويسعى لجعله مظهرا مميزا للمجتمع، أم يترك عامة الناس الذين يشكلون الغالبية يفرضون عليه أذواقهم؟ وهنا يكون أمام خيارين اثنين:

– إما أن يستسلم للواقع كما هو، ويتنازل عن ذوقه الذي تجتمع فيه مواصفات الذوق السليم ويتجاوب معه أفراد المجتمع، باستثناء ربما شواذهم، إلى ذوق غير طبيعي لا يحظى بالتجاوب الاجتماعي العام.

– وإما أن ينطلق بكل ثبات واستقرار في إعادة صياغة الواقع بالعمل على توفير كل الشروط التي تدفع بالأفراد نحو الارتقاء في أذواقهم.

والمثقف الذي يحمل رسالة في المجتمع يأبى بدون شك الاستسلام لواقع يستطيب فيه الناس المر والأذواق فيه مضطربة لا تستسيغها العقول السليمة ولا تطمئن إليها النفوس المستقرة. فالتنازل من قبله يفسح المجال أمام العقول الصغيرة أن تكتسح المزيد من المساحات الاجتماعية وتشحنها بمظاهر يغيب فيها بعد النظر وتترجم التخلف وتستعرض ما هو ناقص و رديء و غير ناضج و معها يتقلص مجال الإبداع والخُلُق الرفيع والسلوك البناء. وتجربة العالم العربي الإسلامي مع الذوق الفني ربما تقدم نموذجا عمليا لما ذكرنا. فقد كان مألوفا في هذه البلاد عدم السماح للغناء غير الهادف الذي لا يحترم أخلاق وقيم المجتمع و لا يرعى حرمة مقدساته أن يعرض على الجمهور بواسطة الإعلام السمعي والمرئي الخاص والعمومي، و كنتيجة طبيعية لهذه الممارسة ارتقت الأغنية و تسامت في الشكل و المحتوى، و لعقود متعاقبة ظل التنافس فيها على الجودة. في خضم هذه الحركة التنافسية تطورت الأغنية و تطورت معها كل روافدها و كل وسائلها بحيث أنها أصبحت تؤدى في صور أرقي وفي ثوب أجمل وبمحتوى رفيع المستوى الذي يردد صدى القصائد الرائعة من إبداع أبرز شعراء الأمة وخيرة كتابها و أدباءها. ولأن مستوى الأغنية ارتفع بهذا الشكل فقد انضم الفنانون في الواقع الاجتماعي العام إلى أطراف المجتمع الفاعلة التي تؤسس و تبني و تبعث الأمل في نفوس الناس وتنشر الخصال الحميدة والأخلاق الفاضلة. وليس غريبا أن نجدهم في ظل هذا السمو و الارتقاء نحو الأعلى و الأفضل يسخّرون حناجرهم وأصواتهم للدفاع عن قضايا الأمة الحساسة ولتجنيد الشعوب لمناهضة كل أشكال الاستعمار ودعوتهم للتمسك بالدين وكل مظاهر التمايز التي عُرفت بها "خير أمة أُخرجت للناس". لا شك أن المثقفين وهم يمثلون الطرف الحيوي كان لهم الفضل، كل حسب

اختصاصه وموقعه، في جعل هذا التوجه يحقق الثمرة المرجوة. وفي الوقت نفسه لوحظ انحصار مجال الذوق الهابط لأنه لا يوجد في المجتمع من يتبناه ويعزز من موقعه إلا تلك الفئة القليلة التي تتشكل في الغالب من أفراد بمستوى ثقافي محدود و لا تملك إمكانات الترويج له، خاصة و أن كتلا ضخمة من المجتمع من مختلف شرائحه تجاوبت مع الفن الراقي و اكتسبت بذلك نوعا من المناعة بحيث أصبحت تشمئز من سماع أو مشاهدة ما فسد من الأذواق. وفقط عندما تنازل المثقف عن ذوقه الرفيع، وأصبح يستهلك الفن الساقط بدأت مظاهر التقهقر والتدهور تطغى على الأداء الفني من مسرح وأغنية، وتدريجيا أخذت من المساحة ما أضفى على حضورها في الواقع مصداقية و نوعا من الشرعية خاصة بعد قبولها من أسرة المثقفين. وهكذا بدلا أن يرتقي المجتمع ويسمو بارتقاء و سمو مثقفيه، فإنه يضعف وينزل إلى الحضيض وإلى الأسفل نتيجة تعثُّر مسيرة المثقفين وعجزهم عن تجاوز هذا الواقع المريض و استسلامهم له و خضوعهم لمتطلباته، و تبنيهم له فيما بعد و دعمه والدفاع عنه حين غاب بديل أفضل منه. فإما العمل من أجل تكريس مشروع أهل الحكمة والرأي و تثبيت أسسه و أركانه و بالتالي ضمان للجميع حياة التوازن و الاعتدال، أو ترك هذا الفراغ لتسده مشاريع متطرفة تؤسس لواقع يُغيّب فيه العقل ويطغى فيه منطق الشهوات والنزوات فيشقى فيه الجميع.

ونظرا لحساسية هذا الدور الذي يؤديه داخل المجتمع وموقع المرجعية التوجيهية الذي يحتله بداخله، فمن المتوقع أن يستغل المثقف كل فرصة سانحة للتعبير عن الذوق السليم وعرض الصور المجسدة له أحسن عرض. وسوف يستغل بالخصوص تلك المناسبات التي يتحكم فيها ويستطيع أن يفرض فيها المحتوى الذي يتناسب معه ومع توجهاته، مثل مناسبة إحياء ليلة زفافه أو زفاف أحد أقربائه. فالذين يحضرون هذه المناسبات قد يجدون أمامهم ولأول مرة نموذجا حيا للتعبير عن الذوق وكيفية الاستمتاع بها والاستفادة منها دون إخلال بمقومات الحياة الاجتماعية العامة ودون الخروج عن قواعد الانضباط والالتزام ودون إرهاق للنفس وإزعاج لأحد. و قد يخرج من هذه المناسبات التي نظمها و صاغ محتواها المثقفون عدد من أفراد المجتمع بانطباعات جيدة و بنظرة إيجابية متأثرين بما شاهدوا وبما سمعوا وربما بقناعة عند البعض ورغبة في إحياء مناسبات أخرى على نفس هذه الطريقة أو على نحو مشابه. إن الآثار الإيجابية التي يخلفها اللقاء الواحد أو المناسبة الواحدة مهما كانت متواضعة هي في الحقيقة المادة الأساسية التي- بتراكمها عبر الزمن وباستيعابها التدريجي للمكان- تساعد على صياغة ثقافة وتقاليد وأذواق المجتمع. وبما أن للمثقف فيها يدا وتوجيها، فلا بد أن تتحول إلى مصدر قوة بالنسبة للمجتمع و إلى عامل وحدة والتقاء يعزز التماسك الداخلي بين أفراده وهيئاته.

الواقع الذي صنعه المثقف

إن كثيرا من أوجه الاضطراب ومظاهر الخلل التي يعرفها المجتمع تحصل نتيجة غياب المثقف سواء كان غيابا جسديا أو غيابا معنويا. ففي حضوره و حضور أفكاره:

– تتضح الرؤية ويتحقق التقويم الشامل والشفاف.

– يتم اعتماد منهجية هادفة تساعد على توفير الأرضية الصالحة لاتخاذ القرار المناسب، القرار الذي سيسمح باستيعاب الوضع أو في معالجة الإشكال و البحث عن المخرج أو الحل.

– يأخذ الفعل أو الموقف مكانته وقيمته حين يوجد له السند والمبرر ولا مجال لإدماج في المعادلة ما يفتقر إلى هذه الشرعية كما أنه لا دخل للعاطفة وكل مظاهر التعلق النفسي الأخرى في عملية تسيير مصالح المجتمع أو التخطيط لإيجاد مرافق أو عند إنجازها.

– عدم تراكم المشاكل التي تثقل كاهل الأفراد و الهيئات و المؤسسات و تعطل أو تشل حركتها، إذ بمجرد ظهورها يُسلط الضوء الكافي عليها بكل واقعية وموضوعية ودون استخفاف بها، فتجد حتما الحل الحاسم لها.

– يتحقق التعاون بين أفراد المؤسسة أو الهيئة بصورة أكبر لأن الجو السائد بها يتوفر على التفاهم و الدعم المعنوي الذي يحظى به كل فرد من قبل الآخرين، و الاحترام الذي يتمتعون به جميعهم بحيث أنهم يشكلون أسرة متماسكة تتكامل أدوارهم في ظلها وتتناغم. فاللغة السائدة في هذا الوسط و أساليب التعامل كلها تقوّي الروابط و توثّق الصلات. إنه التسيير الناضج الذي يحفظ كرامة الأفراد ويرعى خصوصيتهم من جهة، ويحمي الكيان الجماعي الذي يحتضنهم ويتحركون في فلكه من جهة أخرى بالتوازن المطلوب دون شطط ودون إفراط أو تفريط. ويمكن أن نقيس باقي تدخلات المثقف وأوجه مشاركته في كل شأن من شؤون المجتمع وسوف نجدها دائما تعمل في اتجاه تخفيف الضغوط و تجاوز العقبات و تخطي الصعاب وامتصاص الأزمات وإيجاد الحلول للمشاكل و المعضلات و رفع مختلف التحديات، وبعث الطمأنينة والسكينة في النفوس البشرية وحسن الاقتصاد في المال والجهد والوقت، كما أنها تُنظم الجهود بأفضل طريقة ممكنة وتعتمد أنجع الوسائل وأنفعها، فتضمن بذلك تحقيق النتيجة القصوى والمردود الأكبر.

إنه العقل البشري المدبر الذي نتوقع أن مع غياب صاحبه ستغيب كل هذه الضمانات التي لا تقف وراءها سوى كفاءة الإنسان ومؤهلاته الشخصية التي يتميز بها عن غيره. وتوفير هذه الأخيرة بالكم والنوع ليس من قبيل المعجزات، والبرامج التربوية التكوينية الناضجة كفيلة بأن تقوم بذلك. وفي غياب صاحب الكفاءة من موقعه يصبح احتمال الإخفاق في الأداء على المدى القريب أمرا واردا وفشل أو عجز مؤسسات المجتمع واقعا

ملموسا. و هذا يؤدي بالمجتمع إلى وضع يعجز فيه عن تجديد طاقته و تطوير قدراته وينعكس ذلك سلبا عليه في المدى المتوسط والطويل، فيدخل هذا المجتمع برمته في وضع إفلاس و شلل عام يصعب معه مواصلة المسيرة التي يُحرّكها المشروع المرسوم و الأهداف المحددة بكل اقتدار وسيادة. كل هذا يؤكد خطورة الدور الذي يؤديه المثقف في حياة أمته والتباين الجوهري بين ما ينجزه من حيث الطبيعة والمحتوى والفائدة وما يبنيه غيره ممن هم دونه مستوى وكفاءة حين يغيب هو أو يتخلى عن دوره.

المثقف صاحب خلق ودين

سبق أن بينا في الفصل الأول من هذا الكتاب حاجة المجتمع إلى أن يتميز مثقفوه بأفضل الخصال و أنبل الأخلاق و أن يجتمع لديهم من الثقافة الدينية ما يسمح لهم أن يوجهوا أفراد المجتمع. و ألا يسجلوا تبعية في هذه المسائل الحساسة لمن هم دونهم مستوى ودونهم إدراكا و فهما لما يترتب عن ذلك من أضرار جسيمة أقلها أثرا أن يتحول التوجيه الأخلاقي والديني المباشر وغير المباشر الذي يرتبط بقضية المجتمع الجوهرية والمصيرية إلى من يسيئون التعامل معه ولا يحسنون القيام به فتضطرب أحوال الناس وتهتز العلاقات بينهم وتتصدع. ومرة أخرى ليس أمام المثقف سوى خيار واحد أن يتحمل المسؤولية التي لا تحددها سوى حدود المؤهلات التي يمتلكها والكفاءات التي يتميز بها. ولا يمكن أن يبرر أي تقاعس من قبله في تحمّلها كاملة استنادا إلى القاعدة الدينية والمنطقية التي تُسند الإشراف والإمامة إلى من هو أعلم الناس الحاضرين وأفقههم وأحسنهم وأكفأهم.

ومن النتائج الإيجابية التي تتحقق بسبب تحمل المثقف مسؤوليته تلك:

1- حماية المجتمع من مظاهر الغلو بتوفير مرجعية ميدانية للسلوك الصحيح والموقف المعتدل والمتوازن. وهذا في حد ذاته يجنب الأفراد والمجتمع الدخول في حلقات مفرغة نتيجة أفعال غير ناضجة وما ينجر عنها من ردود أفعال من نفس طبيعتها أو أسوء منها. فلا يضطرون إلى توجيه جهودهم إلى معالجة مشاكل ثانوية أو غير حقيقية، ويتفرغون في التركيز على المسائل ذات الأهمية القصوى وعلى القضايا ذات الأولوية.

2- مساهمة المثقف المباشرة في تنظيم حياة المجتمع بواسطة تفعيل جهاز الرقابة الذاتي لدى أفراد المجتمع وفي نفس الوقت القيام بتصحيح المفاهيم وطريقة ترجمتها في مظاهرها السلوكية. وهو ما سوف يجنب هؤلاء الوقوع في صدامات مع بعض، كما أنه سيساعد على تعزيز الاستقرار في حياة الأفراد والجماعة، ويوفر جوا يسمح لكل فرد في موقعه أن يقوم بمهمته ويؤدي دوره بصورة طبيعية، ويدفع المجتمع في سياق حركته التطورية نحو تحقيق الأهداف وإدراك الغايات.

3- باقتحام المثقف الحياة الاجتماعية واحتكاكه بالناس يقف كحلقة خطيرة وحساسة تربط بين العلماء وأفراد المجتمع ومؤسساته. إذ بواسطته يستفيد المجتمع عمليا من مبتكرات العلم ومن توجيهات ونصائح العلماء الذي يقوم هو بنقلها إلى الآخرين في صورة مبسطة يسهل استيعابها والعمل بها. وهذا مظهر مطمئن يؤشر على أن المجتمع بخير. وبما أنه منفتح على العلم ويتغذى من جهود العلماء وأهل الحكمة فإنه لا زال ينبض بالحياة وأن عطاءه لن يتوقف وأن مستقبله بيده.

الخاتمة

إن المثقف عنوان بارز داخل أمته و هو قلب نابض بين أحضانها يمثل حضورُهُ الفعلي والايجابي مصدر قوة من حيث أن سلوكه تلقائيا يستعرض النموذج الأخلاقي الراقي وينشر الوعي من حوله ويدعو بالمواقف الناضجة والقدوة الحسنة إلى التعلم وتطوير الحياة والارتقاء بها نحو الأفضل، كما أنه يتحرك وسط الناس بيقظة ضميره و عقله و قلبه دون تكلف أو إحراج فيكون منهم قريبا و متفهما مؤنسا و لأحوالهم متحسسا منتبها و لمعاناتهم شاعرا ومقدرا، وإذا لم يوفق أحيانا في تقديم الاسناد و العون لهم، فلا يكون عليهم عبئا ولا يضيف إليهم انشغالات و متاعب هم في غنى عنها، بل يكون خفيف الوزن عليهم يعيش بينهم كالملح في الطعام إذا غاب افتقدوه و شعروا بغيابه، و إذا حضر استبشروا به خيرا واستأنسوا به و رحّبوا به مقبلين عليه. وهي حالة أو بالأحرى واقع ساهم في صياغته بحنكته وبُعد نظره و بأخلاقه وحسن تقديره وتصرّفه، حين انفتح على الناس وأقبل عليهم خادما متواضعا ومعلما مرشدا يرافقهم في سرائهم وضرائهم. وإذا كان لا يريد سوى أداء واجبه والقيام بما يترتب عنه من مسؤوليات تجاه مجتمعه تحريرا لذمته، فإن موقعه من وجهة نظر أفراد هذا المجتمع أو بالأحرى المكانة التي وضعوه فيها لها تبعات معنوية وأخلاقية ليس في مقدوره التجاوب معها كاملة والوفاء بها على الوجه الذي يحقق الأهداف المتوخاة إذا لم بكن محبا لمجتمعه ومتعلقا به يحمل في أعماقه غيرة عليه وعلى مقوماته، ساعيا بكل ما أوتي أن يحميه ويدافع عنه ويقدم ما في الوسع للارتقاء به ودفع عجلة نموه حتى على حساب مصالحه الذاتية. وإن مثل هذه التضحية حتى وإن لم تكن عنوان إيثار أو ثمرة تهذيب للنفس وكبح لأنانيتها وكسر لطغيانها فإنه يراها، وعلى أقل تقدير، وسيلة لإبقاء مجتمع قوي كبيت كبير يأوي إليه هو والآخرون. ولن يستطيع المحافظة على موقع ينسجم مع شخصية المثقف ويتناغم معها دون امتلاكه لبعض الأدوات واكتسابه لبعض المعارف والخبرات تتعلق بهذا المجتمع والتي تسهّل عليه التحرّك بداخله والتقاطع مع أفراده والتفاعل معهم. فلا غنى له لفهم سلوك الناس ومرجعيات من حوله ومواقفهم عن الإلمام بثقافة هذا المجتمع وعاداته وتقاليده. كذلك لا ينبغي أن تقترن اهتماماته فقط بالمجال

العلمي الذي اختص فيه كي لا يسجن نفسه في زاوية ضيقة بل من المفيد أن ينفتح أيضا على مجالات علمية وميادين حرفية مهنية أخرى ويجمع حولها رصيدا من المعطيات الصحيحة التي قد يوظفها أثناء القيام بواجب اجتماعي نحو أبناء وطنه فتساهم في تعزيز علاقته بهم. من ناحية أخرى، هناك ضرورة أن يكون مطلعا بشكل واسع على تاريخ أمته وملما بأهم الحقب التي مر بها وأبرز الأحداث المفصلية التي عرفها وبسير أهم القادة الذين كانت لهم مساهمات وازنة في صياغته. ولتحقيق الغرض الأبعد أن تكون قراءة المثقف لهذا التاريخ نقدية في طبيعتها تسمح له بالأخذ منه الصحيح الموثوق وترك الدخيل عليه أو ما أُضيف أو دُسّ فيه وخاصة ما جاءت به محاولات التشويه التي يقف خلفها خصوم الأمة والتي لم تتوقف منذ بعثة الرسولﷺ إلى اليوم، وبهذه الكيفية يستطيع بناء صورة موضوعية وأكثر واقعية عن أمته وتاريخها، فيحمل هذا التراث معه في حاضره ويتحرك به نحو مستقبله دون الشعور بالحرج لأنه إذا كان من جهة يعتز بماضي أمته ويستمتع بفصوله المشرقة فإنه يعلم يقينا بأنه لا يعدو أن يكون صناعة بشرية و البشر يصيبون و يخطئون فلا ينبغي أن يضعه خارج إطاره أو يخرجه عن حجمه إلى حد تقديسه ويهتم بدلا من ذلك باستخلاص منه العبر والدروس وتوظيف التأملات فيه للوقوف على الأسباب التي ساعدت الأمة خلالها على تحقيق الرقي والازدهار والتحرر من التبعية لغيرها و كذلك على العوامل التي أدت إلى ضعفها وتقهقرها بهدف تحسس العوامل التي شكّلت مقومات الحاضر وتقدير بكل واقعية وموضوعية إمكانيات النهوض من جديد والانطلاق نحو المستقبل والتخطيط للخروج من هذا الوضع البائس.

إن هذا الرصيد من المعرفة والتجربة والخبرة المتنوعة لا يجمعه المثقف ترفا أو حبا في اكتسابه أو رغبة في إشباع فضوليته فقط بل يعتبر زاده الرئيسي الذي يتحرك به داخل المجتمع وينشّط بواسطته موقعه بين أفراده، فيستغله عندما يتحاور مع الناس ويناقشهم وعند مجالسة العلماء وأهل الاختصاص للأخذ منهم ونقل ما تعلّمه منهم مبسطا إلى عامة الناس، كما يرتكز عليه في بلورة الآراء حول مختلف القضايا المطروحة في بيئته المباشرة وخارجها داخل مجتمعه وفي المحيط الدولي ومحاولة فهم ما يجري من أحداث وما يمكن توقعه من تطورات مستقبلا. كذلك فإن هذا الزاد يساعده في رسم خططه وإيجاد الأدوات والوسائل المساعدة على النزول بها إلى أرض الواقع، وفي اتخاذ قراراته خاصة المتعلقة بكيفية تنظيم وتفعيل الجهود الموجهة لخدمة المجتمع ومرافقته في تحولاته. وليس هذا فحسب بل ويحتاج أيضا وباستمرار إلى تجديد وإثراء هذا الرصيد تماشيا مع مستويات تطور الحياة من حوله وزيادة تعقيداتها وما تفرزه من تحديات أخرى.

إن المثقف الذي يسعى لرفع القيمة الإنسانية والارتقاء بها في عالم الكمال البشري يعي جيدا أنه ليس في نزهة ترفيهية استجماميه، لذلك ينتظر منه أن يبدي صبرا ويكون على استعداد لتقديم التضحيات وأن يمتلك القوة المعنوية والشجاعة لتجاوز نفسه وحظوظها والتحرر من عالمها الضيق، حتى يرتقي إلى مستوى استيعاب كافة التحديات وتجاوز كافة العقبات للوصول إلى الغاية المنشودة.

المصادر والمراجع

أ- المصادر

- القرآن الكريم (رواية ورش)

- ابن أبي الدنيا، عبد الله أبو بكر الحافظ(ت281هـ) مكارم الأخلاق. مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع،1990.

- ابن حبان، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان التميمي (ت354هـ). الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان. الجزء الأول. تحقيق شعيب الأرنؤوط مؤسسة الرسالة ، الطبعة الأولى ، 1988.

- ابن حنبل، أحمد (ت241هـ) مسند الامام أحمد، الأجزاء6،11،13،22 و28. مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، بيروت . الطبعة الأولى 1998.

- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (ت774هـ) البداية والنهاية.مكتبة المعارف بيروت،1990.

- ابن ماجة، محمد بن يزيد (ت 273هـ). سنن بن ماجة . بيت الأفكار الدولية للنشر و التوزيع، الرياض.

- أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني(ت275هـ). سنن أبي داود. بيت الأفكار الدولية، الرياض.

- البخاري، ابو عبد الله محمد بن اسماعيل (ت256هـ).صحيح البخاري. دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، وبيروت. اليمامة للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق وبيروت. الطبعة الخامسة، 1993.

- البزار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق(ت292هـ) البحر الزخار (المعروف بمسند البزار) الجزء 13، مكتبة العلوم و الحكم ، المدينة المنورة. الطبعة الأولى،2005.

- البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر(ت458هـ) الجامع لشعب الإيمان . الجزء السادس. تحقيق مختار أحمد الندوي وعبد العلي عبد الحميد حامد. مكتبة الرشاد2003

- الترمذي، محمد بن عيسى بن سروة(ت279هـ). جامع الترمذي. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض.

- الحاكم، محمد بن عبد الله (ت405هـ). المستدرك على الصحيحين. الأجزاء الأول والثاني والرابع. دار الكتب العلمية .بيروت، لبنان. الطبعة الثانية 2002.

- الدارمي، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل(ت255). مسند الدارمي (المعروف بـ سنن الدارمي) الجزء الأول. دار المغني للنشر والتوزيع، الرياض. الطبعة الأولى 2000.

- الرازي، محمد فخر الدين(ت604هـ). تفسير الفخر الرازي (المشهور بـ"التفسير الكبير ومفاتيح الغيب".ج.7، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى1981.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ) مسند الشاميين. تحقيق حمدي بن عبدالمجيد السلفي. مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى 1984، و طبعة 1989.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت360هـ). المعجم الكبير. الجزء الثامن. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت360هـ). المعجم الأوسط. الجزء الأول. دار الحرمين للطباعة والنشر والتوزيع،1995.

- الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين (1988) صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير). المجلد الأول، المكتب الإسلامي. الطبعة الثالثة.

- مسلم، ابن الحجاج القشيري النيسابوري(ت261هـ). صحيح مسلم. بيت الأفكار الدولية للنشر والتوزيع، الرياض. 1998م

- مالك بن أنس (ت179هـ) الموطأ. رواية يحيى بن يحيى الليثي(ت234هـ). وعليه زيادات رواية أبي مصعب الزهري المدني ورواية محمد بن الحسن الشيباني. تحقيق كلال حسن علي. مؤسسة الرسالة ناشرون. الطبعة الأولى 2013.

ب- المراجع

- أبو زهرة ، محمد (1986) بحوث في الربا. دار الفكر العربي. القاهرة.

- أبو زهرة، محمد (1996). الملكية ونظرية العقد في الشريعة الإسلامية. دار الفكر العربي.

- أبو زهرة ، محمد (1974) التكافل الاجتماعي في الإسلام. دار الفكر العربي.

- أبو فراخ، أحمد محمد، (1984)، تراجم القرآن الكريم في الميزان، مجلة كلية أصول الدين، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية العدد 5.

- أبو خليل، شوقي (2002). الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة دار الفكر المعاصر ، بيروت، دار الفكر، دمشق.

- أبو غدة، عبد الفتاح(1971) صفحات من صبر العلماء على شدائد العلم والتحصيل. مكتب المطبوعات الاسلامية. الطبعة الأولى ، الطبعة الثانية 1974.

- إسرائيل ولفنسون(1936).موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.
- الآجري، محمد بن الحسين أبو بكر(ت360هـ) أخلاق العلماء. تحقيق أمينة عمر الخراط. الطبعة الأولى 2001. دار القلم دمشق، الدار الشامية ، بيروت.
- الأخضري، عبد الرحمن بن محمد الصغير(ت953هـ). متن الأخضري في العبادات على مذهب الإمام مالك. مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر
- أشرف حسن عبد العزيز منصور،(2014). العقل والوحي: منهج التأويل بين ابن رشد وموسى بن ميمون وسبينوزا.. رؤية للنشر و التوزيع ، القاهرة.
- بلحمام نجاة (2012). ظاهرة التصوف الايجابي في فكر محمد إقبال. أطروحة دكتوراه في الفلسفة. قدمت بجامعة وهران، الجزائر.
- البيانوني، أحمد عز الدين (1974). الايمان بالرسل عليهم السلام. القاهرة : دار السلام، 1985 الطبعة الثانية ص.54-72
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت443هـ). الصيدنة في الطب. مخطوط من427 صفحة، نسخة منها بخط ابراهيم بن محمد التبريزي نقلا عن نسخة بخط البيروني نفسه مؤرخة في687هـ .
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت443هـ)، القانون المسعودي. دار الكتب العلمية، بيروت، 2002
- البيروني، أبو الريحان محمد بن أحمد (ت443هـ) . الجماهر في معرفة الجواهر، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .2011
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، (ت281هـ) مكارم الأخلاق. تحقيق مجدي السيد إبراهيم. مكتبة القرآن للطبع و النشر والتوزيع .1990
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان(ت281هـ). قصر الأمل. تحقيق محمد خير رمضان يوسف. دار ابن حزم. الطبعة الأولى 1995.
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد(ت281هـ). الغيبة و النميمة. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت ، لبنان، ط1، 1993.
- ابن أبي الدنيا، عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان(ت 280هـ) ، ذم الملاهي. تحقيق عمرو عبد المنعم سليم. مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأولى 1996.
- ابن أبي الدنيا، أبو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد(ت281هـ). إصلاح المال. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. مؤسسة الكتب الثقافية. بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 1993.

– ابن الأثير، عز الدين أبو الحسن علي بن أبي الكرم (ت 630هـ). أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق :علي محمد معوض– عادل أحمد عبد الموجود. دار الكتب العلمية الطبعة الأولى سنة النشر: 1415هـ – 1994م .

– ابن الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج (ت597هـ). بحر الدموع. دار الصحابة للنشر والتحقيق والتوزيع، طانطا. الطبعة الأولى 1992

– ابن الجوزي، عبد الرحمن أبو الفرج (ت597هـ) البر والصلة. تحقيق: عادل عبد الموجود – علي معوض. مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الأولى 1993.

– ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت597هـ) اللطائف والطب الروحانى. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الطباعة المحمدية بالأزهر، القاهرة.

– ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي(ت597 هـ). تلبيس إبليس. تحقيق السيد الجميلي، دار الكتاب العربي، بيروت– لبنان. طبعة 1405هـ 1985 م.

– ابن جنان اللخمي، صالح (1992) الأدب والمروءة. دار الصحابة للتراث، طانطا، الطبعة الأولى.

– ابن حجر، العسقلاني(ت 852) الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض. دار الكتب العلمية بيروت 1995.

– ابن حنبل، أحمد (ت275هـ). كتاب الورع. تحقيق سمير بن أمين الزهيري. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى 1997

– ابن المبارك المروزي، عبد الله (ت181) كتاب الزهد ويليه كتاب الرقائق. تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي. منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الثانية، 2004.

– ابن الملقن، عمر سراج الدين(ت 804هـ). حدائق الأولياء. تحقيق السيد يوسف أحمد. دار الكتب العلمية، 1971.

– ابن النفيس، علي بن أبي الحزم القرشي (ت687). الشامل في الصناعة الطبية، الأدوية والأغذية: كتاب الهمزة ، تحقيق: يوسف زيدان ، نشره المجمع الثقافي، أبوظبي – الإمارات العربية المتحدة . سنة طبع الجزء الأول 2000 و الجزء الثاني2002

– ابن النفيس، علي بن أبي الحزم القرشي(ت687). المهذب في الكحل المجرب. تحقيق محمد ظافر الوفائي و محمد رواس قلعه جي ، الطبعة الثانية 1994

– ابن النفيس، علي بن أبي الحزم القرشي (ت687). المختار من الأغذية. تحقيق يوسف زيدان. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الأولى 2008

- ابن النفيس، علاء الدِّين علي بن أبي الحزم القُرَشي (ت687هـ). الموجز في الطب. تحقيق عبد العزيز العزباوي. الطبعة الأولى 1986 الطبعة الخامسة ،القاهرة : 2008.

- ابن النفيس، علاء الدِّين علي بن أبي الحزم القُرَشي (ت687هـ). شرح تشريح القانون لابن سينا. المكتبة الشاملة https://shamela.ws/index.php/book/802.

- ابن سنا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت428هـ) كتاب الشفاء المنطق، المطبعة الأميرية1953.

- ابن سنا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت428هـ) كتاب الشفاء: الرياضيات، جوامع علم الموسيقى، تحقيق زكريا يوسف. نشر وزارة التربية والتعليم، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1956.

- ابن سنا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت428هـ) عيون الحكمة، تحقيق عبد الرحمن بروى، الطبعة الثانية، وكالة المطبوعات ، الكويت، دار القلم ، بيروت، 1980.

- ابن سنا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت428هـ) السياسة، تقديم علي محمد إسبر، الناشر: بدايات للطباعة والنشر، سوريا، جبلة، مجمع روضة التجاري، ط. 1، 2007.

- ابن سنا، أبو علي الحسين بن عبد الله (ت 428هـ) القانون في الطب. تحقيق محمد أمين الضناوي. دار الكتب العلمية. الطبعة الأولى 1999.

- بن سعد، محمد بن منيع الزهري (ت 230 هـ). كتاب الطبقات الكبير. الجزءان 7و8 . تحقيق علي محمد عمر.، مكتبة الخانجي بالقاهرة الطبعة الأولى 2001.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد (ت463هـ). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق: علي محمد البجاوي الناشر: دار الجيل، بيروت ط. 1، 1992م .

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف (ت 463هـ) الكافي في فقه أهل المدينة المالكي. دار الكتب العلمية ، بيروت. الطبعة الثالثة ، 2002.

- ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري(ت 463هـ) جامع بيان العلم وفضله. الجزء الأول. حققه أبو الأشبال الزهيري. دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى 1994.

- ابن عبد الهادي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت744هـ) ، العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية. تحقيق طلعت بن فؤاد الحلواني. الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. الطبعة الأولى 2002.

- ابن العماد، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري(ت1089هـ). شذرات الذهب في أخبار من ذهب . تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط . دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الأولى 1986.

- ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله. (ت571هـ) تاريخ مدينة دمشق. تحقيق عمر بن غرامة العمروي. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط. 1، 1997.

- ابن عقيل، أبو الوفاء علي(ت 513هـ).فصول الآداب ومكارم الأخلاق المشروعة. تحقيق عبد السلام بن سالم السحيمي. أضواء السلف. الطبعة الأولى 2003.

- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت: 543هـ). أحكام القرآن. . تحقيق عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي. سنة 2000.

- ابن القاص، أحمد بن أبي أحمد الطبري (ت335هـ). أدب القاضي. تحقيق حسين خلف الجبوري. مكتبة الصديق للنشر والتوزيع. الطبعة الأولى 1989.

- ابن قدامة، عبد الله بن محمد (ت630هـ) كتاب التوابين. تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط. دار الكتب العلمية ، بيروت: لبنان، 1987.

- بن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (ت751هـ). الوابل الصيب و رافع الكلم الطيب. تحقيق عبد الرحمن بن حسن بن قائد الريمي. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع. ط.1، هـ. وتحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط.3، 1999 .

- ابن قيم الجوزية(ت751هـ) الداء والدواء: الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. تحقيق: محمد أجمل الإصلاحي- زائد بن أحمد النشيري. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع.

- ابن قيم الجوزية (ت751هـ) مدارج السالكين. تحقيق: ناصر بن سليمان السعوي- علي بن عبد الرحمن القرعاوي- صالح بن عبد العزيز التويجري- خالد بن عبد العزيز الغنيم- محمد بن عبد الله الخضيري. دار الصميعي للنشر والتوزيع الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى 2011

- ابن قيم الجوزية، بُو عَبْدِ الله شَمْسُ الدَين مُحَمَّ(ت751). فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى. تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر. غراس للنشر والتوزيع والدعوة والاعلان. الكويت. الطبعة الأولى 2003

- ابن قيم الجوزية، بُو عَبْدِ الله شَمْسُ الدَين مُحَمَّد (ت751). حادي الأرواح في بلاد الأفراح. تحقيق محمد بن علي بن حلاوة. مكتبة العلوم و الحكم و مكتبة عبد الرحمن للطبع و النشر و التوزيع، مصر . الكويت. الطبعة الأولى 2003

- ابن قيم الجوزية، أبو عبد الله محمد (ت751هـ). الطرق الحكمية في السياسة الشرعية . تحقيق: نايف بن أحمد الحمد. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، 1428 هـ.
- ابن قيم الجوزية (ت751هـ). عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين. دار ابن كثير والتراث، دمشق، بيروت مكتبة دار التراث، المدينة المنورة . الطبعة الثالثة 1989
- بن تيمية، تقي الدين(ت728هـ)،رسالة الصوفية والفقراء، تحقيق عبد الله السمان، مؤسسة الشرق للطباعة والنشر ،القاهرة، 1960.
- ابن تيمية، تقي الدين(ت738هـ)، العقيدة الواسطية. تحقيق محمد بن عبد العزيز بن مانع. مكتبة المعارف ، الرياض.
- بن تيمية، تقي الدين(ت738هـ)، الاحتجاج بالقدر. تحقيق محمد ناصر الدين الألباني. المكتب الاسلامي ، بيروت و دمشق. الطبعة الخامس 1986.
- ابن تيمية، تقي الدين(ت738هـ) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان. تحقيق عبد الرحمن بن عبد الكريم اليحي. دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض. ط1 1428 هـ.
- ابن تيمية، تقي الدين(ت728هـ) رسالة العبادات الشرعية والفرق بينها وبين البدعية. تحقيق محمد رشيد رضا وبدر بن عبد الله البدر. مكتبة ابن الجوزي، الاحساء، الدمام. الطبعة الأولى.
- ابن تيمية، تقي الدين (ت728هـ). خلاف الأمة في العبادات ومذهب أهل السنة والجماعة. تحقيق: عثمان جمعة ضميرية. دار الفاروق، الطبعة الأولى 1990.
- ابن تيمية،تقي الدين(ت728هـ) طب القلوب. دار الدعوة للنشر والتوزيع الكويت،1990.
- ابن تيمية، تقي الدين (ت728هـ). الزهد والورع والعبادة. تحقيق: حماد سلامة. مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الأولى، 1987.
- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر. (ت681هـ) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان. الجزء الثاني والجزء الرابع. تحقيق إحسان عباس. دار صادر ، بيروت، 1972.
- البقاعي، محمد خير(2003)، ترجمة معاني القرآن وما يدور حولها، الدرعية، العدد23، السنة السادسة ، نوفمبر.
- براور، يوشع (2001) الاستيطان الصليبي في فلسطين. ترجمة د.عبد الحافظ عبد الخالق البنا. عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، القاهرة.
- جابر الجزائري، أبو بكر (1978).عقيدة المؤمن. مكتبة الكليات الأزهرية، ط. 2.

– الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي/الرازي (370هـ). أحكام القرآن. تحقيق محمد صادق قمحاوي دار إحياء الكتب العربية – مؤسسة التاريخ العربي، سنة 1992. تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين . دار الكتب العلمية ، بيروت. الطبعة الأولى 1994

– ديورانت، ويل و أيريل (1950) Will and Ariel Durant قصة الحضارة: عصر الايمان، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، ودار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت. ترجمة: محمد بدران، الكتاب رقم 15، الجزء 4، المجلد 4، الصفحة 25.

– الديك فرحان(1989) الأساس الديني في الشخصية العربية. دورية المستقبل العربي، العدد 126، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

– دراز، محمد عبد الله (1950) دستور الأخلاق في القرآن: دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن. تعريب و تحقيق: عبد الصبور شاهين (الرسالة ألفها بالفرنسية وأصلا قدمت كأطروحة دكتوراه في جامعة الصوربون الفرنسية). طبعت النسخة الفرنسية على حساب مشيخة الأزهر الشريف عام 1950.

– هاشم صالح(1989) دور الترجمة في تشكيل الفكر العربي المعاصر، مجلة الوحدة، عدد مزدوج 62/61، ص 26.

– الهروي، عبد الله الأنصاري (ت481هـ) كتاب منازل السائرين. دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان طبعة 1988.

– هشام بن عبد الملك بن عبد الله بن محمد آل الشيخ (2007).ضوابط توظيف تقنية المعلومات التطبيقية في خدمة الفقه. مجلة البحوث الفقهية المعاصرة، مؤسسة البحوث والدراسات الفقهية وعلوم القرآن الكريم الوقفية المجلد19، العدد 76، الشهر نوفمبر، الصفحات 209–241، ISSN: 1319-0792

– الوكيلي محمد(1997). فقه الأولويات، دراسة الضوابط، المعهد العالمي للفكر الاسلامي، هيرندن، فيرجينيا.

– الزحيلي، محمد، (1993) ، العز بن عبد السلام ، سلطان العلماء، دار القلم ، ط1.

– زيغريد هونكه، (1993) . شمس العرب تسطع على الغرب. دار الجيل للنشر والطباعة والتوزيع.

– الحارث المحاسبي ، أبو عبد الله بن أسد (ت243 هـ)، الرعاية لحقوق الله. تحقيق عبد القادر أحمد عطا. دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الرابعة.

– الحجاوي، موسي بن أحمد (ت968هـ) شرح منظومة الآداب الشرعية (ط. الأوقاف السعودية. تحقيق نور الدين طالب. وزارة الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد.

- الحمومي بدر ومليكة أزعوم (2019) اتصال الفلسفة والدين بين ابن رشد وابن ميمون. مجلة "دراسات"، المجلد 10، العدد 2، الصفحات 9-44. https://www.asjp.cerist.dz/en/article/108346
- حسن أيوب(1983) فقه العبادات: الحج. دار العلوم الحديثة. بيروت لبنان.
- حسن أيوب(1983) تبسيط العقائد الإسلامية. دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة 5.
- حسن كامل إبراهيم (2003). الآراء الكلامية لموسى بن ميمون والأثر الاسلامي فيها –سلسلة فضل الاسلام على اليهود واليهودية – العدد 7 – مركز الدراسات الشرقية – القاهرة.
- حتي، فيليب (1972). الاسلام منهج حياة. ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد (ت360هـ). المعجم الكبير. تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي. مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
- يالجن، مقداد(1981). البناء الإعتقادي للشخصية الإسلامية.في "علم النفس التربوي في الإسلام" تأليف يوسف مصطفى القاضي ومقداد يالجن، دار المريخ، المملكة العربية السعودية، الرياض.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد(ت 360هـ) مكارم الأخلاق. تحقيق أبي بسطام محمد بن مصطفى. دار البشائر الاسلامية. الطبعة الأولى 2013.
- الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مُطّير (ت360هـ). الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني. تحقيق شكور محمود الحاج أمرير، الجزء الأول ، المكتب الاسلامي، بيروت و دمشق. الطبعة الأولى 1985.
- الطحاوي، أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة (ت321هـ) متن العقيدة الطحاوية. المكتب الاسلامي، بيروت ، دمشق، الطبعة الأولى.
- طرابيشي، جورج (1989) الترجمة والإيديولوجيا المترجمة، مجلة الوحدة، عدد مزدوج 62/61 أكتوبر ونونبر، ص 431).
- الكيا الهراسي، عماد الدين الطبري ،(ت504هـ) أحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط1 1403 هـ.
- اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري(ت 418هـ). شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة. تحقيق نشأت بن كمال المصري. دار البصيرة، الاسكندرية ودار الأثار، صنعاء. الطبعة الأولى 2001.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت450هـ). الأحكام السلطانية. تحقيق أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة.2006.

– الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ). درر السلوك في سياسة الملوك. تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد. دار الوطن للنشر، الرياض،ط.1، 1997.

– الماوردي ، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت 450هـ). قوانين الوزارة وسياسة الملك. تحقيق رضوان السيد. دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. لبنان. الطبعة الأولى 1979.

– الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد(ت 450هـ) أدب الدنيا والدين. تحقيق: محمد كريم راجح. دار اقرأ، بيروت. الطبعة الرابعة، 1985.

– الهرماسي، عبد الباقي وآخرون (1990). الدين في المجتمع العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، الطبعة الأولى.

– محمد بن يحي بن حسن النجيمي (2011). الإجهاض أحكامه وحدوده في الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي. الطبعة الأولى. العبيكان.

– محمد بن يحي بن حسن النجيمي(2011)الانجاب الصناعي بين التحليل والتحريم. العبيكان للنشر.

– محمد المرسي زهرة(1993). الإنجاب الصناعي أحكامه القانونية وحدوده الشرعية. جامعة الكويت.

– محمد عبد العزيز عمرو(1985) اللباس والزينة في الشريعة الإسلامية. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان و دار الفرقان، عمان، الأردن . الطبعة الثانية.

– محمد عقلة الحسن العلي. (2004)دور العلم في المحافظة على الهوية الإسلامية. في: الهوية الإسلامية في عالم متغير، بحوث المؤتمر العلمي السادس لكلية الشريعة، جامعة جرش الأهلية، الأردن.

– منصوري، عبد الحق(2001). الحركة الاستشراقية: استيعاب المسلمين من خلال فهمك جديد للإسلام مجلة الحضارة الإسلامية. مجلد 6، العدد7، ص ص. 211-228.
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/50995

– مقداد مصطفى.(2020). الاستيطان الصليبيّ لبيت المقدس وتهجير المقدسيين، مجلة دراسات بيت المقدس، المجلد 20، العدد3، ص.ص369-388
https://doi.org/10.31456/beytulmakdis.809571

– المقدسي، تقي الدين عبد الغني بن عبد الواحد أبو محمد(ت576هـ) محنة الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. هجر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1987.

- المقدسي، ضياء الدين (ت643هـ). فضائل الأعمال. تحقيق: غسان عيسى محمد هرماس. مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى 1987.

- المرادي الحضرمي، أبو بكر محمد بن الحسن(ت489هـ) الاشارة في تدبير الإمارة. منشورات محمد علي بيضون لنشر كتب السنة والجماعة، ودار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى 2003.

- مجموعة من المؤلفين: الهرماسي، عبد الباقي وآخرون (1990). الدين في المجتمع العربي. مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، الطبعة الأولى، بيروت.

- مؤلف مجهول. أعمال الفرنجة حجاج بيت المقدس، ترجمة حسين حبشي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1958.

- ناصح علوان، عبد الله (1983). دور الشباب في حمل رسالة الإسلام. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط.2 1983م

- النجار، عبد المجيد(2008). مقاصد الشريعة بأبعاد جديدة، الطبعة الثانية، دار الغرب الاسلامي، بيروت ، لبنان.

- نوار محمود قاسم الشيخ (2005) مواقيت العبادات الزمانية والمكانية دراسة فقهية مقارنة. مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت ، لبنان، ط.1.

- الندوي، أبو الحسن علي الحسني(1945)، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟، مكتبة الإيمان، المنصورة، القاهرة. https://waqfeya.net/book.php?bid=116 تاريخ إضافته: 2012/11/03

- الندوي، أبو الحسن (1950) ماذا خسر العالم من انحطاط المسلمين؟ القاهرة .

- الندوي، أبو الحسن علي الحسيني (1988). النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والكاملة. المجمع الاسلامي العلمي (ندوة العلماء) ، الهند.

- نهلة فرج، علي(2019) الصبر وعلاقته بالتوجه الإيجابي نحو المستقبل لدى طالب الدراسات العليا بكلية التربية جامعة المنيا، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، كلية التربية، جامعة المنيا، 34(1)، 146-196.

- نوار صلاح الدين محمد(1993) العدوان الصليبي على العالم الإسلامي(490هـ 515هـ/ 1097م-1121م) أضواء جديدة على الحروب الصليبية، دار الدعوة. الاسكندرية.

- النسائي؛ أبو عبد الرحمن أحمد بن علي بن شعيب بن علي.(ت303هـ) السنن الصغرى كتاب المجتبى(سنن النسائي الصغرى). تحقيق مركز البحوث وتقنية المعلومات. دار التأصيل، 2012.

- السباعي، مصطفى(1976). السنة ومكانتها في التشريع الاسلامي. المكتب الاسلامي "، ودار الوراق للنشر و التوزيع.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت911هـ) حسن السمت في الصمت. تحقيق أحمد محمد سليمان. كفر الشيخ: دار العلم و الايمان للنشر والتوزيع،2009.

- السيد سابق(1964) العقائد الإسلامية. دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع ، بيروت.

- سلامة موسى (1958) تربية سلامة موسى. مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية .

- سلامة موسى(1910). مقدمة السوبرمان. طبع بدار المستقبل النشر والتوزيع1977 الطبعة الأولى.

- سلامة موسي(1957)، أحاديث الى الشباب. نشرته مؤسسة هنداوي سي آي سي، في 2019.

- سلامة موسى.(1961) الانسان قمة التطور. نشرته مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة في 2012.

- سلامة موسى(1928). نظرية التطور وأصل الانسان. الطبعة الثانية 1953. الطبعة الثالثة 1957. نشرته مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة في 2012.

- سلامة موسى (1945). البلاغة العصرية واللغة العربية. مراجعة بزيادات في 1953. نشرته مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة سنة 2012

- سلامة موسى (1930). في الحياة والأدب. طبعته الأولى ، أعيد طبعه أعادت دار النشر المصرية طبعه في 1956. وقامت مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة بنشره سنة 2012.

- سلامة موسى (1947).في الحياة. طبعة مؤسسة هنداوي للتعليم و الثقافة في 2012.

- سلامة موسى (1947).عقلي وعقلك. دار الكاتب المصري.

- سلامة موسى (1956) المرأة ليست لعبة الرجل. نشرته مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة في 2011.

- سلامة موسى (1952).هؤلائي علموني. نشرته مؤسسة هنداوي **للتعليم و الثقافة** في 2011.

– سليمان بن محمد بن عبد الله النجران (2004) المفاضلة في العبادات قواعد وتطبيقات. مكتبة العبيكان، ط.1.

– سليمان الأشقر عمر.، عبد الناصر أبو البصل.، محمد عثمان شبير.، عارف علي عارف.، عباس أحمد محمد الباز (2001) دراسات فقهية في قضايا طبية معاصرة. دار النفائس للنشر والتوزيع، الأردن. الطبعة الأولى.

– سعيد عبد العظيم (2004) . خلق المسلم. دار الايمان للطبع و النشر و التوزيع .

– سعد بن تركي الخثلان (2012).فقه المعاملات المالية المعاصرة. دار الصميعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى.

– عبد الباقي، محمد فؤاد (1945)، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم"، دار الكتب المصرية، النسخة الرقمية https://waqfeya.com/book.php?bid=1392 تاريخ إضافته: 2008/10/15

– عبد الكريم زيدان (1993). المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم في الشريعة الإسلامية. مؤسسة الرسالة. (كتاب مؤلف من 11 جزء)

– السلطاني، عبد اللطيف بن علي (1982) في سبيل العقيدة الإسلامية، الطبعة الأولى، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة ، الجزائر.

– عبد العزيز، زينب (د.ت)، ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك، دار الصابوني، دار الهداية، القاهرة.

– بن فايع ، عبد الرحمن بن أحمد بن محمد (1995). أحكام الجوار في الفقه الإسلامي. دار الأندلس الخضراء للنشر و التوزيع ، جدة. الطبعة الأولى.

– عزوز، علي(2004) المستشرقون وتشويههم صورة الإسلام من خلال دراساتهم للفقه الإسلامي، مجلة "الصراط" العدد 1، المجلد 6، ص ص. 234-281
https://www.asjp.cerist.dz/en/article/84560

– العلواني، طه جابر فياض (1987). أدب الاختلاف في الإسلام. المعهد العالمي للفكر الإسلامي، فيرجينيا ، الولايات المتحدة.

– العقاد، عباس محمود(1960). التفكير فريضة إسلامية، مؤسسة دار الهلال، 2002، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.. الطبعة السادسة، 2007.

– العقاد، عباس محمود (ت1964). العبقريات الاسلامية . دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى 1971. دار الكتاب اللبناني، الطبعة الأولى 1974، مكتبة المدرسة ،1984

– العقاد، عباس محمود (ت1964) الاسلام والحضارة الانسانية. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2005

- العقاد، عباس محمود(ت1964). أثر العرب في الحضارة الاوربية. المجلد04. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2005.

- العقاد، عباس محمود(ت 1964). عبقري الاصلاح والتعليم: الامام محمد عبد. نشرته مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة في 2012/08/26.

- العقاد، عباس محمود(ت1964). دراسات في المذاهب الأدبية والاجتماعية". نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية 2006

- العقاد، عباس محمود(ت1964). حقائق الاسلام و أباطيل خصومه. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع. الطبعة الرابعة، 2005.

http://www.noor-book.com-كتاب-حقائق-الاسلام-واباطيل-خصومه-لعباس-محمود-العقاد/

- العقاد، عباس محمود(ت 1964). الانسان في القرآن". صدر أول مرة في 1961. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 2005. مشرته مؤسسة الهنداوي في 2014. http://www.hindawi.org/books/20618509/

- العقاد، عباس محمود (ت1964). المرأة في القرآن. صدر أول مرة في 1959. نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة 2005. نشرته مؤسسة الهنداوي في2014 .

http://www.hindawi.org/books/47174958/

- العرباوي، عمر(1984)كتاب التوحيد المسمى التخلي عن التقليد والتحلي بالأصل المفيد.

- عريبي، محمد ياسين(1991). الاستشراق وتغريب العقل التاريخي العربي، المجلس القومي للثقافة العربية، الرباط، الطبعة الأولى، ص 138.

- عرسان الكيلاني، ماجد(1988). أهداف التربية الإسلامية: دراسة مقارنة بين أهداف التربية الإسلامية و الأهداف التربوية المعاصرة. مكتبة دار التراث، المدينة المنورة. ط.2.

- فوشان عبد القادر(2011). الدين والاندماج الاجتماعي عند الشباب: دراسة سوسيولوجية ميدانية لشباب الطريقة القادرية البوتشيشية بمعسكر: طلبة زاوية همرو بن العاص بالمامونية نموذجا". مذكرة ماجستير، جامعة وهران.

- الفراء، أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الحنبلي (ت458هـ) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. تحقيق محمد مصطفى أبوه الشنقيطي. دار البخاري للنشر والتوزيع، المدينة المنورة.

- الأصبهاني، أبو نعيم أحمد بن عبد الله (ت430هـ) معرفة الصحابة ، تحقيق عادل بن يوسف العزازي. دار الوطن، سنة 1998.

– صالح، علي عبد الرحيم، ومنشد، حسام محمد، (2018) الإسهام النسبي لأنماط الصبر في التنبؤ بالمثابرة لدى طلبة كلية التربية، مجلة العلوم الإنسانية، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة بابل ، 25 (3) ص.ص 266– 259.

– قاسم عبده قاسم(2001). الحملة الصليبية الأولى نصوص و وثائق تاريخية. عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية.

– القاضي يوسف مصطفى و محمد يالجن (1981) .علم النفس التربوي في الإسلام. دار المريخ ، المملكة العربية السعودية ، الرياض.

– القحطاني، سعيد بن علي بن وهف (1988) الربا أضراره وآثاره في ضوء الكتاب والسنة. دار الرشد للنشر والتوزيع . الطبعة الأولى.

– القحطاني، سعيد بن علي بن وهف(2010). مناسك الحج والعمرة في الإسلام في ضوء الكتاب والسنة. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر . الطبعة الثانية .

– القرضاوي، يوسف (2004). فقه الأولويات. الطبعة 6، مكتبة وهبة, القاهرة ، مصر .

– القرضاوي، يوسف(1973). الحلال والحرام. المكتب الإسلامي، الطبعة السابعة.

– الرازي، أبو بَكر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن زَكَرِيّا (ت313هـ). أخلاق الطبيب . تقديم وتحقيق محمد عبد اللطيف العبد، الطبعة الأولى، مكتبة دار التراث، القاهرة، 1977.

– الرازي، أبو بَكر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن زَكَرِيّا (ت313هـ). الطب الروحاني. تقديم عبد اللطيف العيد، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة.1978.

– الرازي، أبو بَكر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن زَكَرِيّا (ت313هـ) الحاوي في الطب . منشورات محمد علي بيضون ، ودار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان. الطبعة الأولى 2000.

– الرازي، أبو بَكر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن زَكَرِيّا (ت313هـ . المنصوري في الطب. تحقيق حازم البكري الصديقي ، منشورات معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة و العلوم، الطبعة الأولى الكويت ، 1987.
https://ia601800.us.archive.org/24/items/al-mansuri_fi_at-tib/MFT_01.pdf

– الرازي،أبو بَكر مُحَمَّد بن يَحْيَى بن زَكَرِيّا (ت313هـ). المنصوري في الطب. نسخة من المخطوط من86 صفحة بمكتبة جامعة الملك سعود بقسم المخطوطات تحت رقم7349

– الرافعي، مصطفى صادق (ت1937). من وحي القلم. الأجزاء02،01 و03 بدأ نشر مقالات هذا الكتاب في عام 1934كل أسبوع ينشر مقالة أو قصة في مجلة أو صحيفة. طبع في المكتبة العصرية،في،2002 بيروت. ومؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة في2014.
http://www.noor-book.com/كتاب-وحي-القلم-1609176970-pdf

- الرافعي، مصطفى صادق (ت1937). رسائل الأحزان: في فلسفة الجمال والحب. مطبعة الهلال، مصر 1924. ونشرته مؤسسة هنداوي في سنة 2012

- الرافعي، مصطفى صادق (ت 1937). السمو الروحي الأعظم والجمال الفني في البلاغة النبوية. أول ما نشر في 1934. تحقيق أبي عبد الرحمن البحيري و وائل بن حافظ بن خلف، طبع في دار البشير للثقافة والعلوم في 2011.

.http://books.islamway.net/1/3469/blnb.pdf

http://waqfeya.net/book.php?bid=7106

- الرافعي، مصطفى صادق (ت1937). تاريخ أدب العرب. الجزء الأول والثاني. أول طبعة في 1911. طبع في دار الكتب العلمية في سنة 2000. وفي مؤسسة الهنداوي في 2013.
http://www.hindawi.org/books/70629206/

- الرافعي، مصطفى صادق (ت1937) أوراق الورد: رسائلها ورسائله. أول طبعة في 1930- 1931. طبعة دار الكتاب العربي في 2003 وفي مؤسسة هنداوي عام 2012 وطبع في" آفاق النشر" في 2017.
http://www.hindawi.org/books/19618179/

- الرافعي، مصطفى صادق (ت 1937). تحت راية القرآن. أول طبعة في 1926. طبعة دار الكتاب العربي السابعة، 1974.

http://ia600603.us.archive.org/29/items/FP11523/11523.pdf

- الرافعي، مصطفى صادق (ت 1937). حديث القمر. أول طبعة في 1912. وطبعته دار الكتاب العربي. بيروت ، لبنان، الطبعة الثامنة، 1982.

- الرافعي، مصطفى صادق (ت 1937). السحاب الأحمر. أول طبعة في 1924. طبعته دار الكتب العلمية. بيروت ، لبنان. الطبعة الأولى 2002.

- الرافعي، مصطفى صادق (ت 1937). كلمة وكليمة. مقالات نشرت في مجلة "الرسالة" في 1934-1937. ونشرته الجفان والجابي للطباعة والنشر، قبرص، **ودار بن** حزم للطباعة والنشر والتوزيع. بيروت ، لبنان، الطبعة الأولى 2002

http://www.noor-book.com-كتاب-كلمة-وكليمة-ط-ابن-حزم-pdf/

- الرافعي، مصطفى صادق (ت1937). ديوان الرافعي. طبع في مطبعة جامعة الإسكندرية سنة 1322 هجرية. 1904 م.

http://www.noor-book.com-كتاب-ديوان-الرافعي-pdf/

- الرافعي، مصطفى صادق (ت1937) المساكين. صدر هذا الكتاب أول مرة عام 1917، نشرته **دار** العصور للطبع والنشر في 1929 في طبعة ثانية. أصدرته مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة 2014.
http://www.hindawi.org/books/80383953

- الرافعي،مصطفى صادق(ت1937).ديوان النظرات. مطبعة الجريدة بمصر سنة1908.
http://dlib.nyu.edu/files/books/aub_aco001181/aub_aco001181_lo.pdf

- الرافعي، عبد الرحمن (ت1966) شعراء الوطنية. صدر عام 1954، نشرته مؤسسة هنداوي عام 2020. https://www.hindawi.org/books/94053925

- ريسلر، جاك،(1962) الحضارة العربية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، 1993...*La civilisation arabe*

- رمضان البوطي، محمد سعيد (1973). ضوابط المصلحة في الشريعة الاسلامية. مؤسسة الرسالة. الطبعة الثانية.

- القحطاني خالد مناحي هديب والقحطاني عبدالله مناحي هديب (2021).سمة الصبر وعلاقتها بأساليب مواجهة الضغوط النفسية لدى عينة من معلمي الأطفال ذوي صعوبات التعلم. مجلة البحث العلمي في التربية، المجلد 22 العدد 2 .

- ريموندداجيل[5] (Raymond of Aguilers القرن 11). تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس. ترجمة: جوزيف نسيم يوسف. دار المعرفة الجامعية. تاريخ النشر 2002.

- رضوى، محمد عزب حسن، (2019). مظاهر التطرف والإرهاب الصليبي تجاه المسلمين في الشرق اللاتيني (التمثيل بالموتى–انتهاك حرمة أماكن العبادة).مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد2، العدد30،ص.ص318–340، جامعة قناة السويس، ISSN2536-9458

- أرنأوط، بشرى إسماعيل أحمد،(2013) الصبر وعلاقته بسيكولوجية التفاؤل والتشاؤم لدى طلبة الجامعة، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، (32) ص.ص.، 449–507 .

- الشاطبي، أبو إسحاق(م.790هـ). الموافقات في أصول الشريعة، الجزاء الأول والجزء الثاني، دار المعرفة، بيروت.

- الشافعي، محمد بن ادريس.(ت 204هـ). أحكام القرآن. دار إحياء العلوم ، بيروت. الطبعة الأولى 1990.

- شبير، محمد عثمان(2007)المعاملات المالية المعاصرة في الفقه الإسلامي. دار النفائس للنشر والتوزيع. الطبعة السادسة.

- شبلي شميل(1884). فلسفة النشوء والارتقاء. دار مارون عبود، الطبعة الأولى.

- شبلي شميل(1885). الحقيقة. مطبعة المقطف، الطبعة الأولى. نشرته مؤسسة هنداوي سي آي سي في 2017/01/26.

[5] - كاتب أوسيتاني من القرن الحادي عشر، مؤرخ للحروب الصليبية

- شبلي شميل(1912). آراء الدكتور شبلي شميل. نشرته مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة في 2012/08/26.

- شبلي شميل (ت1917). حوادث وخواطر. تحقيق أسعد رزوق، دار الحمراء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1991، بيروت.

- شبلي شميل (ت1917) . كتابات سياسية وإصلاحية. تحقيق أسعد رزوق، دار الحمراء للطباعة والنشر، الطبعة الأولى 1991، بيروت.

- شيبة الحمد، عبد القادر (2010) حقوق المرأة في الإسلام. فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر, الطبعة الأولى.

- تواتي، عبد الكريم (1967). مأساة انهيار الوجود العربي في الأندلس. مكتبة الرشاد ، الدار البيضاء، الطبعة الأولى.

- الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي(ت320هـ). أدب النفس. تحقيق: أحمد عبد الرحيم. السايح. الدار المصرية اللبنانية، القاهرة . الطبعة الأولى 1993

- الترمذي، أبو عبد الله محمد بن علي(ت320هـ). رياضة النفس. تحقيق: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان. الطبعة الثانية 2005

- الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن موسى(ت847م).حساب الجبر والمقابلة. الجامعة المصرية ، كلية العلوم . مطبعة بول باربيه، 1937.

- الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي (ت463هـ). تاريخ بغداد أو مدينة السلام منذ تأسيسها حتى سنة 463هـ. الجزء الثاني والجزء الرابع. دار الكتب العالمية، بيروت، لبنان.

- الخرائطي، محمد بن جعفر بن محمد بن سهل، أبو بكر الخرائطي السامري (ت 327هـ) مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها. تحقيق: عبد الله بن بجاش بن ثابت الحميري. مكتبة الرشد. الطبعة الأولى 2006.

- الخرائطي؛ محمد بن جعفر بن محمد بن سهل، أبو بكر الخرائطي السامري (ت 327هـ). مساوئ الأخلاق ومذمومها. تحقيق مصطفى أبو النصر الشلبي . مكتبة السوادي للتوزيع ، جدة. الطبعة الأولى 1992.

- الذهبي؛ شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، (ت748هـ).تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. الجزء 6: حوادث و وفيات 81-100 والجزء 9: حوادث ووفيات141-160. تحقيق عمر عبد السلام تدمري . دار الكتاب العربي، 1990.

- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز، شمس الدين، أبو عبد الله(ت748هـ). سير أعلام النبلاء.، الجزء الأول. تحقيق حسان عبد المنان. بيت الأفكار الدولية. طبع بلبنان في 2004.

- الذهبي، شمس الدين (ت 748هـ)، مسألة الايمان و ما يتعلق به. دار المودة للنشر والتوزيع ،الطبعة الأولى، المنصورة، 2009.

- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ) . كتاب الكبائر. دار الندوة الجديدة.

- الغزالي، محمد (1987)، خلق المسلم. الطبعة الأولى. دار الريان للتراث ، القاهرة.

- الغزالي ، محمد (1990). المحاور الخمسة للقرآن الكريم. دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، طبع بالمقاولة الولائية لأشغال الطباعة والتجليد، أم البواقي ، الجزائر.

- خلفة، عبد الرحمن .(2014)نظرية المقاصد عند موسى بن ميمون.مجلة "المعيار". المجلد 18، العدد 35، الصفحات196-220

https://www.asjp.cerist.dz/en/article/17629

- زينب محمود الأخضيري(2007). أثر ابن رشد في فلسفة العصور الوسطى – دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان.

- الأتابكي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغرى بردي (874هـ). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. الجزء الخامس، ص.148، وزارة الثقافة و الارشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الترجمة والطباعة والنشر.

- تصنيف: توما الأكويني،wikipedia

- /الشامل_في_الصناعة_الطبية.ar.wikipedia.org/wiki

- أبو_الريحان_البيروني /https://www.marefa.Org

- قائمة_مؤلفات_ابن_تيميةwikipedia

- Aciduman, A. (2016). On pains of the kidney and the bladder in Kitāb al-Tajārib by Rhazes. *Giornale Italiano di Nefrologia: Organo Ufficiale Della Societa Italiana di Nefrologia*, *33*, 33-S66.

- Aciduman, A., & Belen, D.(2009). Hydrocephalus and its treatment according to Rhazes: historical vignette. *Jr of Neurosurgery: Pediatrics*, *3*(3), 161-165.

- Adamson, P. (2002). Averroes: A Rationalist in Islam. *Bulletin of the History of Medicine*, *76*(4), 807-808.

- Adamson, P.(Ed.). (2013). *Interpreting Avicenna: Critical Essays*. Cambridge University Press

- Adelman,H.S.,& Taylor, L.(1990). Intrinsic motivation and school misbehavior: Some intervention implications. Journal of Learning Disabilities. 21, 541-550.

- Ainslie, G. & Haslam, N. (1992). Hyperbolic discounting. In G. Loewenstein & J.Elster (Eds.) *Choice over time.* (pp.57-92). NewYork: Russell Sage Foundation.

- Alan, S.,& Ertac, S.(2015). Patience, self-control and the demand for commitment: Evidene from a large-scale field experiment. Journal of Economic Behavior & Organization, 115, 111-122.

- Albarracin, D.,& Shavitt, S.(2018). Attitudes and attitude change. *Annual review of psychology*, *69*(1), 299-327.

- Allard, M.(1952). Le rationalisme d'Averroès d'après une étude sur la création. *Bulletin d'études orientales*,*14*, 7-59.

- Arnaldez, R. (1957). La pensée religieuse d'Averroès. I. La doctrine de la création dans le" Tahāfut". *Studia Islamica*, 99-114.

- Andelman,Y.(1993).Rhazes. *Annals of the Rheumatic Diseases*, *52*(10),698.

- Ashton, Thomas S. (1948). The Industrial Revolution (1760–1830) . Oxford University Press.

- Attali,(2004).*Raison et Foi,Averroès, Maïmonide, Thomas d'Aquin*, Éditions BNF.

- Band, I. C., & Reichel, M. (2017). Al Rhazes and the Beginning of the End of Smallpox. *Jama dermatology*, *153*(5), 420-420.

- Bandura, A. (1977). Self-efficacy: Toward a unifying theory of behavioral change *Psychological Review, 84,* 191-215.

- Baranek, L.K.,1996). *The effect of rewards and motivation on student achievement* (Doctoral dissertation, Grand Valley State University).

- Becker, P.E. & Dinghra, P.H. (2001). Religious involvement and volunteering: Implications for civil society. Sociology of Religion 62(3), 315-35.

- Beckingham,C.F. (1976). Misconceptions of Islam: Medieval and Modern. *Journal of the Royal Society of Arts*, *124*(5242), 606-614.

- Behere, P. B., Das, A., Yadav, R., & Behere, A. P. (2013). Religion and mental health. *Indian journal of psychiatry*, *55*(Suppl 2), S187.

- Belen, D., & Bolay, H. (2009). Averroës in the school of Athens: a Renaissance man and his contribution to Western thought and neuroscience. *Neurosurgery*, *64*(2), 374-381.

- Berger, P.(1967).The Sacred Canopy: Elements of a Sociological Theory of Religion (Doubleday, Garden City, NY).

- Besken M.(2018).Generating lies produces lower memory predictions and higher memory performance than telling the truth: Evidence for a metacognitive illusion. *J Exp Psychol Learn Mem Cogn*. 44(3):465-484.

- Blanks, D. R. (1999). Western views of Islam in the premodern period: A brief history of past approaches. In *Western views of Islam in medieval and early modern Europe* (pp. 11-53). Palgrave Macmillan, New York.
doi:10.1037/xlm0000459 https://pubmed.ncbi.nlm.nih.gov/28933907/

- Birch, C.D., Kelln, B.R.C., & Aquino, E.P.B. (2006). A review and case report of pseudologia fantastica. The Journal of Forensic Psychiatry & Psychology, 17(2), 299-320.

- Borooah,V.K.(2006) What makes people happy : some evidence from Northern Ireland. Journal of happiness studies. 7,pp.427-465.

- Botterman, S. and M. Hooghe (2010). The Relation between Religion and Civic Engagement. A Comparative Analysis of the Impact of Religious Competition in Belgium and the Netherlands (1996-2006). Paper presented at the Dutch-Belgian Political Science Conference, Leuven, 27-28 May 2010.

- Brion, F. (1989). Le temps, l'espace et la genèse du monde selon Abû Bakr al-Râzî: Présentation et traduction des chapitres I, 3-4 du Kitâb a'lâm al-nubuwwa d'Abû Ḫâtim al-Râzî. *Revue philosophique de Louvain*, 139-164.

- Calder, B., Staw, B.M. (1975). Interaction of intrinsic and extrinsic motivation: Some methodological notes. Jr of Personality and Social Psychology, 31(1),76-80.

- Call, V. and T.B. Heaton (1997), Religious influence on marital stability, Journal for the Scientific Study of Religion 36, pp. 382-392.

- Cashwell, C. S., & Young, J.S. (Eds.). (2014). *Integrating spirituality and religion into counseling: A guide to competent practice*. John Wiley & Sons

- Cécile, Jolly(2005).Religions et Intégration Sociale. Groupe de projet Sigma. CahierNo:8.https://www.vie-publique.fr/sites/default/files/rapport/pdf/054000492.pdf

- Cerami, C.(2009). Thomas D'Aquin Lecteur Critique Du Grand Commentaire D'Averroes À PHYS. I, 11. *Arabic sciences and philosophy*, *19*(2), 189-223.

- Chandelier, J. (2020). L'œuvre médicale d'Averroès contre Galien. *Critiques d'une autorité médicale de l'Antiquité à l'âge moderne*, 115-139.

- Changizi, A. S., & Sirous, A. (2010). Rhazes, a genius physician in diagnosis and treatment of kidney calculi in medical history.

- Chapman, C. (1996). Christian Perspectives of Islam: Threat, Challenge or Misunderstood Ally?. *Evangelical Review of Theology*, *20*, 100-105.

- Cheek, D.K.(1987) Social science: A vehicle of white supremacy?. Int J Adv Counselling 10, pp.59–69 . https://doi.org/10.1007/BF00116171 https://doi.org/10.1007/BF00116171

- Cho, Y. J., & Perry, J. L. (2012). Intrinsic Motivation and Employee Attitudes: Role of Managerial Trustworthiness, Goal Directedness, and Extrinsic Reward Expectancy. *Review of Public Personnel Administration*, *32*(4), 382–406. https://doi.org/10.1177/0734371X11421495

- Christ, S.E.,Van Essen, D.C.,Watson, J. M.,Brubaker,L.E.,& McDermott, K.B. (2009).The contributions of prefrontal cortex and executive control to deception: evidence from activation likelihood estimate meta-analysis. *Cereb. Cortex* 19, 1557–1566.

- Cipolla, C. M. (Ed.). (1976). The emergence of industrial societies. Harvester Press.

- Clements, B. (2002). How efficient is education spending in Europe. European review of economics and finance, 1(1), 3-26.

- Cohen, I.B. (1976). The eighteenth-century origins of the concept of scientific revolution. *Journal of the History of Ideas*, *37*(2), 257-288. https://doi.org/10.2307/2708824

- Conner, M and Norman, P. (1996) The Role of Social Cognition in Health Behaviors. In: Conner, M. and Norman, P., Eds., Predicting Health Behavior, Open University Press, Buckingham, Maidenhead.pp.1-21.

- Cook, Michael.(2004) Commanding Right and Forbidding Wrong in Islamic Thought. Cambridge: Cambridge University Press .

- Coppola, E. D. (1957). The discovery of the pulmonary circulation: A new approach. *Bulletin of the History of Medicine*, *31*(1), 44-77.

- Corey,G.(2006).Integrating spirituality in counseling practice. *Jurnal Vistas*, *6*. https://www.counseling.org/docs/default-source/vistas/integrating-spirituality-in-counseling-practice.pdf?sfvrsn=10

- d'Aguiliers, R. (1921). Historia Francorum qui ceperunt Jerusalem. *RHC, Occ., III, terc. August C. Krey, The First Crusade: The Accounts of Eye-Witnesses and Participants, Princeton*.

- Daghestani, A. N. (1997). al-Razi (Rhazes), 865–925. *American Journal of Psychiatry*, *154*(11), 1602-1602.

- Lindberg,D.C.(2007).The Beginnings of Wester Science: The European scientific Tradition in Philosophical, Religious, and Institutional context, Prehistory to A.D.1450.The University Chicago Press, Chicago and London 2nd Edition.

- Davidson, H.A.(1972). Alfarabi and Avicenna on the active intellect. Viator, 3, 109-178

- Dawson,L.,& Theissen,J.(2014).*The sociology of religion: A Canadian perspective.* Don Mills: Oxford University Press.

- Deci, E.L., & Ryan, R. M.(1985). *Intrinsic Motivation and Self-Determination in Human Behavior*. New York, NY: Plenum Press. doi:10.1007/978-1-4899-2271-7

- Deci, E.L., Koestner, R., Ryan, R.M.(1999). A meta-analytic review of experiments examining the effects of extrinsic rewards on intrinsic motivation. Psychological Bulletin, 125, 627-668.

- Dee,T.S. (2004). Are there civic returns to education?. Journal of public economics, 88 (9-10), 1697-1720.

- Deutsch, H.(1982) .On the Pathological Lie"(Pseudologia Phantastica". *Journal of the American Academy of Psychoanalysis*, *10*(3), 369-389.

- Douglas, A.V. (1973). RASC Papers-Al-Biruni, Persian Scholar,973-1048 *Journal of the Royal Astronomical Society of Canada*, *67*, 209.

- Duckworth ,A. (2016). Grit: The Power of Passion and Perseverance . Scribner; 1 edition (May 3, 2016)

- Dudley, K.C. (2003). Empirical development of a scale of patience. ProQuest Information and Learning Company, PhD, UMI Number: 3142900.

- Eck, B.E.(2002). An exploration of the therapeutic use of spiritual disciplines in clinical practice. Journal of Psychology and Christianity, 21(3), 266–280.

- Edwards, E. (2010). *Resilience: Reflections on the burdens and gifts of facing life's adversities*. Broadway.

- Elders, L.J.(1994).Averroès et Thomas d'Aquin. *Mediaevalia.Textos e estudos*, 219-229.

- Engels, R.C.,Finkenauer, C.,& van Kooten, D.C.(2006). Lying behavior, family functioning and adjustment in early adolescence. *Journal of Youth and Adolescence*, *35*(6), 949-958.
https://research.vu.nl/ws/portalfiles/portal/2178568/Engels+Journal+of+ Youth+ and+Adolescence+35+2006+u.pdf

- Fagan, P. F. (1996). Why religion matters: the impact of religious practice on social stability. *Heritage Foundation Backgrounder*, *1064*, 33.

- Firas Alkhateeb (2014) .Lost Islamic History :Reclaiming Muslim Civilisation from the Past. First published in the United Kingdom in 2014 by C. Hurst & Co. (Publishers) Ltd. London.

- Fisher, M.P. (2011). *Living religions: A brief introduction*. Pearson Higher Ed.

- Flasch, K., & Schmutz, J. (2008). *D'Averroès à maître Eckhart: la naissance de la" mystique" allemande de l'esprit de la philosophie arabe: suivi de Pourquoi étudions-nous la philosophie médiévale?*. Vrin.

- Forcada, M.(2007). Ibn Rushd: Abū al-Walīd Muḥammad ibn Aḥmad ibn Muḥammad ibn Rushd al-Ḥafīd. *The Biographical Encyclopedia of Astronomers, Springer Reference. New York: Springer*, pp564-565.

- Forrester, J. (1978) . Ibn-Al-Nafis and the pulmonary circulation. Lancet. 1978 Jun10;1(8076):1269. doi:10.1016/s0140-6736(78)92516-3. PMID: 78041.

- Forte, F. (2015). Averroès et la censure de l'histoire. *Doctor Virtualis*, (13). Attali,J.(2004). *Raison et foi: Averroès, Maïmonide, Thomas d'Aquin*. Bibliothèque Nationale de France-BNF.

- Frame, M.W. (2003). Integrating religion and spirituality into counseling: A comprehensive approach. Pacific Grove, CA: Brooks/Cole.

- Frazier, R. E., & Hansen, N. D. (2009). Religious/spiritual psychotherapy behaviours: Do we do what we believe to be important? Professional Psychology: Research and Practice, 41(2), 81–87. doi:10.1037/a0011671

- Frederick, S., Loewenstein, G., & O'Donoghue, T. (2003). Time discounting and time preference: A critical review. In G. Loewenstein, D. Read, and R. Baumeister (Eds.) *Time and decision: Economic and psychological perspectives on intertemporal choice.* (pp. 13-86). New York: Russell Sage Foundation.

- Frey, B. S. (1997). Not just for the money: An economic theory of personal motivation. Cheltenham, UK: Edward Elgar.

- Gamer, M. (2011). Detection of deception and concealed information using neuroimaging techniques, in *Memory Detection: Theory and Application of the Concealed Information Test*, eds B.Verschuere, G.Ben-Shakhar, and E.Meijer (Cambridge: Cambridge University Press, pp90–113)

- Gastner, M. T., Takács, K., Gulyás, M., Szvetelszky, Z., & Oborny, B. (2019). The impact of hypocrisy on opinion formation: A dynamic model. *PloS one*, *14*(6), e0218729.

- Gauchet, M. (1998) La religion dans la démocratie, Gallimard, Paris, 1998.

- Gauthier, L. (1909). *La théorie d'Ibn Rochd (Averroès) sur les rapports de la religion et de la philosophie* (Vol. 41). E. Leroux.

- Gauthier, L. (1948). *Ibn Rochd (Averroès)*. FeniXX.

- Geoffroy, M. (2020). Ibn Rushd (Averroes), Latin Translations of. In *Encyclopedia of Medieval Philosophy: Philosophy between 500 and 1500* (pp. 773-780). Dordrecht: Springer Netherlands.

- Geoffroy, M. (1999). L'almohadisme théologique d'Averroès (Ibn Rušd). *Archives d'histoire doctrinale et littéraire du Moyen Âge*, 9-47.

- Getty, J.Paul(1965). *How to Be Rich* . New York: Jove Books, 1965..

- Ghalioungui, P., Jundi, A. R., & Hasan, H. M. (1982). The West denies Ibn Al-Nafis's contribution to the discovery of the circulation. In *Symposium on Ibn al-Nafis, 2nd International Conference on Islamic Medicine, Islamic Medical Organization, Kuwait*.

-Greenham, P. (2016). A case study in the alchemy of al-Razi. *Science and Religion: East and West*, 187.

-Gillborn D (2006) Rethinking white supremacy: Who counts in 'White World'. Ethnicities 6(3): 318–340.

-Gillborn D (2008) Racism and Education: Coincidence or Conspiracy? London: Routledge.

-Gillborn D (2016) Softly, softly: Genetics, intelligence and the hidden racism of the new geneism. Journal of Educational Policy 31(4): 365–388.ط

-Ginzburg, B.(1922). Hypocrisy as a pathological symptom. *The International Journal of Ethics*, *32*(2), 160-166. http://www.jstor.org/stable/2377606

-Glasner, R. (2009). *Averroes' physics: a turning point in medieval natural philosophy*. OUP Oxford

-Glock, C., & Stark, R. (1965). *Religion and Society in Tension. New York: Rand McNally and Company*.

-Gohlman, W. E. (Ed.). (1974). *The life of Ibn Sina: a critical edition and annotated translation*. Suny Press.

-Goichon, A. M. (1938). Lexique de la Langue Philosophie d'Ibn Sina.

-Goodrich, J.T.(2014).A medieval approach to head injuries from the Golden Era of Islamic medicine from the writings of Abn Bakr Muhammad Ibn Zakariya al-Razi-Rhazes (865-925). *World neurosurgery*, *82*(6), 1045-1047.

-Grant, A. M. (2008). Does intrinsic motivation fuel the prosocial fire? Motivational synergy in predicting persistence, performance, and productivity. Journal of Applied Psychology, 93(1), 48-58.

-Greeley, A. (1997). Coleman revisited: Religious structures as a source of social capital. American Behavioral Scientist 40, 587-94.

-Greenham, P. (2016). A case study in the alchemy of al-Razi. *Science and Religion: East and West*, 187.

- Gross, E. R. (2011). Clashing values: Contemporary views about cheating and plagiarism compared to traditional beliefs and practices.*Education. 132*(2).p.435

-Ğumʿaï, A. (1990). Le problème politico-religieux chez Ibn Rochd: l'interprétation des textes religieux (Doctoral dissertation, Paris 1).

-Gundlach, E., Wossmann, L., & Gmelin, J. (2001). The decline of schooling productivity in OECD countries. The Economic Journal, 111(471), C135-C147.

-Gutas, D. (2004). Avicenna's Marginal Glosses On "De Anima" and The Greek Commentatorial Tradition. *Bulletin of the Institute of Classical Studies. Supplement*, 77-8.

-Hadaway, C.K. and W.C. Roof (1978) .Religious commitment and quality of life in American society', Review of Religious Research 19, pp. 295-307.

-Hanley, D.C.(2007). Karen Armstrong Looks at" Islam: The Misunderstood Religion. *Washington Report on Middle East Affairs*, *26*(1), 55.

-Hanushek, E.A. (1997). Assessing the effects of school resources on student performance: An update. *Educational evaluation and policy analysis*, *19*(2),141-164.

-Harris, M.H.(1999). History of libraries of the western world. Scarecrow Press,Inc. 4th Edition. Lanham, Maryland and London.

-Hashempur, M. H., Hashempour, M. M., Mosavat, S. H., & Heydari, M. (2017). Rhazes—his life and contributions to the field of dermatology. *JAMA dermatology*, *153*(1), 70-70.

- Angela Haupt,(2012) https://health.usnews.com/healthnews/articles/2012/08/20/how-lying-affects-your-health, Aug. 20, 2012, at 10:30 a.m. https://archive.islamonline.net/8947

-Hayes, J. M. (1983). Geochemical evidence bearing on the origin of aerobiosis, a speculative hypothesis.

-Henderlong, J., & Lepper, M. R. (2002). The effects of praise on children's intrinsic motivation: a review and synthesis. *Psychological bulletin*, *128*(5),774-95

-Herz, L. (2008). *Al-Biruni: un génie de l'an mil*. Editions du Cygne.

-Heym, G. (1938). Al-Razi and alchemy. *Ambix, i*, 184-91.

-Hill, D.R.(1985). Al-Bīrūnī's mechanical calendar. *Annals of Science*,*42*(2), 139-163.

-Hill, J. H., & Hill, L. L. (1968). *Raymond D'Aguilers Historia Francirum qui ceperunt Iherusalem: Translated with introduction and notes by John Hugh Hill and Laurita L. Hill*. American philosophical society.

-Hirsch, E.D. (1997). The schools we need: Why we don't have them? National Association of Secondary School Principals.NASSP Bulletin, 81(589)

-Hodgson. M.G. S. (1974) The Venture of Islam: Conscience and History in a World Civilization. Vol. I,. By Chicago: The University of Chicago Press.

-Holtzman, S. (2003). Science and religion: The categorical conflict. *International Journal for Philosophy of Religion,* 54: 77-99.

-Hood Jr, R.W.,Hill, P.C.,& Spilka, B. (2009) The Psychology of Religion : an Empirical Approach . 4th Ed ; The Guilford Press ,New York,London.

-Housset, Emmanuel (2009). La vertu de patience. Licence. La vertu de patience, Université de Caen, France, pp.40. ffcel-02138510f

-Hughes, B. (1986). Gerard of Cremona's Translation of al-Khwārizmī's al-Jabr. A Critical Edition. *Mediaeval Studies*, *48*, 211-263.

-Hull, Andrew (2018) Pseudologia Fantastica: What is Known and What Needs to be Understood, Forensic Scholars Today, Vol. 3, Issue 4. https://1q5krviw73e3rlh854lufacx-wpengine.netdna-ssl.com/wp-content/uploads/2018/04/ FST-3.4-Pseudologia-Fantastica-.pdf

- Ignjatović, M. (2003). Overview of the history of thyroid surgery. *Acta chirurgica Iugoslavica*, *50*(3), 9-36.

- Iskandar, A. Z. (2008). Ibn Rushd (Averroës). *Encyclopaedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures. Encyclopaedia of the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures. New York: Springer*, 1115-1117.

- Janssens, J. L. (1991). *An Annotated Bibliography on Ibn Sīnā (1970-1989): Including Arabic and Persian Publications and Turkish and Russian References* (Vol. 1). Leuven University Press.

- Janssens, J. L. (1999). An Annotated Bibliography on Ibn Sīnā: First Supplement (1990-1994).

- Jensen, Arthur (1969). How Much Can We Boost IQ and Scholastic Achievement. Harvard Educational Review, Winter.

- Jolivet, J. (1999). Averroès, la question du rationalisme. *Horizons Maghrébins-Le droit à la mémoire*, *40*(1), 65-68.

- Joshi, S., Kumari, S., & Jain, M. (2008). Religious belief and its relation to psychological well-being. *Journal of the Indian Academy of Applied Psychology , 34*(2), 345-354.

- Karpinski, L. C.(Ed.). (1915). *Robert of Chester's Latin Translation of the Algebra of al-Khowarizmi*. New York:The Macmillan company. London : Macmillan and Company limited.

- Kelly, A. E., & Wang, L. (2012). A life without lies: Can living more honestly improve health. In *Presentation). APA Annual Convention August* (pp. 2-5).

- Kelly, A. E., & Wang, L. (2012). A life without Lies: How living honestly can affect health. In *American Psychological Association Annual Conference*.

- Kennedy, E.S.(1963). Al-Bīrūnīon determining the meridian. *The Mathematics Teacher*, *56*(8), 635-637.

- Kim, A.E.(2003). Religious Influences on Personal and Societal Well-being. *Social Indicators Research* 62, pp.149–170.
https://doi.org/10.1023/A:1022641100109

- Knives, F.O. (2016). The benefits of being a patient. The Journal of the American Osteopathic Association, 116(5), 331

- Koenig, H.G. (2012). Religion, spirituality, and health: The research and clinical implications. *ISRN psychiatry*, *2012*. Published online 2012 Dec 16.
doi: 10.5402/2012/278730

- Kranzberg, M. (1967). *Technology in Western Civilization, vol. 2*. Oxford University Press.

- Lam, P. Y. (2006). Religion and civic culture: A cross-national study of voluntary association membership. *Journal for the scientific study of religion*, *45*(2), 177-193

- Langermann, Y. T. (2009). *Avicenna and his legacy: a golden age of science and philosophy* (Vol. 8). Brepols.

- Langleben D.D.,Schroeder L., Maldjian J. A., Gur R.C., McDonald S., Ragland J.D., et al. Childress A.R. (2002). Brain activity during simulated deception: An event-related functional magnetic resonance study. NeuroImage, 15(3), 727–732. 10.1006/nimg.2001.1003 .

- Larimore, W. L., Parker, M., & Crowther, M. (2002). Should clinicians incorporate positive spirituality into their practices? What does the evidence say? Annals of Behavioral Medicine, 24(1), 69–73. doi:10.1207/S15324796ABM2401_08

- Lavelock, C.R. (2015) .Good things come to those who (peacefully) wait: toward a theory of patience. A dissertation submitted in partial fulfillment of the requirements for the degree of Doctor of Philosophy at Virginia Commonwealth University ,Richmond, Virginia. April, 2015. https://scholarscompass.vcu.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=4887&context=etd

- Lawton, R.N., Gramatki, I.,Watt, W.,& Fujiwara,D.(2021). Does volunteering make us happier, or are happier people more likely to volunteer? Addressing the problem of reverse causality when estimating the wellbeing impacts of volunteering. *Journal of Happiness Studies*, *22*(2), 599-624.

- Le Bon, G. (1884). *La civilisation des Arabes: ouvrage illustré...* Universitäts-und Landesbibliothek Sachsen-Anhalt.

- Le Floch-Prigent, P., & Delaval, D. (2014). The discovery of the pulmonary circulation by Ibn al Nafis during the 13th century: an anatomical approach (543.9). *The FASEB Journal*, *28*, 543-9.

- Lehrer, E. and C. Chiswick (1993), Religion as a determinant of marital stability, Demography 30, pp. 385-403.

- Lepper, M., Greene, D., and Nisbett., R. (1973). Undermining children's intrinsic interest with extrinsic rewards: a test of the "overjustification" hypothesis. *J. Pers. Soc. Psychol*. 28, 129–137. doi: 10.1037/h0035519

- Lerner, R.(Ed.).(2005). *Averroes on Plato's" Republic"* (Vol.145).Cornell University Press.

- Lerner, R. (1974). Introduction" to Averroes' Commentary on Plato's Republic.

- Levin, J.S. & H.Y. Vanderpool (1991) , Religious factors in physical health and the prevention of illness, Prevention in Human Services 9, pp. 41-64.

- Lieblich, J., & Boskailo, E. (2012). Wounded I am more awake: Finding meaning after terror. Vanderbilt University Press.

- Ligon,B.L.(2001).Biography: Rhazes: His career and his writings. In *Seminars in Pediatric Infectious Diseases* (Vol.12,No.3,pp.266-272).WB Saunders.

- Lizzini, O. (2015). Avicenna: the Pleasure of Knowledge and the Quietude of the Soul. *Quaestio*, *15*, 265-273.

- Lizzini, O. (2009). Vie active, vie contemplative et philosophie chez Avicenne. *Vie active, vie contemplative et philosophie chez Avicenne*, 1000-1033.

- Loewenstein, G., & Elster, J. (Eds.). (1992). Choice over time. Russell Sage Foundation.

- Lombard, M. (1975). *The golden age of Islam* (Vol. 2). North-Holland Publ..

- Lory, P. (1995). Averroes und die arabische Moderne: Ansätze zu einer Neubegründung der Rationalismus im Islam.

- Marion, P. (2010). *Mohammad abu Bakr Bin Zechrias Al Razi (Rhazes)(865-925): l'art d'être médecin* (Doctoral dissertation).

- Masic I, Dilic M, Solakovic E, Rustempasic N, Ridjanovic Z. (2008) Why historians of medicine called Ibn al-Nafis second Avicenna? Med Arh.; 62(4):244-9. PMID: 19145813.

- Massignon, L. (1951). *Al-Beruni et la valeur internationale de la science arabe*. Iran society.

- Maton, K. and E.Wells (1995), Religion as a community resource for well-being: Prevention, healing, and empowerment pathways, The Journal of Social Issues 51, pp. 177-193.

- Mauss, I. B., Tamir, M., Anderson, C. L., & Savino, N. S. (2011). Can seeking happiness make people happy? Paradoxical effects of valuing happiness. Emotion, 11, 1–9

- McCarthy, T. J. H. (2015). Ekkehard of Aura, Hierosolimita. In *Chronicles of the Investiture Contest* (pp. 254-260). Manchester University Press.

- McGinnis, J. (2010). *Avicenna*. Oxford University Press.

- Meyerhof, M. (1935). Thirty-three clinical observations by Rhazes (circa 900 AD). *Isis*, *23*(2), 321-372.

- Meyerhof, M. (1935). Ibn An-Nafîs (XIIIth Cent.) and his theory of the lesser circulation. *Isis*, *23*(1), 100-120.

- Modell, J.G., Mountz, J.M., & Ford, C.V.(1992). Pathological lying associated with thalamic dysfunction demonstrated by [99mTc] HMPAO SPECT. *The Journal of neuropsychiatry and clinical neurosciences*. Fall;4(4):442-446. doi:10.1176/ jnp.4.4.442. PMID:1422172.

- Meyers, E. A. (1964). Arabic Thought and the Western World in the Golden Age of Islam. *New York: Frederick Ungar*.

- Michaud, J.E (d 1839).Histoire des Croisades. Publié à Paris en 1877.

- Michelat,G.& Simon,M. (1977) Classe, religion et comportement politique, Presses de la Fondation nationale des sciences politiques et Éditions sociales, Paris.

- Michener, J. A. (1955). *Islam, the Misunderstood Religion*. Muslim Sunrise.

- Milligan, K., Moretti, E., & Oreopoulos, P. (2004). Does education improve citizenship? Evidence from the United States and the United Kingdom. Journal of public Economics, 88(9-10), 1667-1695.

- Miranti, J., & Burke, M. T. (1995). Spirituality: An integral component of the counseling process. In M. T. Burke & J. G. Miranti (Eds.), Counseling: The spiritual dimension (pp.1–3). Alexandria, VA: American Counseling Association.

- Mitchell, M.S., Baer,M.D., Ambrose,M.L.,Folger,R.,& Palmer,N.F.(2018). Cheating under pressure: A self-protection model of workplace cheating behavior. *Journal of Applied Psychology*, *103*(1),54-73. https://doi.org/10.1037/apl0000254.

- Morgan, M.H.(2008). *Lost history: The enduring legacy of Muslim scientists, thinkers, and artists*. National Geographic Books.

- Muzinic, L., Kozaric-Kovacic, D.,& Marinic, I.(2016). Psychiatric aspects of normal and pathological lying. *International journal of law and psychiatry*, *46*,88-93. https://www.researchgate.net/publication/299943655_Psychiatric_aspects_of_normal_and_pathological_lying

- Myers, D. G. (1992). The pursuit of happiness. New York, NY: Avon Books

- Музаффарова, С. К. (2016). Ar-razi and its value for medicine. *Биология и интегративная медицина*, (6), 64-80.

- Nayler, C. (2010). What is self-esteem? 3 theories on the function of self-esteem. Positive Psychology.org.uk. Retrieved from: http://positivepsychology.org.uk/self-esteem-theory/

- Nonis, S., & Swift, C. O. (2001). An examination of the relationship between academic dishonesty and workplace dishonesty: A multicampus investigation. *Journal of Education for business*, *77*(2), 69-77.

- Oh, S.S., & Lewis, G.B.(2009). Can performance appraisal systems inspire intrinsically motivated employees? *Review of Public Personnel Administration, 29*(2),158-167.

- O'Leary, D.L.(2003). Arabic Thought and Its Place in History. 1939; rpt. *Mineola, NY: Dover*.

- O'Malley , C.D. A Latin translation of Ibn Nafis (1547) related to the problem of the circulation of the blood. J Hist Med Allied Sci. 1957 Apr;12(2):248-53. doi: 10.1093/jhmas/xii.4.248. PMID: 13429063.

- Perea, Juan. 1997. "The Black/White Binary Paradigm of Race: The "Normal Science" Of American Racial Thought." California Law Review 85(5):1213–1258.

- Picciotto, R. (1996). What is education worth?: From production function to institutional capital. World Bank, Human Capital Development.

- Pines, S. (1964). The Semantic Distinction between the terms Astronomy and Astrology according to al-Biruni. *Isis*, *55*(3), 343-349.

- Plumb, A. M. (2011). Spirituality and counselling: Are counsellors prepared to integrate religion and spirituality into therapeutic work with clients?. *Canadian Journal of Counselling and Psychotherapy*, *45*(1). Pages 1–16

- Polage, D. (2017). The effect of telling lies on belief in the truth. *Europe's journal of psychology*, *13*(4), 633-644. Published online 2017 Nov 30. doi: 10.5964/ejop.v13i4.1422. https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC5763454/

- Pollner, M.(1989), Divine relations, social relations, and well-being, Journal of Health and Social Behavior 30, pp. 921-1004.

- Pormann, P.E., & Selove, E. (2017). Two New Texts on Medicine and Natural Philosophy by Abū Bakr al-Rāzī. *Journal of American Oriental Society*, *137*(2), 279-299.

- Powell, L.(1997).The achievement (k)not: Whiteness and 'Black Underachievement '. In M. Fine, L. Powell, C. Weis, & L. Wong (Eds.), Off White: Readings on race, power and society (pp. 3 -12). New York: Routledge.

- Pratt, D. (2016). Islam as feared other: perception and reaction. In *Fear of Muslims?* (pp. 31-43). Springer, Cham.

- Pursell, C. W., & Kranzberg, M. (Eds.). (1967). *Technology in Western Civilization*. Oxford University Press.

- Ramón Guerrero, R. (2005). Veritas filia temporis en Averroes. Comentario a Metafísica II. *Tópicos (México)*, 13-28.

- Read, D., Frederick, S., & Scholten, M.(2013). DRIFT:An analysis of outcome framing in intertemporal choice. *Journal of Experimental Psychology: Learning, Memory, and Cognition, 39*(2), 573-588.

- Reisman, D.C.(2002). Epilogue: Editing the Mubāḥaṯāt. In *The Making of the Avicennan Tradition* (pp. 259-263). Brill.

- Rémond, R. (1998).Religion et société en Europe, Le Seuil, Paris, octobre.

- Rétat, L. (2001). L'Averroès d'Ernest Renan. *Études Renaniennes*, *107*(1), pp.11-24.

- Richard, J. (1969). Raymond d'Aguilers. Historia Francorum qui ceperunt Iherusalem, éd. JH Hill et LL Hill (Book Review). *Revue d'Histoire Ecclésiastique*, *64*(3), 855.

- Richter-Bernburg, L (1994). Abū Bakr Muhammad al-Rāzī's (Rhazes) medical works. *Medicina nei secoli*, *6*(2), 377-392.

- Risler, J. (1955). La Civilisation arabe. Ses fondemdents. Son apogee. Son influence sur la civilisation occidentale.

- Risler, J. C. (1962). *La civilisation arabe*. FeniXX.

- Risler J.C. (1993). La civilisation Arabe. TexteTraduit en Arabe par Khalil A. Khalil ; Editipn Oueidat, Beyrout, Paris ;

- Risler, J. C. (1955). *La civilisation arabe*. Edité par Payot. Paris.

- Rockey,D. & Johnstone,P.(1979).Medieval Arabic views on speech disorders: Al-Razi (c. 865–925). *Jr of Communication Disorders*, *12*(3),229-243.

- Rodinson, M.(1993). L'Islam : politique et croyance. Librairie Arthème Fayard.

- Rosenthal, E.I.J.(1958). Averroes' commentary on Plato's Republic *Philosophy , 33*(124).

- Rosenthal, E. (1934). Averroes' Paraphrase on Plato's "Politeia". *Journal of the Royal Asiatic Society*, *66*(4), 737-744.

- Rosenthal, N.E.(2013). *The gift of adversity: the unexpected benefits of life's difficulties, setbacks, and imperfections*. Penguin.

- Rotilă, V. (2019). The relationship between religion and society, from the evolutionary perspective; the evolutionary wager of religion. In *International* THE. In *International Multidisciplinary Scientific Conference on the Dialogue between Sciences & Arts, Religion & Education* (Vol. 3, No. 3, pp. 122-131). Ideas Forum International Academic and Scientific Association.

- Ruiter,S. & N.D.de Graaf (2006). National context, religiosity and volunteering: Results from 53 countries. American Sociological Review 71(2), 191-210.

- Ruska,J(1937).Al-Razi's Buch *Geheimnis der Geheimnisse*, (rééd.1973).J. Springer.

- Ryan, M. J. (2003) . The Power of Patience: How to Slow the Rush and Enjoy More Happiness, Success, and Peace of Mind Every Day. Broadway.

- Ryan, R.M.,& Deci, E.L.(2000).Self-determination theory and the facilitation of intrinsic motivation, social development, and well-being. *American Psychologist, 55*, pp.68-78. doi:10.1037/0003-066X.55.1.68

- Saliba, G. (2007). Arabic Science in Sixteenth-Century Europe: Guillaume Postel (1510-1581) and Arabic Astronomy. *Suhayl. International Journal for the History of the Exact and Natural Sciences in Islamic Civilisation*, 115-164

- Saliba, G. (2007). *Islamic science and the making of the European Renaissance*. Mit Press.

- Sanagustin, F.(2003). Abu Rayhan Al-BiruniĪ: Un Rationaliste à L'Épreuve de L'altérité. *Bulletin d'études orientales*, 249-263.

- Sarton, George (1931). The History of Science and the New Humanism. New York : Holt.

- Savage-Smith, E. (1980). Ibn al-Nafis's Perfected book on ophthalmology and his treatment of trachoma and its sequelae. *Journal for the history of Arabic science*, *4*.

- Scheppler, B. (2006). *Al-Biruni: master astronomer and Muslim scholar of the eleventh century*. The Rosen Publishing Group, Inc.

- Scheurich, J. J. & M.D. Young. (1997). Coloring epistemologies: Are our research epistemologies racially biased? Educational Researcher, 26(4), 4-16.

- Schmeets, H. (2010). The Impact of Religion on Social Cohesion in the Netherlands. Paper presented at the Dutch-Belgian Political Science Conference, Leuven, 27-28 May 2010.

- Schmidhuber, J. (2010). Formal theory of creativity, fun, and intrinsic motivation (1990–2010). *IEEE Trans. Auton. Mental Dev.*2,230–247. doi: 10.1109/TAMD.2010.2056368

- Schnitker, S. (2012). An examination of patience and well-being. *Journal of Positive Psychology, 7*(4), 263-280.

- Schnitker, S. A. & Emmons, R. A. (2007). Patience as a virtue: Religious and psychological perspectives. *Research in the Social Scientific Study of Religion, 18*, 177-207. Brill.

- Schultz, G.F., Switzky, H.N.(1990). The development of intrinsic motivation in students with learning problems. Preventing School Failure. 34, 14-20.

- Scioli, A., & Biller, H. (2010). *The power of hope: Overcoming your most daunting life difficulties--no matter what*. Health Communications, Inc..

- Scioli, A., & Biller, H. (2009). *Hope in the age of anxiety*. Oxford University Press.

- Selling, L. S. (1942). The psychiatric aspects of the pathological liar. *Nervous Child*, *1*, 335-350.

- Shoja, M.M.,Tubbs, R.S.,Loukas,M.,Shokouhi, G.,& Ardalan, M.R.(2009). Facial Palsy and Its Management In the Kitab Al-Hawi Of Razes. *Neurosurgery*, *64*(6), 1188-1191.

- Simonton, D. K. (2018). Intellectual genius in the Islamic Golden Age: Cross-civilization replications, extensions, and modifications. *Psychology of Aesthetics, Creativity, and the Arts*, *12*(2), 125.

- Sims, R.L.(1993).The relationship between academic dishonesty and unethical business practices. *Jr of Education for Business*, *68*(4), 207-211.

- Sleeter, C. (1993). How White teachers construct race. In C. McCarthy & W. Crichlow (Eds.), Race identity and representation in education (pp.157-171). New York: Routledge.

- Snyder, S.(1986).Pseudologia fantastica in the borderline patient. American Journal of Psychiatry, 143(10), 1287-1289.

- Somogyi, J.D. (1933). A Qaṣīda on the Destruction of Baghdād by the Mongols. Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 7, 41 - 48.

- Sonneborn, L.(2006). *Averroes (Ibn Rushd): Muslim scholar, philosopher, and physician of the twelfth century*. The Rosen Publishing Group, Inc.

- Stanfield, J. H. (1985). The ethnocentric basis of social science knowledge production. Review of Research in Education, 12, 387-415

- Stark, R. (1996). Why religious movements succeed or fail: a revised general model. *Journal of contemporary religion*, *11*(2), 133-146.

- Steiris, G., & Lyckoura, N. (2013). La perception et valorization de la philosophie arabe dans le Résumé de la Somme théologique de Saint Thomas d'Aquin de Georges Gennade Scholarios: les cas d'Avicenne et Averroès.

- Straface,A.(2011). Abū Bakr al-Rāzī, Muḥammad ibn Zakarīyā (Rhazes). *Encyclopedia of Medieval Philosophy. New York, Springer*, *1*, 6-10.

- Sutter, M., Kocher, M.G., Glätzle-Rützler, D., & Trautmann, S.T. (2013). Impatience and uncertainty: Experimental decisions predict adolescents' field behavior. American Economic Review, 103(1), 510-31.

- Tamara Sonn . (2010) .Islam A Brief History, 2nd. Ed ,Wiley-Blackwell. A. John Wiley & Sons, Ltd Pubications

- Tatelbaum, J.(2012). *You don't have to suffer: A handbook for moving beyond life's crises*. Skyhorse Publishing Inc..

- Taylor, R.C. (2005). Averroes: Religious dialectic and Aristotelian philosophical thought.

- Taylor, S. & Brown, J. (1988). Illusion and well-being: a social psychological perspective on mental health. Psychological Bulletin, S3, 193-210

- Temkin, O. (1942). A Medieval Translation Of Rhazes'Clinical Observations. *Bulletin of the History of Medicine*, *12*(1), 102-117.

- Thomas, A., and Sillen, S. (1972). Racism and Psychiatry. Brunner/Mazel, New York.

- Thom, R., Teslyar, P., & Friedman, R. (2017). Pseudologia fantastica in the emergency department: A case report and review of the literature. Case Reports in Psychiatry, 2017, 1-5.

- Thompson, J. W. (1929). The introduction of Arabic science into Lorraine in the tenth century. *Isis*, *12*(2), 184-193.

- Tschanz, D.W.(2003). Arab roots of European medicine.*Heart Views*,*4*(2),9.

- Tsoucalas, G., Karamanou, M., Laios, K., & Androutsos, G. (2018). Rhazes'(864-925) views on cancer and the introduction of chemotherapy. *Journal of BU ON*.

- Underwood, C. (2002). Belief and attitude change in the context of human development. *Sustainable human development in the twenty-first century*, *2*, 103-124.

- Urvoy, D. (2011). *Averroès: les ambitions d'un intellectuel musulman*. Flammarion.

- Uslaner, E. M. (2002). Religion and civic engagement in Canada and the United States. Journal for the Scientific Study of Religion 41(2), 239-54.

- Vajda, G. (1952). La pensée religieuse d'Avicenne (Ibn Sīnā)(Études de philosophie médiévale, XLI).

- Van Bockstaele, B., Verschuere, B., Moens, T., Suchotzki, K., Debey, E., & Spruyt, A. (2012). Learning to lie: Effects of practice on the cognitive cost of lying. *Frontiers in psychology*, *3*,526.

https://www.frontiersin.org/articles/10.3389/fpsyg.2012.00526/full

- Vaswani,T.L.(1938).Islam as Misunderstood by HG Wells. *The Islamic Review, 26*(2), 51-54.

- Vieten,C.,Scammell, S.,Pilato, R.,Ammondson, I.,Pargament,K.I., & Lukoff, D. (2013). Spiritual and religious competencies for psychologists . *Psychology of Religion and Spirituality*, *5*(3), 129-144

- Vrij, A., Granhag, P. A., Mann, S., and Leal, S. (2011). Outsmarting the liars: toward a cognitive lie detection approach. *Psychol. Sci.* 20, 28–32.

- Vrij, A., Visser, R., Mann, S., and Leal, S. (2006). Detecting deception by manipulating cognitive load. *Trends Cogn. Sci. (Regul. Ed.)* 10, 141–142.

- Verschuere, B., Spruyt, A., Meijer, E. H., and Otgaar, H. (2011). The ease of lying. *Conscious. Cogn.* 20, 908–911.

- Wade K.A., Garry M., Nash R.A., Harper D.N. (2010). Anchoring effects in the development of false childhood memories. Psychonomic Bulletin & Review, **17**, 66–72. doi:. 10.3758/PBR.17.1.66,

- Warneken, F & Tomasello, M.(2008) Extrinsic rewards undermine altruistic tendencies in 20-month-olds. *Dev Psychol.* 44(6):1785-8.
doi:10.1037/a0013860

- Watson, A. M. (1983). Agricultural innovation in the early Islamic world; the diffusion of crops and farming techniques, 700-1100.

- Weber, Max. (1958). The social psychology of the world religions. In Hans Gerth and C. Wright Mills (Eds.), *From Max Weber: Essays in sociology.* New York: Oxford University Press. (original work published 1915)

- West, J.B. (2008). Ibn al-Nafis, the pulmonary circulation, and the Islamic Golden Age. *Journal of Applied Physiology*, *105*(6), 1877-1880.

- Wiersma,D.(1933). On pathological lying. Journal of Personality, 2(1),48-61.

- Wiegand, K. E. (2000). Islam as an ethnicity? The media's impact on misperceptions in the West. *Islam and the West in the mass media: fragmented images in a globalizing world*, 235-271.

- Wijesinha, S. S. (1983). El Zahrawi (936-1013 AD), the father of operative surgery. *Annals of the Royal College of Surgeons of England*, *65*(6), 423.

- William Archbishop of Tyre (d1186) History of Deeds Done Beyond The Sea. New York: Morning Side Heights Columbia University Press . 1943.

- Wisnovsky, R. (2012). Indirect Evidence for Establishing the Text of the Shifā. *Oriens*, *40*(2), 257-273.

- Wisnovsky, R. (2018). Avicenna's metaphysics in context. In *Avicenna's Metaphysics in Context*. Cornell University Press.

- Wisnovsky, R. (2003). Towards a history of Avicenna's distinction between immanent and transcendent causes. In *Before and after Avicenna* (pp. 49-68). Brill

- Whitehead, E. D., & Bush, R. B. (1967). Abu Bakr Muhammad Ibn Zakariya Al-Razi (Rhazes)(850?-923?). *Investigative urology*, *5*(2), 213-217.

- Wolf, C. T., & Stevens, P. (2001). Integrating religion and spirituality in marriage and family counseling. Counseling & Values, 46(1), 66–75

- Wu, R.A. (1993). *Islam, a misunderstood religion: Muslims, a misunderstood community*.

- Yano, M.(2007).Bīrūnī: Abū al-Rayḥān Muḥammad ibn Aḥmad al-Bīrūnī. *The Biographical Encyclopedia of Astronomers, New York: Springer*, 131-3.

- Yilanli, M. (2018). Muhammad ibn Zakariya al-Razi and the first psychiatric ward. *American Journal of Psychiatry Residents' Journal*, *13*(9), 11-11.

- Zuckerman, M., DePaulo, B.M., & Rosenthal, R. (1981). Verbal and nonverbal communication of deception. In L. Berkowitz (Ed.), *Advances in experimental social psychology* (Vol. 14, pp. 1-59). New York, NY, USA: Academic Press. 10.1016/S0065-2601(08)60369-X.

- https://archive.islamonline.net/8947

- https://waqfeya.net/category.php?cid=4&st=120

- wikipedia: https://en. wikipedia.org/wiki/Islamic_Golden_Age.

موقع المثقف في حياة أمته

المثقف عنوان بارز داخل أمته وقلب نابض بين أحضانها يمثل حضورُهُ الفعلي والايجابي مصدر قوة من حيث أن سلوكه تلقائيا يستعرض النموذج الأخلاقي الراقي وينشر الوعي من حوله ويدعو بالمواقف الناضجة والقدوة الحسنة إلى التعلم وتطوير الحياة والارتقاء بها نحو الأفضل، يتحرك وسط الناس بيقظة ضمير وعقل وهو من الجميع هم قريب، متفهم مؤنس ولأحوالهم متحسس منتبه ولمعاناتهم شاعر ومقدّر، وإذا عجز عن تقديم الاسناد والعون فلا يكون عبئا عليهم بل يكون خفيف الوزن يعيش بينهم كالملح في الطعام إذا غاب افتقدوه وشعروا بغيابه، وإذا حضر استبشروا به خيرا واستأنسوا به و رحّبوا به مقبلين عليه. وإذا كان لا يريد سوى أداء واجبه والقيام بما يترتب عنه من مسؤوليات تجاه مجتمعه تحريرا لذمته، فإن موقعه من وجهة نظر أفراد هذا المجتمع له تبعات معنوية وأخلاقية ليس في مقدوره التجاوب معها كاملة والوفاء بها إذا لم يكن محبا لمجتمعه ومتعلقا به يحمل في أعماقه غيرة عليه وعلى مقوماته، ساعيا بكل ما أوتي أن يحميه ويدافع عنه ويقدم ما في الوسع للارتقاء به ودفع عجلة نموه حتى على حساب مصالحه الذاتية. وبالتأكيد لن يستطيع المحافظة على موقع منسجم مع شخصية المثقف بدون امتلاك بعض الأدوات واكتساب بعض المعارف والخبرات تتعلق بهذا المجتمع والتي تسهّل عليه التحرّك بداخله والتقاطع مع أفراده والتفاعل معهم. كما أن لا غنى له لفهم سلوك الناس عن الإلمام بثقافة هذا المجتمع وعاداته وتقاليده مع ضرورة الاطلاع بشكل واسع على تاريخ أمته والالمام بأهم الحقب التي مر بها وأبرز الأحداث التي عرفها.

المؤلف